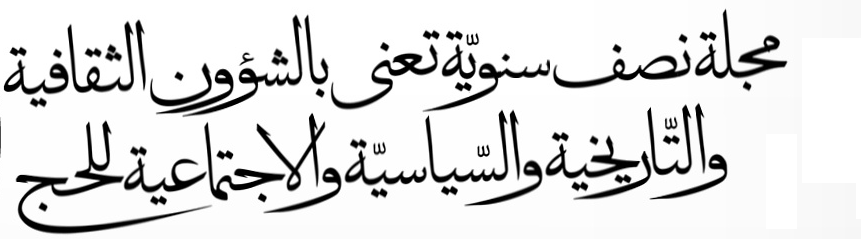
# 



محرم الحرام 1438 هـ

السنة : 24 ـــ العدد : 46



# **ملاحظات :**

**يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الذين يرغبون في التعاون مع المجلة أن يراعوا عند إرسال مقالاتهم النقاط التالية:**

1. أن تقترن المقالات بذكر المصادر والهوامش بدقّة وتفصيل.

2. أن لاتتجاوز المقالة40 صفحة وأن تكون مضروبة على الآلة الكاتبة إن أمكن أو أن تكتب بخط اليد على وجه واحد من كلّ ورقة.

3. أن تكون المادّة المرسلة للنشر في المجلة غير منشورة سابقاً وغير مرسلة للنشر إلى مجلة أخرى.

4. تقوم المجلة بدراسة وتقييم البحوث والدراسات المقدمة إليها، ولها الحقّ في صياغتها وتعديلها بما تراه مناسباً مع مراعاة المضمون والمعنى.

5. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس‌ٍ فنيّة وليس لأسباب أخرى.

6. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

7. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر وآراء كتّابها.

8. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.

9.ترحّب إدارة التحرير في مجلة <ميقات الحج> بملاحظات القـّراء الكرام ومقترحاتهم.

# الفهرس:

## مسائل الحجّ و سبب كثرتها، نقد وإجابة

## آية الله الشيخ جعفر السبحاني/ 7

## **وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظيِمٍ** الأستاذ: محسن الأسدي /15

## **فضائل الحرمين الشريفين (10)** محمدعلي المقدادي / 81

الإخوة الثلاثة الصالحون حسن الحاج / 123

في‌ رحاب‌ سلسلة "ذخائر الحرمين الشريفين" (3)

**محمد حسين ‌الواعظ/ 193**

مقتطفات ‌من ‌رحلة ‌الحج‌ , للقندهاري (3)

تحقيق: أحمد خامه يار/ 239

أخبار الحرمين الشـريفين / 291

الهيئة العلمية:

سماحة المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني

سماحة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

سماحة الشيخ محمد القايني

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

# المدير المسؤول:

**السيد علي قاضي عسكر**

مدير التحرير:

# محمدعلي المقدادي

# مسائل الحجّ وسبب کثرتها

# نقد وإجابة

## آية الله الشيخ جعفر السبحاني

قرأنا في أحد المواقع إشكالاً حول الحديث المتعلق بالحجّ، وهو مارواه بكير ابن أعين عن أخيه زرارة، قال: قلت لأبي عبدالله: جعلني الله فداك! أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني؟ فقال: <يازرارة بيت يُحج قبل آدم بألفي عام تريد أن تفنى مسائله في أربعين عاماً>.[[1]](#footnote-1) والرواية كالصحيح حسب مصطلح أصحابنا في تقسيم الروايات.

## ومحاور الإشكال كالتالي:

**أولاً:** كيف يقول زرارة**:** أسألك في الحج منذ أربعين عاماً، مع أنّ إمامة أبي عبداللهلم‌تتجاوز 34 عاماً، لأنه تولّى الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر في عام 114هـ، وتوفي عام 148هـ؟

**ثانياً:** أنّ الإمام يجيب بأنّ البيت يحجّ قبل آدم بألفي عام، وهذا لايكون جواباً على سؤال السائل، أعني ماهو السبب لكثرة الأسئلة في الحج؟

## والجواب عن الأمر الأول بوجهين:

**أمّا أولاً:** فإنّ التعبير بأربعين عاماً ربّما يكون كناية عن كثرة الأعوام وإن لم تكن بالدقّة أربعين عاماً، وهذا أمر رائج، فإنّ الإنسان إذا عاش مع آخر أعواماً كثيرة ربّما يعبر عن مدة حياته معه بأربعين عاماً وإن كان بالدقّة أقل، ولايوصف بالكذب.

**وثانياً:** فإنّ الإمام الصادق وإن كان تولّى أمر الإمامة بعد وفاة أبيه، ولكنه كان مورد اهتمام لأبيه فربما كان يرجع الناس إليه ليسألوه. ويشهد على ذلك أنّ عبدالملك بن مروان بعث إلى عامله في المدينة أن وجِّه إليّ محمدبن علي بن الحسين ولاتهيّجه ولا تروعه، واقض له حوائجه، وقدكان ورد على عبد الملك رجل من القدريّة،[[2]](#footnote-2) فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلاّ محمد بن علي، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه، فأتاه صاحب المدينة بكتابه فقال له أبوجعفر: <إني شيخ كبير، لا أقوى على الخروج وهذا جعفر ابني يقوم مقامي، فوجّهه إليه فلمّا قدم على الأموي ازدراه[[3]](#footnote-3) لصغره وكبره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدرية، فلمّا كان من الغد اجتمع الناس بخصومتها؛ فقال الأموي لأبي عبدالله: إنه قد أعيانا أمر هذا القدري وإنمّا كتبت إليك لأجمع بينك وبينه فإنّه لم يَدَعْ عندنا أحداً إلاّ خصمه. فقال: <إنّ الله يكفينا>. قال:‌ فلمّا اجتمعوا قال القدري لأبي عبدالله: سل عمّا شئت، فقال له: إقرأ سورة الحمد. قال: فقرئها وقال الأموي ـ‌ وأنامعه ـ: مافي سورة الحمد علينا؟ إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: إياك نعبد وإياك نستعين، فقال له جعفر: <قف من تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة؟ إنّ الأمر إليك، فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الكافرين>.[[4]](#footnote-4)

فالحديث يكشف أنّ الإمام جعفر الصادق كان مرجعاً للأسئلة في حياة أبيه، ومن الممكن أنّ زرارة سأله بعض مايرجع إلى الحجّ من الأسئلة أيام حياة أبيه.

## وأمّا الجواب عن السؤال الثاني فكلام الإمام يتضمّن أمرين:

**أمّا الأول:** فقوله: <بيت يحجّ قبل آدم بألفي عام>، فليس الإمام منفرداً في نقله، فقد أخرجه الشافعي في مسنده،[[5]](#footnote-5) عن ابن أبي لبيد عن محمد بن كعب القرظي أو غيره، قال: <حجّ آدم فلقيته الملائكة، فقالوا: بَرَّ نُسككَ آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام>.[[6]](#footnote-6)

وأخرجه البيهقي أيضاً في سننه،[[7]](#footnote-7) وفي <شعب الإيمان> عن أنس بن مالك أنّ رسول الله قال: <كان موضع البيت في زمن آدم شبراً أو أكثر عَلَماً فكانت الملائكة تحجّ إليه قبل آدم، ثمّ حجّ آدم فاستقبلته الملائكة، فقالوا: يا آدم من أين جئت؟ قال:‌ حججت البيت، فقالوا قدحجّته الملائكة من قبلك>.[[8]](#footnote-8)

**وأمّا الثاني:** أي كيف أجاب الإمام عن سبب كثرة الأسئلة حول الحجّ بقوله: <بيت يحجّ قبل آدم بألفي عام>، فتظهر حاله بالتدبّر فيما ورد من غير من واحدة من الروايات وهو أنّ الله تعالى أدخل بعض سنن أنبيائه في مناسك الحجّ عبر قرون وفرضها على العباد وهذا صار سبباً لوجود الأسئلة الكثيرة في أمر الحجّ، فلذلك جعل الإمام أبو جعفر سبب كثرة الأسئلة كون البيت يحجّ بألفي عام حيث تواردت الأحكام من قبل سائر الشرائع على الحجّ عبر قرون فصار ذلك سبباً لوجود كثرة الأسئلة فيه، ويدلّ على ذلك مايلي:

1ـ ماأخرجه أبو داود وغيره عن يزيد بن شيبان، قال: أتانا ابن مُربع الأنصاري ونحن بعرفة في مكان يباعده عمرو عن الإمام فقال: إما إنيّ رسول رسول الله إليكم، يقول لكم: <قفوا على مشاعركم، فإنّكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم>. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وصحّحه الألباني.[[9]](#footnote-9)

2ـ ما رواه البخاري، في وجه سعي الناس بين الصفا والمروة وقال راوياً عن ابن عباس في قصّة وضع إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل عند البيت، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يَتَلَوَّى، أو قال: يَتَلبَّطْ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثمّ استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثمّ سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثمّ اتت المروه فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، ففعلت ذلك سبع مرّات.

قال ابن عباس:‌ قال النبي: <فذلك سعي الناس بينهما>. رواه البخاري.[[10]](#footnote-10)

إنّ للإمام الصادق مقاماً رفيعاً بين الفقهاء منذ شبابه في بيان مسائل الحجّ، وقد روى مسلم في صحيحه حديثاً مفصّلاً عن الإمام يصف فيه أكثر مناسك الحجّ، وكأنّ هذا الحديث هو العمدة عند الفقهاء في بيان مناسك الحجّ، قال الزيعلي في <**نصيب الراية**> هذا مانصّه:

ولنذكره برمّته فإنّ عمدة في مناسك الحجّ أخرجه مسلم عن جعفر بن محمد عن أبيه،... ثمّ ذكر الحديث إلى آخره.[[11]](#footnote-11)

ويدلّ غير واحد من الروايات والأخبار على دور الإمام الصادق في تعليم مناسك الحجّ وأحكامه وآدابه، وأنّ المسلمين بجميع طوائفهم كانوا يصدرون عن فتاواه وآرائه، نذكر هنا مايلي:

1. روى الصدوق عن أبي حنيفة، أنه قال: لولا جعفر بن محمد ما علم الناس مناسك حجّهم.[[12]](#footnote-12)

2. روى الشيخ الطوسي في <**التهذيب**> عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبدالله قال:‌ جاء رجل يلبّي حتى دخل المسجد وهو يلبّي وعليه قميص، فوثب إليه أناس من أصحاب أبي حنيفة فقالوا:‌ شقّ قميصك وأخرجه من رجليك، فإنّ عليك بدنة وعليك الحجّ من قابل وحجّك فاسد، فطلع أبوعبدالله فقال على باب المسجد فكبّر واستقبل الكعبة، فدنا الرجل من أبي عبدالله وهو ينتف شعره ويضرب وجهه، فقال أبو عبدالله: <اسكن يا عبدالله>، فلمّا كلّمه وكان الرجل أعجميّاً، فقال أبو عبدالله:<ما تقول؟>، قال: كنت رجلاً أعمل بيدي، فاجتمع لي نفقة فجئت أحجّ لم أسأل أحداً عن شيء، فأفتوني هؤلاء أن أشقّ قميصي وأنزعه من قبل رجلي وأنّ حجّي فاسد وإنّ عليّ بدنة، فقال له: <متى لبست قميصك أبعد ما لَبَّيت أم قبل؟> قال: قبل أن ألبّي. قال: <فأخرجه من رأسك، فإنه ليس عليك بدنة، وليس عليك الحجّ من قابل، أيّ رجل ركب أمراً بجهالة فلا شيء عليه، طف بالبيت سبعاً، وصلّ ركعتين عند مقام إبراهيم، واسع بين الصفا والمروة، وقصّر من شعرك، فإذا كان يوم التروية فاغتسل وأهّل بالحجّ، واصنع كما يصنع الناس>.[[13]](#footnote-13)

3. روى الشيخ في <**التهذيب**> عن معاوية بن عمّار قال: إنّ امرأة هلكت فأوصت بثلثها يتصدّق به عنها ويحجّ عنها ويعتق عنها فلم يسع المال ذلك، فسألت أباحنيفة وسفيان الثوري، فقال كلّ واحد منهما: انظر إلى رجل قد حجّ فقطع به فيقوّى، ورجل قد سعى في فكاك رقبته فيبقى عليه شيء فيعتق، ويتصدّق بالبقية، فأعجبني هذا القول وقلت للقوم ـ يعني أهل المرأة ـ‌: إنيّ قد سألت لكم فتريدون أن أسأل لكم من هو أوثق من هؤلاء؟ قالوا: نعم، فسألت أباعبدالله عن ذلك فقال: <ابدأ بالحجّ فإنّ الحجّ فريضة، فما بقي فضعه في النوافل>، قال:‌فأتيت أباحنيفة فقلت: إنّي قد سألت فلاناً فقال لي كذا وكذا، قال: فقال: هذا والله الحقّ، وأخذ به وألقى هذه المسألة على أصحابه، وقعدت لحاجة لي بعد انصرافه فسمعتهم يتطارحونها، فقال بعضهم بقول حنيفة الأول، فخطّأه من كان سمع هذا وقال:‌ سمعت هذا من أبي حنيفة منذ عشرين سنة.[[14]](#footnote-14)

# وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.[[15]](#footnote-15)

## محسن الأسدي

شاءت السماء أن تجعل ابتلاءآت ومواقف كلّ من نبيّ الله إبراهيم وزوجته السيدة هاجر وابنهما نبيّ الله إسماعيل تاريخاً خالداً، ومشروعاً إحيائياً عظيماً، تتلقاهما الأجيال المؤمنة بالتقدير والمتابعة، وبالذات عبر مناسك الحج والعمرة، فما حدث لهؤلاء الثلاثة في هجرتهم وسيرتهم وتنقلاتهم ومعاناتهم، وما قدّموه من جهود كبيرة مباركة في مكة أمِّ القرى وما حولها؛ لعلّه لا فقط شكل أغلب شعائر الحج والعمرة، والتي تُحيى بها القلوب، وتزكوا بها النفوس، وتحسن بها السير، بل أحيا وادياً كان مهجوراً؛ وصفته السماء بأنه:[.. غَيْر ذِي زَرْعٍ**؛** وقد ابتدأ إبراهيم عليه السلام ذلك الإحياء عندما أسكن كلاًّ من زوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل فيه.](javascript:Open_Menu())

[رَبَّنَآ إِنَّيۤ أَسْكَنتُ منْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىۤ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ](javascript:Open_Menu()).

وفعلاً تمَّ لإبراهيم عليه السلام ما تمنّاه، واستجاب الله تعالى دعاءه، حتى صار كلّ ذلك فيما بعد قاعدةً لانطلاق أعظم رسول وأعظم دين وأكمل شريعة، فكان خاتماً للرسل والأنبياء، وكانت شريعته خاتمةً للشرائع..

## وأمثلة تلك الابتلاآت عديدة:

سعي هاجر بين جبلي الصفا والمروة سبعاً؛ "فذلك سعي الناس بينهما" هذا ما نسبه ابن عباس لرسول الله، ولما رأى ابن عباس قوماً يسعون بين هذين الجبلين قال: <هذا ما أورثتكم اُمُّكم اُمُّ إسماعيل>.

وقع هذا منها حين لم يكن لها حلٌّ لإنقاذ ابنها الرضيع من العطش، إلاّ أن تسعى وتهرول هناك، وقد بعدت قليلاً عن ابنها بحثاً عن قطرة ماء، وقد علا بكاؤه تارةً وصراخه وخفَّ أخرى حين مضَّه العطش حتى كاد أن يموت، لولا حكمة الله تعالى ورحمته أن تفجّرت بئر زمزم عن ماء، فشرب اسماعيل من عين عذبة؛ ليرتوي منها ضيوف الرحمن..

لقد صار سعيها ذاك منسكاً من مناسك الحج والعمرة .. [إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ](javascript:Open_Menu()).[[16]](#footnote-16)

ولما ارتفع بنيان البيت وضعف نبيُّ الله إبراهيم، وهو في شيخوخته، عن رفع الحجارة، قام على حجر، فصار هذا الحجر هو المقام المعروف بمقام إبراهيم، تؤدّا ركعتا الطواف عنده، وقد نزلت فيه الآية: وَاتخَّذِوُا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهيِمَ مُصَلَّى.[[17]](#footnote-17)

وما أن تمَّ بناء البيت برفع قواعده، وبوّأه الله تعالى، حتى أمر إبراهيم بتطهيره في آية، وأمره وألزمه وابنه إسماعيل بهذه المهمة في آية أخرى:

[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ](javascript:Open_Menu()).[[18]](#footnote-18)

[وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِك بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَ الْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ](javascript:Open_Menu()).[[19]](#footnote-19)

[وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ](javascript:Open_Menu()).[[20]](#footnote-20)

## ووقع الأذان بالحج

[وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحـج يَأْتوُكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَميِقٍ](javascript:Open_Menu()).[[21]](#footnote-21)

فصار منسكاً للطواف تتحدث عنه الآية:... [... وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ](javascript:Open_Menu())؛[[22]](#footnote-22) وبيتَ عبادة: [... لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ](javascript:Open_Menu()).[[23]](#footnote-23)

وهكذا عرفة؛ إمّا لأنّ آدم وحواء اجتمعا والتقيا فعرفها وعرفته بعد أن هبطا من الجنة، وإمّا لأنّ جبرئيل طاف بالنبيِّ إبراهيم يريه المشاهد فيقول له: <أعَرَفْتَ؟ أعَرَفْتَ>؟ فيرد إبراهيم: <عَرَفْتُ، عَرَفْتُ>، أو أنَّ جبرئيل غدا بإبراهيم إلى عرفات، فقال: هذه عرفات، فاعرف بها مناسكك واعترف بذنبك، فسمي عرفات...

وهكذا المزدلفة وهي المشعر الحرام... حين أفاض به وازدلفا إليها؛ فسميت المزدلفة.

فَإذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمشْعَرِ الْحرَامِ.

وكذا الكلام عن منى وقصة الذبيح ورمي الجمرات... حتى صارت جميعاً مناسك للحج على التفصيل الذي تذكره كتب التاريخ والتفسير والفقه...

لقد ظلت هذه الحوادث خالدة، ولازالت، وستبقى حتى نهاية الدنيا ومن عليها، فشكلت فقهاً خاصاً لمناسك مباركة؛ لفريضة مباركة راح يؤديها ملايين المؤمنين في كلِّ عام.

مقالتنا في هذا العدد من مجلة ميقات الحج، تتوقف عند منسك من مناسك الحج (النحر أو الذبح ) وقد سمّاه القرآن الكريم (الهَدي) في آيات عديدة:

[وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ فَإِنْ اُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسرَ مِنَ ‌الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرةٌ كَامِلَةٌ ذلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ](javascript:Open_Menu()).[[24]](#footnote-24)

وفي سورة المائدة ؛ الآية 2 والآية 97:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاۤئِدَ وَلاۤ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً](javascript:Open_Menu())....

[جَعَلَ اللهُ ٱلْكَعْبَةَ الْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَ الْقَلاَئِدَ](javascript:Open_Menu())....

والآية 25 من سورة الفتح:

[هُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ](javascript:Open_Menu()).

نقف عند أصل هذه الشعيرة التأريخي، الذي تحدث عنه التنزيل العزيز، وبالذات في المقطع القرآني من سورة الصافات عبر الفِداء الذي حملته الآية: وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وما سبقه من البشارة فالابتلاء عبر رؤيا نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام، دون التعرض للأحكام الفقهيّة للهدي ..

إنّه فداءُ إسماعيل أو إسحاق بذبح عظيم، على الخلاف المذكور، والذي هو الموضوع المهم في هذه المقالة. وقد صار منسكاً من مناسك فريضة الحج، وهكذا رمي الجمرات، الذي كما في الأخبار اقترن بعملية تنفيذ رؤيا إبراهيم بذبح ابنه**.**

لقد منَّ الله تعالى على نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام وهو في شيخوخته حين استجاب لدعائه؛ فبشّرته السماء بالولد، وهو بلاشك ولاريب أعزّ عليه من نفسه ومن كلّ شيء، وإذ هو به كان مسروراً، يؤمر من قبل السماء بقتله، وبقتله بيده لا بيد آخرين، .. إنها رؤيا <ورؤيا الأنبياء حق وصدق> ونومهم ويقظتهم سواء!

إنّه لأمر عظيم وسابقة خطيرة.. نقف عند تلك البشارة، وعند ذلك البلاء المبين، وعند ذلك الذبح العظيم قرآنيّاً، وكيف صار الهدي فداءً يقدمه الحجيج، اقتداءً بنبيِّ الله إبراهيم، وقد انبثق منه فقه الأضاحي، كما في الآيات القرآنية أعلاه والروايات..

فبعد أن تحققت البشرى، سواء أكانت باسماعيل أو بإخيه إسحاق، فقد حصلت العبرة بالابتلاء واجتيازه بنجاح، حتى أنّ القرآن الكريم لم يذكر وهو في هذا المقطع المبارك أي اسم من الأخوين، لقد كان كلاهما ولدين لإبراهيم عليهم‌السلام، فبأي واحد منهما فالبلاء المبين يتحقق، وأيهما وقع عليه الذبح، فالمعاناة والآلام واحدة، ولكن مع هذا سنقف عندهما؛ لنتعرف على الأدلة التي تساق فتثبت أيهما الذبيح دون الآخر، وقبل ذلك أيهما المبشر به قبل الآخر، فصاحب البشارة في هذا المقطع القرآني من سورة الصافات (99ـ113) يكون وبلا شك هو الذبيح:

[وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ](javascript:Open_Menu()) (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَـاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآَخِرِينَ (108) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(111) [وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()) (112) [وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ](javascript:Open_Menu())(113).

مع الآية: [وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إلىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ](javascript:Open_Menu()).

فما أن أنجاه الله تعالى، بأن جعل تلك النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، كما جاء في الآيات:

\* ... الأنبياء 66 ـ 70 : [قَالَ أفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ](javascript:Open_Menu()) \* [اُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أفَلاَ تَعْقِلُونَ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانْصُـرُوۤا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ](javascript:Open_Menu()) \* [قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ](javascript:Open_Menu()) \* [وَأرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ](javascript:Open_Menu()).

وفي سورة العنكبوت 24:

[فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أوْ حَرِّقُوهُ فَأنْجَاهُ اللهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ](javascript:Open_Menu()).

حتى انطلق إبراهيم عليه‌السلام بدعائه: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ. ليصبح شعاراً حقيقياً؛ لتركه قومه على ما هم فيه، بعد أن بذل جهوداً كبيرة في دعوتهم أن يتركوا الشرك ويعبدوا الله تعالى وحده، ولما انتهى أن لا فائدة منهم في الاستجابة لدعوته المباركة، انطلق، لا فراراً من مسؤولياته، ولا تخلياً عن أهدافه، ولا طلباً للراحة والاستجمام، بل ذاهباً بعبادته إلى ربّه؛ حيث يرى أنَّ العبادة تقع حين ينشر دعوة السماء، وحين يبثّها في أماكن أخرى يأمل أن يتحقق له فيها دينُ ربّه؛ ولنصرته في بقاع غير بقاع قومه، الذين أصرّوا على مواقفهم الرافضة له ولدعوته ولنصرته، وإلاّ فربُّه تعالى موجود معه، وهذا نظيرقوله عليه السلام في آية أخرى:

[فَـآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّيۤ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ](javascript:Open_Menu()).[[25]](#footnote-25)

وإن كان هناك رأي أنَّ القائل هو لوط..

وفي التوحيد عن أميرالمؤمنين عليه السلام في جواب من اشتبه عليه من الآيات، قال: <ولقد أعلمتك أن رُبّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله ولا يشبه كلام البشر، وسأنبّئك بطرف منه، فيكفي إن شاء الله من ذلك قول ابراهيم: إنّي ذاهب إلىَ رَبِّي سَيَهْدِينَ.

فذهابه الى ربّه توجّهه إليه عبادةً واجتهاداً وقربة الى الله جلّ وعزّ، ألا ترى أنّ تأويله على غير تنزيله؟![[26]](#footnote-26)

وللرازي كلام طويل في قوله: إنّي ذَاهِبٌ إلىَ رَبِّي، نكتفي بما ذكره في مقدمة المسألة الثانية أنَّ فيه قولين:

الأول: المراد منه مفارقة تلك الديار، والمعنى: إني ذاهب إلى مواضع دين ربّي.

والقول الثاني: ذاهب بعبادتي إلى ربّي.

فعلى القول الأول المراد بالذهاب إلى الرب هو الهجرة من الديار، وبه اقتدى موسى حيث قال:كَلاَّ إِنَّ مَعِىَ رَبّى سَيَهْدِينِ،[[27]](#footnote-27)

وعلى القول الثاني المراد رعاية أحوال القلوب، وهو أن لا يأتي بشيء من الأعمال إلا لله تعالى، كما قال:وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ.[[28]](#footnote-28)

قيل: إنّ الأول أولى؛ لأنّ المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته إلى أرض الشام، وأيضاً يبعد حمله على الهداية في الدين؛ لأنه كان على الدين في ذلك الوقت إلاّ أن يحمل ذلك على الثبات عليه، أو يحمل ذلك على الاهتداء إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في أمر الدين...[[29]](#footnote-29)

## ومن خواطر الشعراوي في الآية:

<أي: إلى مكان آخر، حيث أجد مَنْ يسمعني ويستجيب لدعوتي، وما دُمْتُ ذاهباً إلى ربي: سَيَهْدِينِ. أي: يهديني المقام الطيب المناسب لدعوتي ..>.

لقد كانت بحقٍّ هجرةً مباركةً؛ رغبةً في رضاه تعالى، فآتت ثمارها في مسيرة هذا النبيّ عليه السلام، وتركت بصماتها وآثارها على جميع مشاريع السماء التي جاءت بعد إبراهيم عليه السلام، والمتمثلة بالرسالات والرسل والأنبياء، حتى صار كلّهم تبعاً لمنهجه وشريعته وعقيدته الخالصة المستقيمة؛ لا زيغ فيها ولا انحراف.. إذن ما أعظمها من هجرة، وما أعظم بركاتها! وقد تحدثت عنها آيات كثيرة، منها:

[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشـْرکينَ](javascript:Open_Menu()) \* [شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ](javascript:Open_Menu()) \* [وَآتَيْنَاهُ فِي ٱلْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu())\* [ثُمَّ أوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ](javascript:Open_Menu()).[[30]](#footnote-30)

[وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً](javascript:Open_Menu()).[[31]](#footnote-31)

[قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ](javascript:Open_Menu()).[[32]](#footnote-32)

وإن كان الألم يعتصر قلبه أن لم يؤمنوا، فلعلّ نظراته وهو يمشي وحيداً، تتوزع هنا وهناك؛ إلى ما كان قد ألفه من أرض وديار وأناس.

أولئك الذين خلفه ممن كانت تجمعه وإياهم علاقات عديدة من معرفة وصحبة وقربى.. رغم أنهم أو كبراءهم أرادوا قتله إحراقاً، لقد فعلوا لولا إرادته تعالى أن أنجاه من كيدهم، ومما حاكوه وخططوا له.

[وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأخْسَرِينَ](javascript:Open_Menu()).[[33]](#footnote-33)

[فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأسْفَلِينَ](javascript:Open_Menu()).[[34]](#footnote-34)

إنها "هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية. هجرة يترك وراءه فيها كلَّ شيء من ماضي حياته. يترك أباه وقومه وصحبه وأهله وبيته ووطنه وكلّ ما يربطه بهذه الأرض، وبهؤلاء الناس. ويدع وراءه كذلك كلّ عائق وكلّ شاغل. ويهاجر إلى ربّه، متخففاً من كلّ شيء، طارحاً وراءه كلّ شيء، مسلماً نفسه لربّه لا يستبقي منها شيئاً. موقن أن ربّه سيهديه، وسيرعى خطاه، وينقلها في الطريق المستقيم، إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزحمها في النفس شيء. إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين... ".[[35]](#footnote-35)

**ابن عاشور:** <لما نجا إبراهيم من نارهم صمّم على الخروج من بلده (اُور الكلدانيين) وهذه أول هجرة في سبيل الله للبعد عن عبادة غير الله. والتوراة بعد أن طوت سبب أمر الله إياه بالخروج ذكر فيها أنه خرج قاصداً بلاد حَران في أرض كنعان (وهي بلاد الفينيقيين).

والظاهر: أن هذا القول قاله علنَاً في قومه؛ ليكفوا عن أذاهُ، وكان الأمم الماضون يُعدّون الجلاء من مقاطع الحقوق، قال زهير:

|  |  |
| --- | --- |
| وإن الحقّ مقطعه ثلاث | يَمين أو نِفار أو جَلاء |

ولذلك لما اُمر رسول الله بالهجرة من مكة لم يتعرض له قريش في بادئ الأمر، ثم خافوا أن تنتشر دعوته في الخارج، فراموا اللحاق به، فحبسهم الله عنه. ويحتمل أن يكون قال ذلك في أهله الذين يريد أن يخرج بهم معه، فمعنى: ذَاهِبٌ إلىَ رَبِّي، مهاجر إلى حيث أعبد ربّي وحده ولا أعبد آلهة غيره، ولا أفتَن في عبادته كما فتنت في بلدهم. ومراد الله أن يفضي إلى بلوغ مكة؛ ليقيم هنالك أول مسجد لإِعلان توحيد الله، فسلك به المسالك التي سلكها حتى بلغ به مكة وأودع بها أهلاً ونسلاً، وأقام بها قبيلة دينُها التوحيد، وبنى لله معبداً، وجعل نسله حفظة بيت الله، ولعلّ الله أطلعه على تلك الغاية بالوحي، أو سترها عنه حتى وجد نفسه عندها؛ فلذلك أنطقه بأن ذهابه إلى الله نطقاً عن علم أو عن توفيق. ويستظهر أنَّ جملة: سَيَهْدِينِ، يجوز أن تكون حالاً؛ لأنه أراد إعلام قومه بأنه واثق بربّه وأنه لا تردد له في مفارقتهم، ويجوز أن تكون استئنافاً؛...>.[[36]](#footnote-36)

## الدعاء:

إذن فقد هاجر نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام، وكان يعقب قوله ذاك بدعاءٍ عظيم.

[رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).[[37]](#footnote-37)

يسأله ذرية صالحةً، فكانت خلفاً طيّباً؛ أنبياء كانوا وأئمة وهداة..! لقد استجاب الله دعاء عبده الصالح المتجرّد، الذي ترك وراءه كلّ شيء، وجاء إلى ربّه بقلب سليم..

وكأنه كان يخشى ما حدث لنوح عليه السلام أن كان له ابنٌ وصفه الله تعالى: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، وبالتالي انتفت النبوّة عن ذريته؛ لأنها غير صالحة كما وصفها القرآن الكريم، وقد يتكرر المشهد مع ذريته، لهذا راح إبراهيم عليه السلام بعد أن سأل ربَّه ولداً يكون من الصالحين، ذريةً؛ يطيعونك يارب ولا يعصونك، يصلحون في الأرض ولا يفسدون.. لهذا صار يُكثر من أدعيته لذريته متمنياً أن تحظى بمنازل النبوّة والإمامة والصلاح، حتى لا نجد مورداً في التنزيل العزيز يطلب فيه من الله تعالى شيئاً إلا وتراه يطلبه لذريته، ومن ذلك:

[رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ](javascript:Open_Menu()).[[38]](#footnote-38)

[وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ....[[39]](#footnote-39)](javascript:Open_Menu())

[رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ....[[40]](#footnote-40)](javascript:Open_Menu())

وفعلاً كم كان هذا النبيُّ عليه السلام موفقاً في ذهابه إلى ربِّه، فقد استجاب الله تعالى دعاءه، فكانت الذرية الصالحة، وكان الإسلام، وكانت النبوّة وكانت الإمامة، وكانت الصلاة في ذريته عليه السلام: .. رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاةَ!

وكانت تلك الأفئدة: فَاجْعَلْ أفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىۤ إِلَيْهِمْ!

[وكانت تلك الثمرات: وَ ارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ](javascript:Open_Menu())!

إنَّها جميعاً أنعمُ الله تعالى على ذلك الوادي الذي كان محيطاً ببيته المبارك، ذلك هو: [.. الْبَيْت ٱلْعَتِيق](javascript:Open_Menu())؛ ليكون قبلةً للناس، وأرض عبادة: ... [لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ](javascript:Open_Menu()).[[41]](#footnote-41) وبالتالي، [لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ فِيۤ أيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ .... [ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ](javascript:Open_Menu())](javascript:Open_Menu()).

إذن كانت هجرته عليه السلام هجرةً مباركةً على العالمين، خالدةً في عطائها، في أنعمها، في منافعها إلى يوم الدين!

**ابن عاشور:** <وجملة: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، بقية قوله، فإنه بعد أن أخبر أنه مهاجر، استشعر قلة أهله وعقم امرأته، وثار ذلك الخاطر في نفسه عند إزماع الرحيل؛ لأن الشعور بقلة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى؛ لأن المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السلوّ بوجود قرابته وأصدقائه..>.[[42]](#footnote-42)

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، وعن هَبْ في الآية وفي الكلام حذف، كما يقول القرطبي، أي هب لي ولداً صالحاً من الصالحين، وحذف مثل هذا كثير.

**يقول الزمخشري:** هب لي بعض الصالحين، يريد الولد؛ لأنّ لفظ الهبة غلب في الولد، وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى:

وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً.[[43]](#footnote-43) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ....[[44]](#footnote-44) قال عزّوجلّ: وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ.[[45]](#footnote-45) وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم ـ حين هنأه بولده عليّ أبي الأملاك ـ: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب. ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب وموهب، **...**

**ويعقب ابن عاشور على ما ذكره الزمخشري, من أنّ <**لفظ الهبة غلب في الولد>، لعله يعني أنّ هذا اللفظ غلب في القرآن في الولد: ولا أحسبه غلب فيه في كلام العرب لأني لم أقف عليه .. هذا أولاً.

وثانياً: مِنَ الصَّالِحِينَ، الذين قصدهم إبراهيم في دعائه، قد يكون طلب واحداً أو جمعاً ممن يتصفون بالصلاح يقف معه ويعينه في مشوار هجرته ودعوته، خاصة وقد نجاه الله تعالى من قومه وحيداً لم ترافقه إلاّ امرأته ولوط كان معه، [وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ](javascript:Open_Menu()).[[46]](#footnote-46)

وعن سبب وصفه بأنه من الصالحين، يقول ابن عاشور: <لأنّ نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً، فإنَّ صلاح الأبناء قُرة عين للآباء، ومن صلاحهم برُّهم بوالديهم>..[[47]](#footnote-47)

إنَّ من الواضح أنَّ دعاءه هذا جاء بعد هجرته من ديار قومه، وبعد سلامته من نار أوقدها له قومُه، فنجّاه الله تعالى إلى حيث تلك الأرض المباركة: [وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ](javascript:Open_Menu()). مما يدلّ على أنه لم يرزق الولد في قومه، وخرج بزوجته الوحيدة سارة، وقد بلغت هي الأخرى عمراً، ليست قادرةً فيه على الإنجاب..

والدليل على أنه طلب الولد، يمكن استفادة ذلك من آية البشارة: فَبَشَّـرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، فالله تعالى بشره بعد دعائه بالغلام، لعلمه تعالى بموضوع إبراهيم وبرغبته الولد والذرية. وبتحقيق رغبته وما يصبو إليه تتحقق البشارة، وأثرها يكون أوقع في نفسه، وإن كانت زوجته عقيماً..

يقول ابن عاشور: <وكان عمر إبراهيم حين خرج من بلاده نحواً من سبعين سنة، وبعد أن أخبر أنه مهاجر، استشعر قلّة أهله، وعقم امرأته، وثار ذلك الخاطر في نفسه عند إزماع الرحيل؛ لأن الشعور بقلة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى، لأن المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السلوّ بوجود قرابته وأصدقائه...

ومما يدل على أنه سأل النسل ما جاء في سفر التكوين (الاصحاح الخامس عشر)، «وقال أبرام إنك لم تعطني نسلاً، وهذا ابن بيتي (بمعنى مولاه) وارث لي (لأنهم كانوا إذا مات عن غير نسل ورثه مواليه)».[[48]](#footnote-48)

## البشارة:

مما تفرّد به هذا النبيُّ إبراهيم عليه السلام هو تلك البشائر من قِبل السماء حملتها آيات عديدة، تتضمن ما سينعم الله تعالى عليه من ذرية وهو في مرحلة شيخوخته، وامرأته عجوز عقيم؛ ولنا أن نتصور، كم كانت فرحة إبراهيم الوحيد المفرد المهاجر المقطوع من أهله وقرابته. لنا أن نتصور فرحته وقد بشّرته السماء بغلام حليم، وجاءت هذه البشارة في آية واحدة: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**.[[49]](#footnote-49)**

وبغلام عليم؛ وهو ما نجده في المقاطع التالية:

[**وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**](javascript:Open_Menu()) \* [إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ](javascript:Open_Menu())  \* [قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالَ أبَشَّـرْتُمُونِي عَلَى أن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ](javascript:Open_Menu()).[[50]](#footnote-50)

[هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ](javascript:Open_Menu()) \* [فَأوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()) \* [فَأقْبَلَتِ امْرَأتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالُواْ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ](javascript:Open_Menu()).[[51]](#footnote-51)

وفي سورة الصافات، جاءت البشارة لإبراهيم باسم المُبشّر به وهو إسحاق:

[وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).[[52]](#footnote-52)

كما أنّ تلك القصة جاء ذكرها في سورة هود: 69ـ 74. إلاّ أنّها بدل البشارة لإبراهيم بِغُلامٍ عَلِيمٍ، جاءت لزوجته فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، فكانت صريحة بذكر اسم ذلك الغُلام العليم مضيفةً عليه ابنه من بعده، فيكون حفيداً لإبراهيم.

[...وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُـشْرَىٰ ...](javascript:Open_Menu()) وامْرَأتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ \* [قَالَتْ يَاوَيْلَتَىٰ ءَألِدُ وَأنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالُواْ أتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ](javascript:Open_Menu()).

كما أنَّ هذين الشخصين بالاسمين المذكورين وردا في سورة الأنبياء هبةً من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).[[53]](#footnote-53)

ثمَّ إنّ هذه الهبة حصلت لإبراهيم عليه السلام في هذه الآية الكريمة بعد أمور وقعت لإبراهيم من قومه وما يعبدون من تماثيل، وكيده لها وكيدهم له، يبدأ هذا المقطع من الآية51 حتى الآية73 من سورة الأنبياء.

[وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ](javascript:Open_Menu()) \*  [إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ](javascript:Open_Menu()).

## وانتهت محاورته مع قومه أن:

[قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُواْ آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ](javascript:Open_Menu()).

فتدخلت السماء هنا لتوقف كيدهم هذا:

[قُلْنَا يا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ](javascript:Open_Menu()) \*  [وَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ](javascript:Open_Menu()).

ولم تكتف السماء بإنقاذه من النار، وتركه بينهم، بل نجّته من أيديهم إلى حيث تلك الأرض البعيدة عنهم:

[وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ](javascript:Open_Menu()).

ثمَّ جاءت الآية 71 الأنبياء؛ لتبيّن نعمة أخرى ألا وهي إسحاق ويعقوب:

[وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).

يتّضح من هذا أنَّ كلاًّ من البشارة تلك [بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()) والهبة سواء تلك التي وردت في الآية100 الصافات: [رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).

وهذه بـ: إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وقعتا بعد أن هاجر إبراهيم من ديار قومه بأمر الله تعالى.

لقد اختلفت آيات البشارة، فاثنتان تبشرانه بغلام عليم. الحجر:51 ... [وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ](javascript:Open_Menu())؛ الذاريات: 28[... إِنَّا نُبَشِّرُ‌كَ بِغُلامٍ عَلِيم](javascript:Open_Menu())ٍ.

وهو إسحاق كما هو صريح الآيات الأخرى أعلاه، وكما هو واضح من مجريات القصة. وقد توفرت فيها كل آيات البشارة، ولكن بغلام عليم، الواردة مرتين فقط، وكما هو واضح أنَّ المقصود بالبشارة فيها هو إسحاق، والعجوز العقيم أمُّه سارة، إذن فبضمّ كلّ هذه الآيات إلى بعضها، نعرف أنَّ المبشر به هو ليس إلاّ إسحاق، وهو محل اتفاق؛ لصراحة الآيات وللقرائن التي توفرت عليها المحاورة، التي وقعت بين الملائكة وسارة امرأة إبراهيم كما بُيّن في سورة هود، الآيات 71ـ73:

... وامْرَأتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ \*  [قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَـيْءٌ عَجِيبٌ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ](javascript:Open_Menu()).

وفي سورة الذاريات، الآيات: 28ـ30:

[... وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيم](javascript:Open_Menu())\* [فَأقْبَلَتِ امْرَأتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ](javascript:Open_Menu()) \* [قَالُواْ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ](javascript:Open_Menu()).

وما وقعَ مثلها بينهم وبين إبراهيم كما قُصّ في سورة الحجر51ـ56، فحُكي هناك ما دار بينهم وبين سارة، وحكي هنا ما دار بينهم وبين إبراهيم والمَقام واحد، والحالة واحدة: البشارة بغلام عليم وهو إسحاق، وهذا لاخلاف فيه.

هذا في ما يخصُّ البشارة بِغُلامٍ عَلِيمٍ**.**

وأما [بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ](javascript:Open_Menu())، فقد ورد لمرة واحدة، وفي آية واحدة فقط

وهي الصافات :101[فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()).

وكلَّ ما وقع من اختلاف في الأخبار وبين الأعلام نجده في المقطع القرآني وآياته 99ـ113 من سورة الصافات، وفيها موضوع البشارة الأولى..، والرؤيا..، والفداء..، فالبشارة الثانية...

[فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()) ... **\***  فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أنِّي أَذْبَحُكَ فانْظُرْ مَاذَا تَرَى \* [قَالَ يا أَ‌بَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ](javascript:Open_Menu()) **\*** [فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ](javascript:Open_Menu()) \* [وَنَادَيْنَاهُ أن يَا إِبْرَاهِيمُ](javascript:Open_Menu()) **\*** [قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ](javascript:Open_Menu())**\***  [إنَّ هَـذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ](javascript:Open_Menu())... \* [وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ](javascript:Open_Menu()) **\*** ... [وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).

وقد توفّر هذا المقطع، الذي جاء بعد المقطع من الآية 83 ـ 98 والذي يتضمن موقف إبراهيم مما يعبد أبوه وقومه، وقد ختم بقولهم: [قَالُوا ابْنُواْ لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ](javascript:Open_Menu()) \* [فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ](javascript:Open_Menu()).

وهو مثل ختام ذلك المقطع من سورة الأنبياء 68ـ70.

لقد توفّر هذا المقطع المبارك ( الصافات 99ـ113) على بشارتين، تتوسطهما رؤيا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثمَّ بفدائه بذبح، وجميعها لم يُتعرض لها إلاّ في هذا المقطع من سورة الصافات دون غيرها من السور القرآنية ..

يصف سيد قطب هذه الحلقة من حياة وسيرة نبيِّ الله إبراهيم الخليل، وهي حلقة الرؤيا والذبح والفداء، بأنها "مفصّلة المراحل والخطوات والمواقف، في أسلوبها الأخاذ وأدائها الرهيب! ممثلةً أعلى صور الطاعة والتضحية والفداء والتسليم في عالم العقيدة في تاريخ البشرية الطويل".[[54]](#footnote-54)

## أما البشارتان:

## فالأولى:

[فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()).

وقد جاءت بعد دعائه عليه السلام:

[رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu())

ابن عاشور: والحليم: "الموصوف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق. قيل: ما نَعَتَ الله الأنبياء بأقلّ مما نعتهم بالحلم".

أقول: لم يصف القرآن الكريم بالحلم إلاّ هذا الغلام في الآية المذكورة، وإلاّ أباه نبيّ الله إبراهيم إنَّ إبرَاهيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ.[[55]](#footnote-55) إنَّ إبرَاهيمَ لَحَليِمٌ أَوّاهٌ مُنِيبٌ.[[56]](#footnote-56) أما شعيب فقد وصف من قبل قومه: .. [إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ](javascript:Open_Menu()).[[57]](#footnote-57)

" قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الهزؤ والتهكم وأرادوا به ضد ذلك أي السفيه الغاوي عن ابن عباس.

وقيل: إنهم قالوا ذلك على التحقيق أي أنك أنت الحليم في قومك، فلا يليق بك أن تخالفهم.

والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد". هذا ما ذكره الشيخ الطبرسي في تفسيره.

الشيخ الطبرسي: ثم أخبر سبحانه أنه استجاب لإِبراهيم دعاءه بقوله: [فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()). أي بابن وقور .. عن الحسن قال: وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً أجل من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الأمر قبل وقته مع القدرة عليه...

القرطبي: [فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ](javascript:Open_Menu()). أي إنه يكون حليماً في كبره فكأنه بُشِّر ببقاء ذلك الولد؛ لأنّ الصغير لا يوصف بذلك،..

قال الزجاج: هذه البشارة تَدُلُّ على أنه مبشَّر بابن‌ٍ ذَكَر، وأنه يبقى حتى ينتهيَ في السنّ ويوصَف بالحِلم..

أبو حيان: وأي حلم أعظم من قوله، وقد عرض عليه أبوه الذبح: سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.[[58]](#footnote-58)

مكتفيةً الآية بهذا الوصف، الذي سنرى آثاره على هذا الغلام، دون أن تُبين اسمه، فصار هذا موضع اختلاف.

وأما الرؤيا فهي رؤيا إبراهيم بذبح ذاك الذي وصفته الآية بأنه غلام حليم، بعد أن بُشر به، وبعد أن بلغ سنّاً تؤهّله أن يكون شاباً بالغاً عابداً عاملاً منتجاً..

**وفي مجمع البيان:** ثم أخبر سبحانه أنّ الغلام الذي بشَّره به ولد له وترعرع بقوله: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْي، أي شبَّ حتى بلغ سعيه سعى إبراهيم عن مجاهد، والمعنى بلغ إلى أن يتصرف ويمشي معه ويعينه على أموره قالوا: وكان يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: يعني بالسعي العمل لله والعبادة.[[59]](#footnote-59)

## والثانية:

[وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()).

إذن فمَن المبشّر به؟ ومَن هو الذبيح؟!

إنَّ البشارة الأولى لنبيِّ الله إبراهيم عليه السلام، وتبعاً لها قصة الذبيح، صارت لا فقط موضع اختلاف بين بعض علماء المسلمين وعلماء النصارى، بل موضع اختلاف أيضاً بين علماء المسلمين أنفسهم؛ وقبلهم بين الصحابة والتابعين، وحتى أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد نُسبت إليهم أخبار، يتبين من بعضها أنَّ إسحاق هو متعلّق البشارة في سورة الصافات، وهو بالتالي يكون الذبيح، ومنها من تذهب إلى أنَّ إسماعيل هو المبشّر به وهو الذبيح.. من هذا يتضح دقّة هذا الموضوع، وصعوبة البتّ به، ولهذا اختلف الأعلام فيه..

فعلماء النصارى أجمعوا على أنّ المبشر به هو إسحاق، وكذا هو الذبيح، والتحق بهم بعض علماء المسلمين، فيما ذهب بعض آخر من علماء المسلمين إلى التفريق بين البشارة بإسحاق، التي حصلت في آيات قرآنية في (سورة الحجر, وهود, والذاريات) والبشارة، التي حصلت في سورة الصافات، والتي هي بإسماعيل.

علماً بأنّ القرآن الكريم سكت في هذا المقطع من سورة الصافات عن بيان ذلك صراحة، مكتفياً بذكر البشارة، التي اختلف في متعلقها أهو إسحاق أو إسماعيل؟ فيما البشارة الواردة في السور الأخرى، كانت تشير إما صراحة وإما من خلال القرائن أنَّ المبشر به هو إسحاق، فلم يقع الاختلاف، إنما وقع في المقطع القرآني من سورة الصافات؛ لعدم تصريحه لا باسم المبشّر به ولا باسم الذبيح، لكن المقطع المذكور وإن لم يكن صريحاً في ذلك، إلاّ أنَّ المؤكد أنَّ الذبيح هو الغلام المبشر به في هذا المقطع، والموصوف بالحلم، كما أنَّه لا يخلو من قرائن استُفيد منها للدلالة على أنَّ الغلام الحليم هو إسماعيل، وبما أنه هو المبشّر به، فهو الذبيح بحسب السياق، وهو الملقب بذبيح الله، ومن ذهب إلى أنَّ البشارة هنا في الصافات لا تختلف عن تلك التي هي في السور الأخرى المذكورة، فيكون المبشر به عندئذ هو إسحاق، ويحمل الصفتين معاً فهو غلام عليم وهو نفسه غلام حليم، و هو الذبيح.. وهو:

**الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام،** على رأي القرطبي القائل: "بشّربِغُلامٍ حَلِيمٍ، وذلك قبل أن يتزوّج هاجر، وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بُشر بولد إلاّ إسحاق".[[60]](#footnote-60)

**أقول:** صحيح أنَّ القرآن الكريم، لم يهتم بمن هو الأكبر منهما، لكن يمكن استفادة ذلك من أنَّ التنزيل العزيز، الذي لم يأت على ذكر الغلامين أو الأخوين النبيين معاً في أي موضع منه، إلاّ قدّم ذكر إسماعيل على إسحاق، ولعلّ من هذا التقديم يُستفاد أنَّ إسماعيل هو الأكبر، لاحظ حين راح إبراهيم يحمد الله تعالى في الآية 39 من سورة إبراهيم:

[أَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ](javascript:Open_Menu()).

وهذا اعتراف من إبراهيم بنعم الله سبحانه، وراح يحمد الله تعالى على إحسانه بأن وهب له على الكبر؛ كبر سنّه ولدين.

ولعلّه قدّم ذكر إسماعيل أيضاً؛ لأنه المعني بمكة وما يخصّ البيت الحرام، فقد جاءت هذه الآية ضمن سياق آيات يتوفر على مجموعة من أدعيته عليه‌السلام لمكة والوادي والبيت الحرام..

... [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ](javascript:Open_Menu()).

[رَّبَّنَآ إِنَّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ](javascript:Open_Menu()) \*... [الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ](javascript:Open_Menu()).

ولكن التقديم هذا ورد في آيات أخرى أيضاً: فعن سؤال يعقوب بنيه، جاءت الآية 133 من سورة البقرة:

[أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ](javascript:Open_Menu()).

الشيخ الطبرسي: وإنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق؛ لأنه كان أكبر منه، وإسماعيل كان عمّ يعقوب، وجعله أباً له؛ لأنّ العرب تسمي العمّ أباً كما تسمي الجد أباً، وذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب؛ ولهذا قال النبيُّ: <ردّوا عليَّ أبي>. يعني العباس عمّه.

وفي الإيمان بجميع الرسل والنبيين، تأتي الآية 136 من سورة البقرة:

[قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا اُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا اُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ](javascript:Open_Menu()).

والآية 84 من سورة آل عمران:

[قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا اُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ](javascript:Open_Menu()).

وفي الحوار **حول ابراهيم وولديه وحفيده** ، تأتي الآية 140 من سورة البقرة:

[أمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَـاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أوْ نَصَارَى](javascript:Open_Menu()).

وفيما يتعلق بالوحى، تأتي الآية 163 من سورة النساء :

[إِنَّا أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَعِيسـَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً](javascript:Open_Menu()).

نلاحظ في كلّ هذه الآيات القرآنية مجيء إسماعيل بعد إبراهيم مباشرةً وقبل أخيه إسحاق، حينما يقترنا في آية..

هذا ويقول الرازي: وإنما ذكر قوله: عَلَى الْكِبَرِ، لأنّ المنّة بهبة الولد في هذا السّنّ أعظم، من حيث إنّ هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم، ولأنّ الولادة في تلك السّنّ العالية كانت آية لإبراهيم.. وعلى في قوله: عَلَى الْكِبَرِ، بمعنى مع كقول الشاعر:

|  |  |
| --- | --- |
| إني على ماترين من کبري | أعلم من حيث يؤکل الکتف |

وهو في موضع الحال ومعناه: وهب لي في حال الكبر.

وقد اختلف في سنّه هذا، يقول الرازي: اعلم أنّ القرآن يدلّ على أنه تعالى إنما أعطى إبراهيم عليه السلام هذين الولدين أعني إسمعيل وإسحاق على الكبر والشيخوخة، فأما مقدار ذلك السن فغير معلوم من القرآن وإنما يرجع فيه إلى الروايات.

والروايات مختلفة، فعن ابن عباس أنّه قال: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة، وروي أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين. وإسحاق لتسعين. وعن سعيد بن جبير: لم يولد لإبراهيم إلاّ بعد مائة وسبع عشرة سنة.[[61]](#footnote-61)

صحيح أنَّ البشارة بأي منهما تريح قلب إبراهيم وتفرحه.. وصحيح أنَّ الابتلاء لإبراهيم بأي منهما أن يكون هو الذبيح، يوجع قلبه، وقد وقع له ذلك وهو في وقت كونه شيخاً كبيراً، فقد جاءه الولد المذكور على كِبر سنّه، وهو أحبّ إليه من نفسه، وإذا به يُؤمر بقتله وبيده.. لقد كان معروفاً بأنه صاحب الابتلاآت والاختبارات الكثيرة، وعرف بأنه كما وصفته السماء كان خاشعاً مطيعاً لربّه فيما أمره وفيما نهاه وفيما ابتلاه.. قائماً بشكر نعمة ربّه عليه. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ ... \*شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ ....[[62]](#footnote-62) لهذا ما من ابتلاء إلاّ خرج منه وقد سجل فوزاً عظيماً ودرجةً رفيعةً..

لكنَّ هذين السؤالين في المقطع القرآني 99ـ113 من سورة الصافات، صارا موضع الكلام بين الصحابة والتابعين والمفسرين، فالمتفق عليه بينهم في أنّ المبشّر به، الموصوف بأنه غلام حليم هو الذبيح، دون أن يذكر اسمه صراحةً، ولعلَّ السبب في عدم ذكر الذبيح باسمه، يقول ابن عاشور الذي يذهب إلى أنه إسماعيل:

<وقد أشارت هذه الآيات إلى قصة الذبيح ولم يسمه القرآن؛ لعلّه لئلا يثير خلافاً بين المسلمين وأهل الكتاب في تعيين الذبيح مِن ولدَيْ إبراهيم، وكان المقصد تألف أهل الكتاب لإِقامة الحجة عليهم في الاعتراف برسالة محمد وتصديق‌ِ القرآن، ولم يكن ثَمة مقصد مهمّ يتعلق بتعيين الذبيح، ولا في تخطئة أهل الكتاب في تعيينه، وأمارة ذلك أن القرآن سمّى إسماعيل في مواضع غير‌ِ قصة الذبح، وسمَّى إسحاق في مواضع، ومنها بشارة أمّه على لسان الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لُوط، وذكر اسمَيْ إسماعيل وإسحاق أنهما وُهبا له على الكِبر، ولم يسمّ أحداً في قصة الذبح قصداً للإِبهام مع عدم فوات المقصود من الفضل؛ لأنّ المقصود من القصة التنويه بشأن إبراهيم، فأي ولديه كان الذبيح كان في ابتلائه بذبحه وعزمه عليه، وما ظهر في ذلك من المعجزة تنويهٌ عظيم بشأن إبراهيم.

وقال الله تعالى :

وَلاَ تُجَادِلوُا أهْلَ الْكِتَابِ إلاَّ بِالَّتى هِىَ أحْسَنُ.[[63]](#footnote-63)

وقال النبيُّ: <لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم>.[[64]](#footnote-64)

لقد كان ذلك سبباً لاختلافهم في الغلام الحليم؛ أهو إسماعيل أو هو إسحاق، وبالتالي يكون هو الذبيح. ولكلٍّ حججه وأدلته؛ حتى صاروا طوائف ثلاثاً:

الطائفة الأولى: لاذت بالسكوت فلم تبدِ رأياً ولم ترجح قولاً. وفوّضت علم ذلك إلى الله تعالى؛ ومنها الزجاج فقد قال: الله أعلم أيهما الذبيحين.

ويظهر لي أنّ الفخر الرازي تبع الزجاج في ذلك، فبعد أن أورد أدلة الفريقين، انتهى إلى التالي: وكان الزجاج يقول: الله أعلم أيهما الذبيح، والله أعلم.

ثم قال: واعلم أنه يتفرع على ما ذكرنا اختلافُهم في موضع الذبح، فالذين قالوا: الذبيح هو إسماعيل قالوا: كان الذبح بمنى، والذين قالوا: إنه إسحاق قالوا: هو بالشام وقيل ببيت المقدس، والله أعلم.

جاء رأيه هذا بعد أن أورد ستة أدلة تبناها الفريق القائل بأنّ إسماعيل هو الذبيح، يقابلها وجهان احتجّ بهما من قال: إنّ ذلك الذبيح هو إسحاق، فقد ذكرها في المسألة الثانية، بعد أن ذكر من نسب إليه القول بأنّ الذبيح هو إسحاق: وهم عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل.

وأما من ذكر أنه إسماعيل، فهم ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي.

قال: واحتج القائلون بأنه إسماعيل بوجوه:

الأول: أنّ رسول الله قال: <أنا ابن الذبيحين>.

وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين، فتبسم، فسئل عن ذلك فقال: إنّ عبد المطلب لما حفر بئر زمزم، نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، والذبيح الثاني إسماعيل.

الحجة الثانية: نقل عن الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة؟

الحجة الثالثة: أنّ الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: وَإِسْمَـاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مّنَ الصَّـابِرِينَ.[[65]](#footnote-65)

وهو صبره على الذبح، ووصفه أيضاً بصدق الوعد في قوله: إِنَّهُ كَانَ صَـادِقَ الْوَعْدِ.[[66]](#footnote-66)

لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به.

الحجة الرابعة: قوله تعالى: فَبَشَّرْناهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَـاقَ يَعْقُوبَ.

فلو كان الذبيح إسحاق؛ لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك.

فالأول باطل، لأنه تعالى لما بشرها بإسحاق، وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه، وإلاّ حصل الخلف في قوله: وَمِن وَرَاءِ إِسْحَـاقَ يَعْقُوبَ.

والثاني باطل، لأنّ قوله: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنّى أَذْبَحُكَ، يدل على أنّ ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل إلى حدّ القدرة على الفعل، أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر، فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق.

الحجة الخامسة: حكى الله تعالى عنه أنه قال: إِنّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبّى سَيَهْدِينِ.[[67]](#footnote-67)

ثم طلب من الله تعالى ولداً يستأنس به في غربته فقال:رَبّ هَبْ لِى مِنَ الصّالِحِينِ**.**[[68]](#footnote-68)

وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد؛ لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد، لأنّ طلب الحاصل محال، وقوله: هَبْ لِى مِنَ الصَّـالِحِينِ، لا يفيد إلاّ طلب الولد الواحد، وكلمة من للتبعيض وأقل درجات البعضية الواحد فكأنّ قوله: مِنَ الصَّـالِحِينَ. لايفيد إلاّ طلب الولد الواحد، فثبت أنّ هذا السؤال لا يحسن إلاّ عند عدم كلّ الأولاد، فثبت أنّ هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول، وأجمع الناس على أنّ إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق، فثبت أنّ المطلوب بهذا الدعاء وهو إسماعيل، ثم إنّ الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبيح، فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.

الحجة السادسة: الأخبار الكثيرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة، فكأن الذبيح بمكة. ولو كان الذبيح إسحق كان الذبح بالشام .

واحتج من قال إنّ ذلك الذبيح هو إسحاق بوجهين:

الوجه الأول: أنّ أول الآية وآخرها يدل على ذلك، أما أولها فإنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنه قال: إِنّى ذَاهِبٌ إِلىَ رَبّى سَيَهْدِينِ، وأجمعوا على أنّ المراد منه مهاجرته إلى الشام، ثم قال: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَليِمٍ**.**

فوجب أن يكون هذا الغلام ليس إلاّ إسحاق، ثم قال بعده: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ. وذلك يقتضي أن يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام، فثبت أنّ مقدمة هذه الآية تدل على أنّ الذبيح هو إسحاق، وأما آخر الآية فهو أيضاً يدل على ذلك، لأنه تعالى لما تمم قصة الذبيح قال بعده: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مّنَ ٱلصَّالِحِينَ. ومعناه أنه بشره بكونه نبياً من الصالحين، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة لأجل أنه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح، فثبت بما ذكرنا أنّ أول الآية وآخرها يدل على أنّ الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

الحجة الثانية: على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب إلى يوسف عليه‌السلام من يعقوب إسرائيل نبيّ الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

فهذا جملة الكلام في هذا الباب، وكان الزجاج يقول: الله أعلم أيهما الذبيح، والله أعلم. واعلم أنه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو إسماعيل قالوا: كان الذبح بمنى، والذين قالوا: إنه إسحاق قالوا هو بالشام وقيل ببيت المقدس، والله أعلم.[[69]](#footnote-69)

فيما الطائفة الثانية: لم تفرق بين هذا المقطع وبين المقاطع الثلاثة، وبالتالي جعلت البشارة الواردة فيه وفي جميع المقاطع بإسحاق، وكذا هو الذبيح. ولم ترَ فرقاً بين الآيات التي ذكرت فيها البشارة بإسحاق ووصف فيها بأنه غلام عليم، وبين آية الصافات، التي وصف فيها الغلام بأنه غلام حليم.. فلا يرون أنَّ هذا الوصف يدلُّ على أنَّ الغلامين مختلفان. وقد ذكر الرازي حجّتين لمن تبنى هذا الرأي. ذكرناهما أعلاه.

فالطبري في تفسيره، وكذا في تاريخه، لا يفرق بين البشارة في السور: هود، الحجر، الذاريات، والتي كانت بإسحاق. وبين البشارة في سورة الصافات، فعنده هي بشارة واحدة وهي بإسحاق دون إسماعيل وإن تعددت مواقعها وسياقاتها .. وبما أنَّ إسحاق هو من بُشر به، فهو الذبيح أيضاً ، وتبعه في هذا عدد من الرواة والمفسرين**.**

وأسند هذا القول لكل من عكرمة وقتادة عن الآية: فَبَشَّـرْناهُ بِغُلامٍ حَلِـيـمٍ، فالأول قال: هو إسحاق. والثاني قال: بشر بإسحاق، قال: لـم يُثْنَ بـالـحلـم علـى أحد غير إسحاق وإبراهيـم.

ثمَّ واصل الطبري كلامه حول البشارة بإسحاق حينما تحدث عن قصة الذبيح في قوله: قالَ يا بُنَـيَّ إنِّـي أَرَى فِـي الـمَنامِ أَنّـي أَذْبَحُكَ. يقول تعالـى ذكره: قال إبراهيـم خـلـيـل الرحمن لابنه: يا بُنَـيَّ إنِّـي أَرَى فِـي الـمَنامِ أَنّـي أَذْبَحُكَ، وكان فـيـما ذكر أن إبراهيـم نذر حين بشَّرته الـملائكة بإسحاق ولداً أن يجعله إذا ولدته سارّة لله ذبـيحاً، فلـما بلغ إسحاقُ مع أبـيه السَّعْي اُر‌ِي إبراهيـم فـي الـمنام، فقـيـل له: أوفِ لله بنذرك، ورؤيا الأنبـياء يقـين، فلذلك مضى لـما رأى فـي الـمنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال.

هذا وأنَّ الطبري ذكر كلا القولين في إسحاق وفي إسماعيل، وما ورد فيهما من أخبار، وأخبار مع ذكرها للبشارة والذبح سكتت عن ذكر الاسم، ولكثرتها وخوف الإطالة، أعرضنا عن ذكرها، فلتراجع في محلّها.

وخلص أخيراً إلى أنَّ أولـى القولـين بـالصواب فـي الـمفْدِيّ من ابنـي إبراهيـم خـلـيـل الرحمن علـى ظاهر التنزيـل قول من قال: هو إسحاق؛ لأنّ الله قال: وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيـمٍ، فذكر أنه فَدَى الغلامَ الـحلـيـمَ الذي بُشِّر به إبراهيـم حين سأله أن يهب له ولداً صالـحاً من الصالـحين، فقال:

 رَبِّ هَبْ لِـي مِنَ الصَّالِـحِينَ، فإذ كان الـمفدِيّ بـالذبح من ابنـيه هو الـمبشَّر به، وكان الله تبـارك اسمه قد بـين فـي كتابه أنّ الذي بُشِّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جلّ ثناؤه:

فَبَشَّرْناهُ بإسَحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسحَاقَ يَعْقُوبَ، وكان فـي كلّ موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنـما هو معنّى به إسحاق، كان بـيِّناً أن تبشيره إياه بقوله: فَبَشَّرْناهُ بغُلامٍ حَلِـيـمٍ، فـي هذا الـموضع نـحو سائر أخبـاره فـي غيره من آيات القرآن.

ثمَّ واصل كلامه قائلاً: إنّ الله أخبر جلّ ثناؤه فـي هذه الآية عن خـلـيـله أن بشَّره بـالغلام الـحلـيـم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالـحين، ومعلوم أنه لـم يسأله ذلك إلاّ فـي حال لـم يكن له فـيه ولد من الصالـحين، لأنه لـم يكن له من ابنـيه إلاّ إمام الصالـحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربّه فـي هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنّ الذي ذكر تعالـى ذكره فـي هذا الـموضع هو الذي ذكر فـي سائر القرآن أنه بشَّره به، وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان الـمفديّ هو الـمبشَّر به. وأمّا الذي اعتلّ به من اعتلّ فـي أنه إسماعيـل، أنّ الله قد كان وعد إبراهيـم أن يكون له من إسحاق ابن، فلـم يكن جائزاً أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم فإنّ الله إنـما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير مـمكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فـيها أولاد، فكيف الواحد؟

وأما اعتلال من اعتل بأنّ الله أتبع قصة الـمفديّ من ولد إبراهيـم بقوله: وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِـيًّا، ولو كان الـمفديّ هو إسحاق لـم يبشَّر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإنّ البشارة بنبوّة إسحاق من الله فـيـما جاءت به الأخبـار جاءت إبراهيـم وإسحاق بعد أن فُدِي تكرمة من الله له علـى صبره لأمر ربّه فـيـما امتـحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتلّ بأنّ قرن الكبش كان معلقاً فـي الكعبة فغير مستـحيـل أن يكون حُمِل من الشام إلـى مكة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلـم أنّ إبراهيـم إنـما أُمِر بذبح ابنه إسحاق بـالشام، وبها أراد ذبحه.[[70]](#footnote-70)

وكذا القرطبي في تفسيره، وقبل أن يبدأ بكلام طويل يتضمن أقوالاً وروايات حول ابني إبراهيم عليهم السلام بخصوص هاتين المسألتين، ذهب إلى أنَّ إسحاق هو الذبيح، نجد هذا فيما ذكره في المسألة الثانية: قوله تعالى: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينِ، لما عرّفه الله أنه مخلّصه دعا اللّه ليعضُده بولد يأنس به في غُرْبته... قال الله تعالى: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ، أي إنه يكون حليماً في كبره، فكأنه بُشِّر ببقاء ذلك الولد؛ لأنّ الصغير لا يوصف بذلك، فكانت البشرى على ألسنة الملائكة كما تقدّم في «هود». ويأتي أيضاً في «الذاريات>.

وفي مواضع اُخر راح يذكر الاختلاف، ويؤيد القول الذاهب إلى كون المبشر به والذبيح هو إسحاق، فقال :

وٱختلف العلماء في المأمور بذبحه. فقال أكثرهم: الذبيح إسحاق. وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وٱبنه عبد الله، ثمَّ يقول: وهو الصحيح عنه.

روى الثوريّ وابن جريج يرفعانه إلى ابن عباس قال: الذبيح إسحاق. وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود أنّ رجلاً قال له: يا بن الأشياخ الكرام. فقال عبد الله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. وقد روى حماد بن زيد يرفعه إلى رسول الله قال:

**<إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم>.**

روى أبو الزبير عن جابر قال: الذبيح إسحاق. وذلك مروي أيضاً عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وعن عبد الله بن عمر: أنّ الذبيح إسحاق. وهو قول عمر رضي الله عنه. فهؤلاء سبعة من الصحابة.

وقال به من التابعين وغيرهم عَلْقَمة والشّعبي ومجاهد وسعيد بن جُبير وكعب الأحبار وقتادة ومسروق وعِكرمة والقاسم بن أبي بَزَّة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهريّ والسديّ وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس، كلهم قالوا: الذبيح إسحاق. وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما.

قال سعيد بن جبير: اُر‌ِيَ إبراهيمُ ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتى أتى به المنحر من مِنىً؛ فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه، وسار به مسيرة شهر في رَوْحة واحدة طويت له الأودية والجبال. وهذا القول أقوى في النقل عن النبيِّ وعن الصحابة والتابعين.

وقال آخرون: هو إسماعيل. وممن قال ذلك أبو هريرة وأبو الطفيل عامر بن واثلة. وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضاً، ومن التابعين سعيد بن المسيّب والشّعبي ويوسف بن مِهْران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القُرَظيّ والكلبي وعلقمة.

وسئل أبو سعيد الضرير عن الذبيح فأنشد:

|  |  |
| --- | --- |
| إنّ الذبيح هُدِيتَ إسماعيلُ | نَطقَ الكتابُ بذاك والتنزيلُ |
| شرفٌ به خصّ الإلهُ نبيَّنا | وأتى به التفسيرُ والتأويلُ |
| إن كنتَ اُمَّتَه فلا تُنْكِرْ لَهُ | شرفاً به قد خَصّه التفضيلُ |

وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عَزَب عنك عقلك! ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة.

وروي عن النبيّ أنّ الذبيح إسماعيل.

ويخلص القرطبي إلى أنَّ الأوّل أكثر عن النبيّ وعن أصحابه وعن التابعين. واحتجوا بأن الله عزّوجلّ قد أخبر إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال:  
إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ،[[71]](#footnote-71)

أنه دعا فقال: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فقال تعالى: فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ؛[[72]](#footnote-72) ولأنّ الله قال: وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، فذكر أنّ الفداء في الغلام الحليم الذي بُشِّر به إبراهيم وإنما بُشِّر بإسحاق؛ لأنه قال: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، وقال هنا: بِغُلامٍ حَلِيمٍ، وذلك قبل أن يتزوّج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بُشر بولد إلاّ إسحاق.

احتج من قال: إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ،[[73]](#footnote-73) وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله:

 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفّى به؛ ولأن الله تعالى قال: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً، فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيًّا، وأيضاً فإن الله تعالى قال: فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب؟

وإيضاً ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدلّ على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس.

ثمَّ ردَّ هذه الأدلة الذاهبة إلى أنَّ الذبيح هو إسماعيل بقوله: وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع؛ أما قولهم:

كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبيّاً، فإنه يحتمل أن يكون المعنى: وبشرناه بنبوّته بعد أن كان من أمره ما كان؛ قاله ابن عباس...

ولعله اُمِر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحق يعقوب. ويقال: لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحق.

وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس، فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدّم.

وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح. وهذا مذهب ثالث...[[74]](#footnote-74)

والنحاس يميل إلى أنّ الذبيح هو إسحاق، يظهر ذلك من ردّه لدليلي بعض أهل العلم على أنَّ الذبيح هو إسماعيل:

الأول: أنَّ إسماعيل كان بمكة وكان الذبح بمنى. فيقول: وهذا لا يلزم، روي عن ابن عباس أنه قال: كان الذبح بالشام، وقال عبيد بن عمير: كان بالشام، وإن كان مجاهد قد قال: كان بمنى.

الثاني: وقال بعضهم في القرآن ما يدل على أنه إسماعيل ، قال الله عزَّوجلَّ: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ،[[75]](#footnote-75) فدلّ بهذا على أنّ إسحاق سيعيش حتى يولد له، فكيف يؤمر بذبحه؟

قال أبو جعفر: وهذا أيضاً لا يثبت حجّة؛ لأنه يجوز أن  
يؤمر بذبحه، وقد علم أنه يولد له؛ لأنه يجوز أن يحييه الله جلّ وعزّ بعد ذلك.[[76]](#footnote-76)

أقول: إن كان يقصد الطبري، وهو كذلك، فلم أجد فيما تيسر لي قول أبي جعفر هذا باللفظ نفسه لا في تفسيره ولا في تاريخه. وإن كان أبو جعفر يرى أنّ المبشر به والذبيح هو إسحاق كما ذكرنا.

وأما الطائفة الثالثة: فقد ذهبت إلى أنَّ البشارة في السور الأخرى؛ جاءت بإسحاق، أما البشارة في مقطع سورة الصافات، فهي تعني إسماعيل، وهو الذبيح، ذلك الذي شارك أباه في رفع قواعد البيت الحرام.

[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ](javascript:Open_Menu())،[[77]](#footnote-77)

فالشيخ مكارم يقول: <وبغضّ النظر عمّا قيل، فهناك قضيّة مسلّم بها، وهي أنّ الطفل الذي جاء به إبراهيم مع اُمّه إلى مكّة المكرّمة بأمر من الله ثمّ تركهما هناك، وساعده من بعد في بناء الكعبة المشرّفة، وأدّى مراسم الطواف والسعي هو إسماعيل، وهذا يدلّ على أنّ الذبيح هو إسماعيل؛ لأنّ عملية الذبح تكمل الأعمال المذكورة...[[78]](#footnote-78)

## ومن أهم أدلة هذه الطائفة:

الآية: وَبَشَّرْنَـاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً، التي جاءت بعد ذكر قصة الذبح... والخبر المروي عن الرسول أنه قال: ... وانظر الأدلة الستة التي ذكرها الرازي أعلاه: <أنَا ابْنُ الذَّبيحَيْن>.

ومن هذه الطائفة ابن كثير، وخلاصة قوله: أنّ إسماعيل أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام، وأنّه أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، ففي نصّ كتابهم أنّ إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أنّ الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى: بكره، فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحاق، ولا يجوز هذا، لأنه مخالف لنصّ كتابهم، وإنما أقحموا إسحاق؛ لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك، وحرفوا وحيدك بمعنى: الذي ليس عندك غيره، فإنّ إسماعيل كان ذهب به وبأمّه إلى مكة، وهو تأويل وتحريف باطل؛ فإنه لا يقال وحيدك إلاّ لمن ليس له غيره، وأيضاً فإنّ أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وأما ردُّ ابن كثير على ما ذهب إليه جماعة من أهل العلم، وعلى ما نُقل عن بعض الصحابة من أن الذبيح هو إسحاق، فيقول : وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلم من غير حجّة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل؛ فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصّالِحِينَ،[[79]](#footnote-79)

ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق، قالوا: إِنَّا نُبَشِّرُ‌كَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ.[[80]](#footnote-80)

وقال تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ.[[81]](#footnote-81)

أي: يولد له في حياتهم ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل،.. وأنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأنّ الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً؟

وإسماعيل وصف ههنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام... وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران، وينظر في أمرهما، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك، والله أعلم.[[82]](#footnote-82)

## والشيخ الطبرسي، بعد أن يذكر اختلاف العلماء في الذبيح على قولين:

أحدهما: أنه إسحاق، وروي ذلك عن علي، وابن مسعود، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، والزهري، والسدي، والجبائي.

والقول الآخر: أنه إسماعيل، عن ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن، والشعبي، ومجاهد، والربيع بن أنس، والكلبي، ومحمد بن كعب القرظي..

يقول: وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا.

لكنه يقول: إلاّ أنّ الأظهر في الروايات أنه إسماعيل. ويعضده قوله بعد قصة الذبح:وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصّالِحِينَ، ومن قال: إنه بشر بنبوة إسحاق، فقد ترك الظاهر، ولأنه قال في موضع آخر:

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. فبشره بإسحاق وبأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشّره بذرية إسحاق ثم يأمره بذبح إسحاق مع ذلك، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **<أنا ابن الذبيحين>،**ولا خلاف أنه من ولد إسماعيل والذبح الآخر هو عبد الله أبوه. وحجة من قال: إنه إسحاق أنّ أهل الكتابين أجمعوا على ذلك؛ وجوابه إنّ إجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول.

وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح؟ فقلت: إسماعيل. واستدللت بقوله:وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصّالِحِينَ، فأرسل إلى رجل بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال إسماعيل. ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إنّ اليهود لتعلم ذلك ولكنَّهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأنه أبوهم...[[83]](#footnote-83)

والسيّد الطَّباطبائي؛ كان ممن يذهب إلى أنّ المبشر به والذبيح هو إسماعيل، يتضح هذا من ردّه لما قاله الطبري، حيث يقول السيد عن هذا المقطع من الصافات:

<واعلم أن هذه الآية المتضمنة للبشرى بإسحاق بوقوعها بعد البشرى السابقة بقوله: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَليِمٍ، المتعقبة بقوله: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، إلى آخر القصة ظاهرة كالصريحة أو هي صريحة في أنّ الذبيح غير إسحاق وهو إسماعيل عليهما السلام>.

وقد فصّل القول في هذا في سورة الأنعام، في قصة نبيِّ الله إبراهيم، وما جاء عن هذا المورد في القرآن الكريم، ولكن بعد أن يردَّ ما جاء في التوراة: أنّ الذبيح هو إسحاق دون إسماعيل بقوله: <مع أنّ قصة إسكانه بأرض تهامة وبنائه الكعبة المشرّفة وتشريع عمل الحج الحاكي لما جرى عليه وعلى اُمّه من المحنة والمشقة في ذات الله، وقد اشتمل على الطواف والسعي والتضحية، كلّ ذلك تؤيِّد كون الذبيح هو إسماعيل دون إسحاق عليهما السلام>.

وما وقع في إنجيل برنابا أنّ المسيح لام اليهود ووبَّخهم على قولهم بأنّ الذبيح هو إسحاق دون إسماعيل قال في الفصل44: <فكلم الله إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل؛ لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون إسحاق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟>.[[84]](#footnote-84)

ثمَّ يقول: <... والمتدبر في الآيات الكريمة <الصافات: 98ـ113، لا يجد مناصاً دون أن يعترف أنّ الذبيح هو الذي ذكر الله سبحانه البشارة به في قوله: فَبَشَّـرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ، وأنّ البشارة الأخرى التي ذكرها أخيراً بقوله: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ، غير البشارة الأولى، والذي بشّر به في الثانية وهو إسحاق غير الذي بشّر به في الأولى، وأردفها بذكر قصة التضحية به>.

ثمَّ يذكر ما قاله الطبري في تاريخه في الصفحات: 158، 162، 163، وما جاء في تفسيره، وقد ذكرنا قول الطبري أعلاه، ولم يوافق السيد العلاّمة عليه، حيث قال:

<وليت شعري، كيف خفي عليه أنّ إبراهيم لما سأل ربَّه الولد عند مهاجرته إلى الشام وعنده سارة ولا خبر عن هاجر يومئذ سأل ذلك بقوله: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فسأل ربَّه الولد، ولم يسأل أن يرزقه ذلك من سارة حتى تحمل البشارة المذكورة عقيبه على البشارة بإسحاق، فإنما قال: رَبِّ هَبْ لِي، ولم يقل: رب هب لي من سارة؟!

وأما ما ذكره أنّ المعروف من سائر مواضع كتاب الله هو البشرى بإسحاق، فيجب أن نحمل البشرى في هذا الموضع عليه أيضاً، فيقول عنه:.. هو في نفسه قياس لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه؛ فإنّ الله سبحانه في هذه الآيات لما ذكر البشارة بغلام حليم، ثم ذكر قصة الذبح، استأنف ثانياً ذكر البشارة بإسحاق، ولا يرتاب المتدبّر في هذا السياق أن المبشر به ثانياً غير المبشر به أولاً فقد بشّر إبراهيم قبل اسحاق بولد له آخر، وليس إلاّ اسماعيل، وقد اتفق الرواة والنقلة وأهل التاريخ أنّ إسماعيل ولد لإِبراهيم قبل إسحاق عليهم السلام جميعاً...[[85]](#footnote-85)

وللشيخ الشنقيطي المتوفى في سنة 1393هـ, وهي سنة وفاة الشيخ ابن عاشور، موضعان من التنزيل العزيز، يكتفي بهما دليلاً على أنَّ إسماعيل هو المبشّر به وهو الذبيح، وهذه خلاصتهما:

أحدهما: سياق آيات الصافات فهي واضحة جداً على ذلك، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم: وَقَالَ إِنّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ\* ... كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ.

ثم قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: وَبَشَّـرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ. فدل ذلك على أنّ البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: وَبَشَّـرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نصّ الله عليها مستقلة بعد ذلك.

ثمَّ يقول..: إنَّ المقرر في الأصول: أنّ النص من كتاب الله وسنة رسوله إذا احتمل التأسيس والتأكيد معاً وجب حمله على التأسيس ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه، ومعلوم في اللغة العربية أنّ العطف يقتضي المغايرة، فآية الصافات هذه دليل واضح للمنصف على أنّ الذبيح إسماعيل لا إسحاق. ويستأنس لهذا بأنّ المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

أما الثاني فهو الآية 71 من سورة هود: وَامْرَأتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق، وأن إسحاق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو صغير وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب؟ فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك، والعلم عند الله تعالى.[[86]](#footnote-86)

أما ابن عاشور فقد أجاد كثيراً لا فقط حين راح يفرّق بين البشارتين، فجعل البشارة بإسحاق بشارة كرامة، فيما البشارة بإسماعيل بشارة استجابة دعاء، يقول: وهذا الغلام الذي بشّر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر، وهذا غير الغلام الذي بشّره به الملائكة، الذين أرسلوا إلى قَوم لوط في قوله تعالى: قَالوُا لاَ تَخَفْ وَبَشَّروُهُ بِغُلاَمٍ عَليِمٍ.

فذلك وُصف بأنه عليم. وهذا وصُف بـ: حَلِيمٍ. وأيضاً ذلك كانت البشارة به بمحضر سَارَة أمِّه، وقد جُعلت هي المبشرة في قوله تعالى:فَبَشَّـرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ **\*** قَالَتْ: يَا وَيْلَتَى أألِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذاَ بَعْلِى شيخاً.

فتلك بشارة كرامة، والأولى بشارة استجابة دعائه، فلما ولد له إسماعيل تحقق أمل إبراهيم أن يكون له وارث من صلبه. فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين، عطفت هنا بفاء التعقيب، وبشارته بإسحاق ذكرت في هذه السورة معطوفة بالواو عطف القصة على القصة.

ثمَّ إنه ذكر قبل ذلك أنَّ الفاء في: فَبَشَّر‌ْنَاهَا للتعقيب، والبشارة: الإِخبار بخير وارد عن قرب أو على بعد؛ فإن كان الله بشّر إبراهيم بأنه يولد له ولد، أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر، وهو صريح في سفر التكوين في الإصحاح الخامس عشر، فقد أخبره بأنه استجاب له وأنه يهبه ولداً بعد زمان، فالتعقيب على ظاهره؛ وإن كان الله بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر جاريته بعد خروجه بمدة طويلة، فالتعقيب نسبي، أي بشرناه حين قدّرنا ذلك أول بشارة بغلام، فصار التعقيب آئلاً إلى المبادرة كما يقال: تزوج فولد له؛ وعلى الاحتمالين، فالغلام الذي بشر به هو الولد الأول الذي ولد له وهو إسماعيل لا محالة.

وعن أدلته لما يتبناه من أنَّ المبشّر به والذبيح في سورة الصافات هو إسماعيل، فقد أحسن أيضاً وهو يورد أدلةً عديدةً على ذلك؛ فبعد أن يذكرأنه شاع من أخبار أهل الكتاب أنّ الذبيح هو إسحاق بن إبراهيم ـ بناءً على ما جاء في «سفر التكوين» في «الإِصحاح» الثاني والعشرين، وعلى ما كان يقصّه اليهود عليهم، ولم يكن فيما علموه من أقوال الرسول ما يخالفه ولا كانوا يسألونه ـ، راح يبين أدلته، فيقول**:** التأمُّل في هذه الآية يُقَوِّي الظَّنَّ بأنَّ الذبيحَ إسماعيل؛ فإنه ظاهرٌ قويٌّ في أن المأمور بذبحه هو الغلام الحليم في قوله: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَليمٍ، وأنه هو الذي سأل إبراهيمُ ربّه أن يهب له، فساقت الآية قصة الابتلاء بذبح هذا الغلام الحليم الموهوب لإِبراهيم، ثم أعقبت قصته بقوله تعالى: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ، وهذا قريب من دلالة النص على أنّ إسحاق هو غير الغلام الحليم الذي مضى الكلام على قصته؛ لأنّ الظاهر أنّ قوله: وَبَشَّرْنَاهُ، بشارة ثانية، وأنّ ذكر اسم إسحاق يدلّ على أنه غير الغلام الحليم الذي أجريت عليه الضمائر المتقدمة. فهذا دليلٌ أول.

الدليل الثاني: أنَّ الله لما ابتلى إبراهيم بذبح ولده؛ كان الظاهر أنّ الابتلاء وقع حين لم يكن لإِبراهيم ابنٌ غيره؛ لأنّ ذلك أكمل في الابتلاء..

الدليل الثالث: أنّ الله تعالى ذكر: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَليمٍ**،** عَقِبَ ما ذكر من قول إبراهيم: رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ، فدلّ على أنّ هذا الغلام الحليم الذي أمر بذبحه هو المبشَّر به استجابةً لدعوته، وقد ظهر أنّ المقصود من الدعوة أن لا يكون عقيماً يرثه عبيدُ بيته كما جاء في «سفر التكوين» وتقدم آنفاً.

الدليل الرابع: أنّ إبراهيم بَنىَ بيتاً لله بمكة قبل أن يبني بيتاً آخر بنحو أربعين سنة كما في حديث أبي ذرّ عن النبي ومن شأن بيوت العبادة في ذلك الزمان أن تقرّب فيها القرابين؛ فقربان أعزّ شيء على إبراهيم هو المناسب لكونه قرباناً لأشرف هيكل. وقد بقيت في العرب سنة الهدايا في الحج كل عام وما تلك إلاّ تذكرة لأول عام أُمر فيه إبراهيم بذبح ولده وأنه الولد الذي بمكة.

الدليل الخامس: أنّ أعرابياً قال للنبيّ يابن الذبيحين، فعلم مراده وتبسَّم، وليس في آباء النبي ذبيح غير عبد الله وإسماعيل.

الدليل السادس: ما وقع في «سفر التكوين» في الإِصحاح الثاني والعشرين أنّ الله امتحن إبراهيم فقال له: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هنالك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك»، إلى آخر القصة. ولم يكن إسحاق ابناً وحيداً لإِبراهيم فإنّ إسماعيل وُلد قبله بثلاث عشرة سنة. ولم يزل إبراهيم وإسماعيل متواصلين وقد ذكر في الإِصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عند ذكر موت إبراهيم عليه السلام؛ «ودفَنه إسحاق وإسماعيلُ ابناه»، فإقحام اسم إسحاق بعد قوله: ابنَك وحيدَك، من زيادة كاتب التوراة.

الدليل السابع: قال صاحب «الكشاف»: ويدل عليه أنّ قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في حصار ابن الزبير. وقال القرطبي عن ابن عباس: <والذي نفسي بيده، لقد كان أول الإِسلام، وأنّ رأس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة وقد يبس>.

قال ابن عاشور: وفي صحة كون ذلك الرأس رأسَ كبش الفداء من زمن إبراهيم نظر.

الدليل الثامن: أنه وردت روايات في حكمة تشريع الرمي في الجمرات من عهد الحنيفية أنّ الشيطان تعرّض لإِبراهيم ليصدّه عن المضيّ في ذبح ولده، وذلك من مناسك الحجّ لأهل مكة، ولم تكن لليهود سُنَّةُ ذَبْح‌ٍ مُعَيَّن‌ٍ. وذَكَرَ القرطبي عن ابن عباس: أنّ الشيطان عرض لإِبراهيم عند الجمرات ثلاث مرات فرجمه في كل مرة بحصيات حتى ذهب من عند الجمرة الأخرى. وعنه: أنّ موضع معالجة الذبح كان عند الجمار، وقيل عند الصخرة التي في أصل جبل ثبير بمنى.

الدليل التاسع: أنّ القرآن صريح في أنّ الله لمّا بشر إبراهيم بإسحاق قرن تلك البشارة بأنه يولد لإِسحاق يعقوب، قال تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. وكان ذلك بمحضر إبراهيم، فلو ابتلاه الله بذبح إسحاق؛ لكان الابتلاء صورياً؛ لأنه واثق بأنّ إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب؛ لأنّ الله لا يخلف الميعاد.

ولَمّا بشره بإسماعيل لم يَعِدْه بأنه سيُولد له وما ذلك إلا توطئة لابتلائه بذبحه، فقد كان إبراهيم يدعو لحياة ابنه إسماعيل. فقد جاء في «سفر التكوين» الإِصحاح السابع عشر: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله: بل سارة تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده». ويظهر أنّ هذا وقع بعد الابتلاء بذبحه.

الدليل العاشر: أنه لو كان المراد بالغلام الحليم إسحاق؛ لكان قوله تعالى بعد هذا: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَتكريراً؛ لأنّ فعل: بشرناه بفلان، غالب في معنى التبشير بالوجود.

ثم يختم قائلاً: فإن قلت: فعلامَ جنحتَ إليه واستَدللت عليه من اختيارك أن يكون الابتلاء بذبح إسماعيل دون إسحاق، فكيف تتأول ما وقع في «سفر التكوين»؟

قلت: أرى أنّ ما في «سفر التكوين» نُقِل مشتّتاً غير مرتبة فيه أزمان الحوادث بضبط يعين الزمن بين الذبح وبين أخبار إبراهيم، فلما نقَل النقلةُ التوراة بعد ذهاب أصلها عقب أسر بني إسرائيل في بلاد أشور زمن بختنصر، سجلت قضية الذبيح في جملة أحوال إبراهيم عليه السلام وأدمج فيها ما اعتقده بنو إسرائيل في غربتهم من ظنهم الذبيح إسحاق. ويدل لذلك قول الإِصحاح الثاني والعشرين: «وحدث بعد هذه الأمور أنّ الله امتحن إبراهيم فقال خذ ابنك وحيدك» الخ؛ فهل المراد من قولها: بعد هذه الأمور، بعد جميع الأمور المتقدمة أو بعد بعض ما تقدم.**[[87]](#footnote-87)**

فهذه عشرة أدلة وزيادة، أوردها الشيخ ابن عاشور، فيما ذكر ابن القيم أنّ هناك عشرين دليلاً... لكني لم أجد لها ذكراً لا في تفسيره ولا فيمن ذكر ذلك عنه، مع حرصي على الوصول إليها.

## الروايات:

أقول: إنَّ روايات الفريقين مختلفة، حتى أنها شكلت ثلاث طوائف، طائفة نصّت على إسماعيل، فيما أخرى نصّت على إسحاق، وثالثة لم تصرح بأيهما.[[88]](#footnote-88)

وعن روايات الفريقين يقول العلامة الطباطبائي: <وأما الروايات، فالتي وردت منها من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تذكر أنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام>؛ ولكنه يقول في البحث الروائي من سورة الصافات في الآيات 101ـ113: <وبهذا المضمون (الذبيح إسماعيل عليه السلام) روايات كثيرة أخرى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد وقع في بعض رواياتهم أنه إسحاق وهو مطروح لمخالفة الكتاب. والتي رويت من طرق أهل السنة والجماعة مختلفة: فصنف يذكر إسماعيل، وصنف يذكر إسحاق عليهما السلام، غير أنك عرفت أن الصنف الأول هو الذي يوافق الكتاب...>.

وقد ذكرنا أنّ الشيخ الطبرسي بعد أن يذكر اختلاف العلماء في الذبيح، وأنهم على قولين.

يقول: <وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا إلاّ أنّ الأظهر في الروايات أنه إسماعيل...>.**[[89]](#footnote-89)**

## إنه إسحاق:

ففي رواية طويلة تتحدث عن قصة الذبيح: محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم، عن أبيه عن... عن أبي بصير، أنه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله يذكران جبرئيل: <... فلما جاءت سارة فأخبرت الخبر، قامت إلى ابنها تنظر، فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه، ففزعت، واشتكت، و كان بدء مرضها الذي هلكت فيه...>.[[90]](#footnote-90)

والعبارة الأخيرة واضحة تشير إلى ابن سارة، وهو إسحاق.

في أصول الكافي علي بن إبراهيم عن... عن أبي الحسن، قال: <إنّ لله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء... وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشية إبراهيم مشية الله.

**و**في الكافي عدة من أصحابنا عن جعفر بن إبراهيم عن سعد بن سعد قال: قال أبوالحسن: <لو علم الله عزّوجلّ خيراً من الضأن لفدى به إسحاق>.

## إنه إسماعيل:

عن داود بن كثير الرقي، قال: قلت لأبي‌ عبدالله: أيهما كان أكبر: إسماعيل، أو إسحاق، وأيهما كان الذبيح؟

فقال: <كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، و كان الذبيح إسماعيل، و كانت مكة منزل إسماعيل، و إنما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيام الموسم بمنى، قال: و كان بين بشارة الله إبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق خمس سنين، أما تسمع لقول إبراهيم، حيث يقول: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ؟ إنما سأل الله عزّوجلّ أن يرزقه غلاماً من الصالحين، و قال في سورة الصافات: فَبَشَّـرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ، يعني إسماعيل من هاجر. قال: ففدى إسماعيل بكبش عظيم.

فقال أبوعبدالله عليه السلام: ثم قال: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ، يعني بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق، فمن زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل، و أن الذبيح إسحاق فقد كذب بما أنزل الله عزّوجلّ في القرآن من نبئهما.

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله أنه سأل عن صاحب الذبح قال: <هو إسماعيل>. وعن زياد بن سوقة عن أبي جعفر قال: سألته عن صاحب الذبح فقال: <إسماعيل>. وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن صاحب الذبح فقال: <هو إسماعيل>.

في الكافي علي بن محمد عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه أظنه محمد بن إسماعيل قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: <لو خلق الله عزّوجلّ مضغة أطيب من الضأن لفدى بها إسماعيل عليه السلام>.

وبعض الأخبار اكتفت بذكر الحادثة خالية من الاسمين إسماعيل أو إسحاق.[[91]](#footnote-91)

فالروايات اختلفت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فمنها ذكرت إسماعيل وأخرى ذكرت إسحاق وثالثة لم تذكر أيهما، وقد ذكرنا أنَّ صاحب مجمع البيان يؤكد هذا الاختلاف في الروايات المنسوبة إلى أئمة أهل البيت، لكنه يذهب إلى أنَّ الأظهر في الروايات أنه إسماعيل. ويعضده قوله بعد قصة الذبح: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ.

وكذا هو موقف العلاّمة الطباطبائي؛ الذاهب إلى أنَّ ما وقع في بعض الروايات أنه إسحاق؛ يعدُّ مخالفاً للكتاب، فيما الصنف الذي يذكر إسماعيل يوافق الكتاب، وبالتالي يطرح ما خالف الكتاب ويأخذ بما وافقه.

فيما عدَّ الشيخ مكارم تلك الروايات القائلة بأنّ إسحاق هو الذبيح شاذّة، وأنها متأثرة بالإسرائيليات أو أنها من وضع اليهود؛ حيث يقول: <... وفي مقابل هذه الروايات الكثيرة المتناسبة مع ظاهر الآيات القرآنية، هناك روايات شاذّة تدلّ على أنّ إسحاق هو المقصود (بذبيح الله) ولا تتطابق مع روايات المجموعة الاُولى ولا مع ظاهر الآيات القرآنية>.

ويقول أيضاً: <... إنّ كتاب (التوراة) الحالي والمعروف بالعهد القديم يؤكّد على أنّ الذبيح كان إسحاق.

هنا يستشف أنّ بعض الروايات الإسلامية غير المعروفة، والتي تؤكّد على أنّ إسحاق هو (ذبيح الله) متأثّرة ببعض الروايات الإسرائيلية، ويحتمل أنّ اليهود وضعوها، وذلك لأنّهم من ذريّة (إسحاق)، وقد حاولوا نسب هذا الفخر لهم، حتّى ولو كان عن طريق تزييف الوقائع والحقائق، وسلبه من المسلمين الذين كان نبيّهم نبيّ الرحمة أحد أحفاد إسماعيل.

على أيّة حال، فإنّ ظواهر آيات القرآن الكريم هي أقوى دليل لنا، إذ توضّح بصورة كافية، أنّ الذبيح هو إسماعيل، رغم أنّه لا فرق بالنسبة لنا إن كان الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فالإثنان هما أبناء إبراهيم، وكلاهما من أنبياء الله العظام، ولكن الهدف هو توضيح هذه الحادثة التاريخية>.[[92]](#footnote-92)

[وَفَدَيْنَاهُ](javascript:Open_Menu())

في معاجم اللغة: من الفعل فَداه يفدي فِدًى وفِداءً: استنقذه بمال أو غيره فخلّصه مما كان فيه، يقال: فداه بماله وفداه بنفسه فهو فاد والجمع: فُدَاة. والمستنقذ: مَفدِيٌّ. الفِدَاءُ: ما يُقدّم من مال ونحوه؛ لتخليص المَفدِيِّ، وجعل الشيء مكان الشيء لدفع الضرر عنه.. والذبح مصدر ذبحت والذبح أيضاً ما يذبح وهو المراد في هذه الآية، وهو المذبوح وما يذبح ومعناه أنا جعلنا الذبح بدلاً عنه كالأسير يفدى بشيء.

قال القرطبي: <قوله تعالى: وَفَدَيْناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، الذِّبْحُ اسمُ المذبوح وجمعه ذبوح، كالطحن اسم المطحون. والذبح بالفتح المصدر.

وكذا ابن عاشور:... والذِبح بكسر الذال: المذبوح ووزن فِعل بكسر الفاء وسكون عين الكلمة يكثر أن يكون بمعنى المفعول مما اشتق منه مثل: الحِب والطِحن والعِدل.

والفِدَى والفداء: إعطاء شيء بدلاً عن حق للمعطَى، ويطلق على الشيء المفدَى به من إطلاق المصدر على المفعول.

وإعراباً الواو: عاطفة، وفديناه: فعل وفاعل ومفعول به؛ والجملة معطوفة على ناديناه، وبذبح: جار ومجرور متعلقان بفديناه، والذبح: اسم ما يذبح كبشاً كان أم وعلاً.

**ابن عاشور:** وجملة وَفَدَيْنَاهُ يظهر أنها من الكلام الذي خاطب الله به إبراهيم، والمعنى: وقد فدينا ابنَك بذبح عظيم، ولولا هذا التقدير تكون حكاية نداء الله إبراهيم غير مشتملة على المقصود من النداء، وهو إبطال الأمر بذبح الغلام.

وأسند الفداء إلى الله؛ لأنه الآذِن به، فهو مجاز عقلي، فإنّ الله أوحى إلى إبراهيم أن يذبح الكبش فداء عن ذبح ابنه، وإبراهيم هو الفادي بإذن الله، وابن إبراهيم مُفْدًى.

بذِبْح‌ٍ

وإن تعددت أقوالهم في الذبح؛ سواء أكان من الضأن وجده إبراهيم مهيّأ بفعل ربّه وإرادته؛ ليذبحه بدلاً من الغلام الحليم. أو هو الكبش الذي تقبله الله من هابيل حين قربه إليه، أو هو كبش أملح انحط من الجبل، ونودي إبراهيم فالتفت إليه فأخذه فذبحه، أو هو كبش أبيض أقرن أعين، ما إن التفت إبراهيم حتى وجده.. وفيه قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش، أو هو كبش أرسله الله من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً. أو هو الذي تقرب به هابيل بن آدم إلى الله تعالى فقبله، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به إسماعيل، أو فدي بوعل أهبط عليه من ثَبير، أو هو كبش من الغنم وكفى.. وفي رواية عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: سألته عن كبش إبراهيم ما كان لونه قال: <أملح أقرن، ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى، وكان يمشي في سواد، ويأكل في سواد، وينظر في سواد، ويبعر في سواد، ويبول في سواد>.

## [عَظِيمٍ](javascript:Open_Menu())

فإنَّ المهم أنّ التنزيل العزيز وصفه أنه عَظِيم وقد فدي به إسماعيل، وبعد أن ذبحه تصدق بلحمه على المساكين، فصار عمله عليه السلام هذا سنّةً ومنسكاً مباركاً...

وعظيم: صفة لذبح, **أي عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة؛ وإنما عظَّمَ قَدْرَه** لأنه كان من عند الله كوَّنه ولم يكن عن نسل. وقيل: لأنه فداء عبد عظيم **، أو لأنه فَدَى به الذَّبيح، أو لأنه مُتقبَّلٌ.** أو لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالإِضافة إليه، أو لأنه رعى في الجنة أربعين خريفاً،...

قال النحاس: عظيمٌ في اللغة يكون للكبير وللشريف. وأهل التفسير على أنه هاهنا للشريف، أو المتقبل..

**وعن تفسير الرازي:..** وأما قوله: عظِيم، فقيل: سمي عظيماً لعظمه وسمنه، وقال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيماً وقد رعى في الجنة أربعين خريفاً، وقيل: سمي عظيماً لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداءً عن ولد إبراهيم..

ابن عاشور: ووصفه بـ عَظِيم‌ٍ، بمعنى شرف قدر هذا الذِبح، وهو أنّ الله فدَى به ابن رسول‌ٍ وأبقى به من سيكون رسولاً فعِظمه بعظم أثره، ولأنه سخره الله لإِبراهيم في ذلك الوقت وذلك المكان.**[[93]](#footnote-93)**

لقد صار ذلك الغلام المبشّر به من قبل السماء، موضوعاً لرؤيا أبيه، وأي رؤيا؛ رؤيا نبيٍّ تتساوى بحقّه يقظته ونومه، فكما يقظته حقٌّ فمنامه وما يرى فيه حقٌّ أيضاً، هكذا هو حكم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم دون غيرهم من الناس؛ لهذا صارت قصة الذبح في هذا المقطع من الصافات، لا فقط تاريخاً يُقرأ، بل أثراً يُتبع، ومنسكاً يُؤدى من قبل المسلمين في كلّ عام، عبر فقه مفصل، إنه فقه الأضاحي، الذي أوجب على الحجيج التضحية في يوم يُعدُّ من أكبر الأعياد، وقد أخذ اسمه من تلك القصة، إنه يوم النحر، وإنه عيد الأضحى المبارك؛ والأضحية: جمع أضاح‌ٍ وأضاحي، **سميت بأول أزمنة فعلها، الضحوة والضحى**، ما يذبح من النعم في أول أزمنة فعلها؛ وهو الضحى من اليوم العاشر من ذي الحجة، قربة إلى الله تعالى، يقول الشيخ الطبرسي: <ضحى الشمس صدر وقت طلوعها وضحى النهار صدر وقت كونه وأضحى يفعل كذا إذا فعله في وقت الضحى وضحى بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من أيام الأضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت لقيل ضحى>.[[94]](#footnote-94)

كلُّ هذا راح يذكرنا بمعاناة ذلك النبيِّ العظيم، ووحدته، وهجرته، وبدعائه، وبشارته، وبفرحته، وهو يرى ابنه وقد صار شاباً يملأ العيون قوّةً وحركةً وجمالاً، وبتلبيته لنداء ربّه حينما أبلغته السماء عبر رؤية صادقة لا ريب فيها، راح يبلغ ابنه بها؛ ليُشركه في الأمر، وحتى **<لا يأخذ ابنه على حين غرة لينفذ إشارة ربّه وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه.. فابنه ينبغي أن يعرف، وأن يأخذ الأمر طاعةً وإسلاماً، لا قهراً واضطراراً؛ لينال هو الآخر أجر الطاعة ويتذوق حلاوة التسليم>.**

وينطق الغلام الحليم، امتثالاً وطاعةً وتسليماً في حوارية رائعة صريحة:

[فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أرَى فِي الْمَنَامِ أنِّى أذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِىۤ إِن شَآءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ](javascript:Open_Menu()).

إنَّ موقف إبراهيم لموقف ما أعظمه! تتجسد فيه عظمة إيمانه وجلالة طاعته، وصدق تسليمه المطلق لله تعالى، عبر بلاء مبين... كيف لا؛ وهو <الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة. المهاجر من الأرض والوطن. ها هو ذا يرزق في كبرته وهرمه بغلام. طالما تطلع إليه. فلما جاءه جاء غلاماً ممتازاً يشهد له ربُّه بأنه حليم. وها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه يتفتح، ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة... ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه...>.

فجاءت تلبيته عليه السلام لإشارة من ربّه بالتضحية سريعةً دون توقف أو تردد، كما أنّه لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب... كلاّ إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء. يبدو ذلك في كلماته لابنه، وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب، قال: يَا بُنَىَّ إِنّىِ أرَى فِى الْمَنَامِ أنّىِ أذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى.

فجاء جواب ابنه الغلام الحليم امتثالاً وتسليماً وتصديقاً لرؤيا أبيه، وهو بموقفه هذا يرتقي إلى ذاك الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه،  
 قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَر سَتَجِدُنِى إنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

وأيضاً يقول سيد قطب: وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أدّيا وحقّقا وصدّقا.

وَنَادَيْنَاهُ أنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ \* إنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلاً. فالله لا يريد إلاّ الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد، ولو كانت هي النفس والحياة. وأنت يا إبراهيم قد فعلت، جدت بكل شيء، وبأعز شيء، وجدت به في رضى وفي هدوء وفي طمأنينة وفي يقين. فلم يبق إلاّ اللحم والدم. وهذا ينوب عنه ذبح. أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت. يفديها بذبح عظيم...

ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وعظمة التسليم...

الزمخشري: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، وإنما كان يصدقها لو صحّ منه الذبح، ولم يصحّ قلت: قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح: من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً، بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل، ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه.

فإن قلت:

الله تعالى هو المفتدى منه: لأنه الآمر بالذبح، فكيف يكون فادياً حتى قال: وَفَدَيْنَـاهُ؟

قلت:

الفادي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والله عزّوجلّ وهب له الكبش ليفدى به وإنما قال: وَفَدَيْنَـاهُ, إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته.

فإن قلت:

فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح. فما معنى الفداء، والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل؟

قلت:

قد علم بمنع الله أنّ حقيقة الذبح لم تحصل من فرى الأوداج وإنهار الدم، فوهب الله له الكبش؛ ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل، ولكن في نفس الكبش بدلاً منه.

فإن قلت:

فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة، وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان؟

قلت:

الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه...

الطبرسي: <وقد استدل بهذه الآية من أجاز نسخ الشيء قبل وقت فعله، فقال: إنّ الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد أن أمره به وقد أجيب عن ذلك بأجوبة:

أحدها: أنه سبحانه لم يأمر إبراهيم بالذبح الذي هو فري الأوداج، وإنما أمره بمقدمات الذبح من الإضجاع وتناول المدية وما يجري مجرى ذلك، والعرب قد تسمي الشيء باسم مقدماته ولهذا قال: [قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا](javascript:Open_Menu())، ولو كان أمره بالذبح؛ لكان إنما صدق بعض الرؤيا.

وأما الفداء بالذبح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبح ولا يمتنع أيضاً أن يكون فدية عن مقدمات الذبح؛ لأنّ الفدية لا يجب أن تكون من جنس المفدى، ألا ترى أنّ حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح، وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك.

وثانيها: أنه إنما أمر بصورة الذبح وقد فعله؛ لأنه فرى أوداج ابنه، ولكنه كلما فرى جزءاً منه وجاوزه إلى غيره عاد في الحال ملتحماً.

فإن قلت: إنّ حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياة.

فالجواب: إنّ ذلك غير مسلم؛ لأنه يقال: ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد، ولو سلمنا أنّ حقيقة الذبح ذلك؛ لكان لنا أن نحمل الذبح على المجاز للدليل الدال عليه.

وثالثها: أنّ الله تعالى أمره بالذبح، إلاّ أنه سبحانه جعل على عنقه صفحة من نحاس، وكلما أمرَّ إبراهيم السكين عليه لم يقطع، أو كان كلما اعتمد على السكين، انقلب، على اختلاف الرواية فيه. وهذا التأويل يسوغ إذا قلنا إنه كان مأموراً بما يجري مجرى الذبح، ولا يسوغ إذا قلنا: إنه أمر بحقيقة الذبح؛ لأنه يكون تكليف لما لا يطاق...>.

ابن عاشور: فمعنى قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، قد فعلتَ مثل صورة ما رأيت في النوم أنك تفعله. وهذا ثناء من الله تعالى على إبراهيم بمبادرته لامتثال الأمر ولم يتأخر ولا سأل من الله نسخ ذلك.

والمراد: أنه صدق ما رآه إلى حدِّ إمرار السكين على رقبة ابنه، فلما ناداه جبريل بأن لا يذبحه كان ذلك الخطابُ نسخاً لما في الرؤيا من إيقاع الذبح، وذلك جاء من قِبل الله لا من تقصير إبراهيم، فإبراهيم صدَّق الرؤيا إلى أن نهاه الله عن إكمال مِثالها، فأطلق على تصديقه أكثرَها أنه صدَّقها، وجُعِل ذبح الكبش تأويلاً لذبح الولد الواقع في الرؤيا.[[95]](#footnote-95)

## وفي قصة الذبيح حكايات عديدة، كان منها:

أنّ إبراهيم عليه السلام لما أراد ذبحه قال: يا بني خذ الحبل والمدية، وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب، فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر به.

فقال: يا أبت اشدد رباطي فيَّ كيلا أضطرب، واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمّي فتحزن، واستحد شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي؛ ليكون أهون فإن الموت شديد، واقرأ على أمّي سلامي، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمّي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسهل لها.

فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان، ثم وضع السكين على حلقه، فقال: كبني على وجهي، فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة، وقد تحول بينك وبين أمر الله سبحانه وتعالى ففعل، ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا.

## وفي رمي الجمرات

ذكرت روايات وأخبار عديدة، وهي تدور حول الأساس التاريخي لهذا الرمي وبسبع حصيات، فغدا ذلك الذبح الذي منشؤه رؤيا إبراهيم عليه السلام واستجابة ابنه، وهذا الرمي من أعمال منى في فريضة الحج، ومن هذه الروايات:

ما جاء عن ابن عباس: خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه، واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته عندها، فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه، فو الذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام، وإنّ رأس الكبش لمعلّق بقرنيه في ميزاب‌ِ الكعبة قد حشَّ، يعني: يبس.

وعنه: إنّ إبراهيـم لـما اُمر بـالـمناسك، عرض له الشيطان عند الـمسعَى فسابقه، فسبقه إبراهيـم، ثم ذهب به جبريـل إلـى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حَصَيات حتـى ذهب، ثم عرض له عند الـجمرة الوُسْطَى، فرماه بسبع حَصيات حتـى ذهب، ثم تلَّه للـجَبـين، ...

وعنه: <أنّ الشيطان عرض لإِبراهيم عند الجمرات ثلاث مرات، فرجمه في كلّ مرة بحصيات حتى ذهب من عند الجمرة الأخرى.

وعنه: أنّ موضع معالجة الذبح كان عند الجمار وقيل عند الصخرة التي في أصل جبل ثبير بمنى.. فالشيطان تعرّض لإِبراهيم ليصدّه عن المضيّ في ذبح ولده...>.

وفي رواية طويلة في قصة توبة آدم عليه السلام عن أبي عبد الله عليه‌السلام، نكتفي منها بمقطع رمي الجمرات بعد أن أخرجه جبرئيل إلى منى فبات بها، فلما أصبح أخرجه إلى عرفات،... وعلّمه الكلمات التي تلقاها من ربّه، و هي:

<سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم...>. ثم ردّه إلى مكة فأتى به إلى الجمرة الأولى، فعرض له إبليس عندها، فقال: يا آدم، أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات، وأن يكبر مع كل حصاة تكبيرة ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية، فأمره أن يرميه بسبع حصيات، فرمى و كبر مع كل حصاة تكبيرة ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة، فأمره أن يرميه بسبع حصيات ويكبر عند كل حصاة، فرمى و كبر مع كل حصاة تكبيرة، فذهب إبليس لعنه الله. و قال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم أبداً، فانطلق به إلى البيت الحرام، و أمره أن يطوف به سبع مرات، ففعل. فقال له: إن الله قد قبل توبتك، و حلت لك زوجتك...[[96]](#footnote-96)

إذن الاختبار تمَّ، والبلاء المبين حصل، ذلك الذي يتميز فيه المخلص من غيره، وهو ابتلاءٌ وامتحانٌ لإبراهيم في صدق الخلة لله، وبتضحية أعزّ عزيز لديه، وأحب محبوب عنده، كلُّ ذلك لأمر ربّه تعالى..، وقد اجتازه وابنه الآخر المبتلى أيضاً بهذا البلاء المبين بجدارة، فنالا أجراً واسعاً، وثناءً عظيماً، وعاقبةً مباركةً، وبشائرَ خير‌ٍ، وذريةً صالحةً.. إنه جزاء أولئك المحسنين، أن قوبل إحسانهم بإحسان أعظم، وجزاء أوفر، وثناء أجمل، وجميعها كتب لها الذكر الموصوف بالخلود، تستذكرها الأجيال ما دامت حيّةً باقيةً وإلى قيام الساعة، فكان [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ](javascript:Open_Menu()) حقّاً.

يقول سيد قطب: فهو مذكور على توالي الأجيال والقرون. وهو أمّة. وهو أبو‌ الأنبياء وهو أبو هذه الأمّة المسلمة. وهي وارثة ملته. وقد كتب الله لها، وعليها قيادة البشرية على ملة إبراهيم. فجعلها الله له عقباً ونسباً إلى يوم الدين.[[97]](#footnote-97)

وتنتظر الأجيال ما مضى منها وما هو آتٍ ثوابَها في الآخرة: [مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً](javascript:Open_Menu()).

كيف لا يحصل إبراهيم على كلّ هذا، وعلى ما ستذكره الآيات الآتية؟!

و <عمليّة ذبح الابن البارّ المطيع على يد أبيه ـ كما يقول الشيخ مكارم‌ـ لا تعدّ عمليّة سهلة وبسيطة بالنسبة لأب انتظر فترة طويلة كي يرزقه الله بهذا الإبن، فكيف يمكن إماتة قلبه تجاه ولده؟ والأكثر من ذلك استسلامه ورضاه المطلق ـ من دون أي إنزعاج ـ لتنفيذ هذا الأمر، وتنفيذه كافّة مراحل العملية من بدايتها إلى نهايتها، بصورة لا يغفل فيها عن أي شيء من الإستعداد لعملية الذبح نفسياً وعمليّاً>.

ثمَّ يقول أيضاً: <والذي يثير العجب أكثر هو التسليم المطلق لهذا الغلام أمام أمر الله، إذ استقبل أمر الذبح بصدر مفتوح وإطمئنان يحفّه اللطف الإلهي، واستسلام في مقابل هذا الأمر؛ لذا فقد ورد في بعض الروايات أنّ جبرئيل هتف «الله أكبر» «الله أكبر» أثناء عمليّة الذبح لتعجّبه>.

فيما هتف إسماعيل «لا إله إلاّ الله، والله أكبر».

ثمّ قال إبراهيم «الله أكبر ولله الحمد»

ثم يواصل الشيخ كلامه قائلاً: <وهذه العبارات تشبه التكبيرات التي نردّدها في يوم عيد الأضحى.

ولكي لا يبقى برنامج إبراهيم ناقصاً، وتتحقّق أمنية إبراهيم في تقديم القربان لله، بعث الله كبشاً كبيراً إلى إبراهيم؛ ليذبحه بدلاً عن ابنه إسماعيل، ولتصير سنّةً للأجيال القادمة، التي تشارك في مراسم الحجّ، وتأتي إلى أرض منى>.[[98]](#footnote-98)

وأخيراً، انظر كيف ختمت قصة البلاء المبين بمقطع قرآني جميل ومبارك، يتضمن رضاه تعالى عن إبراهيم عليه السلام، وسلامه عليه، وثناءه عليه، وبشارته الأخرى له وبركاته الدائمة...

[سَلاَمٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ](javascript:Open_Menu()) \* [كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ](javascript:Open_Menu()) \* [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ](javascript:Open_Menu()) \* [وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()) \* [وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ](javascript:Open_Menu()).[[99]](#footnote-99)

ابن عاشور:... إنا نجزي المحسنين كذلك التصديق، أي مثل عظمة ذلك التصديق نجزي جزاءً عظيماً للمحسنين، أي الكاملين في الإِحسان، أي وأنت منهم ولِما يتضمنه لفظ الجزاء من معنى المكافأة ومماثلة المجزي عليه، عُظم شأن الجزاء بتشبيهه بمشبه مشار إليه بإشارة البعيد المفيد بُعداً اعتبارياً، وهو الرفعة وعظم القدر في الشرف، فالتقدير: إنا نجزي المحسنين جزاء كذلك الإِحسان الذي أحسنتَ به بتصديقك الرؤيا، مكافأة على مقدار الإِحسان، فإنه بذل أعَزّ الأشياء عليه في طاعة ربّه، فبذل الله إليه من أحسن الخيرات التي بيده تعالى، فالمشبه والمشبه به معقولان، إذ ليس واحد منهما بمشاهد، ولكنهما متخيَّلان بما يتسع له التخيّل المعهود عند المحسنين مما يقتضيه اعتقادهم في وعْد الصادق من جزاءِ القادر العظيم، قال تعالى:

هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان، ولِمَا أفاد اسم الإِشارة من عظمة الجزاء، أكّد الخبر بـ : <إنَّ> لدفع توهم المبالغة، أي هو فوق ما تعْهده في العظمة وما تُقدره العقول وفهم من ذكر المحسنين أنّ الجزاء إحسان بمثل الإِحسان، فصار المعنى: إنا كذلك الإِحسان العظيم الذي أحسنته نجزي المحسنين، فهذا وعد بمراتب عظيمة من الفضل الرباني، وتضمن وعد ابنه بإحسان مثله من جهة نوط الجزاء بالإِحسان، وقد كان إحسان الابن عظيماً ببذل نفسه وقد أكد ذلك بمضمون جملة: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِين، أي هذا التكليف الذي كلّفناك هو الاختبار البيّن، أي الظاهر دلالة على مرتبة عظيمة من امتثال أمر الله، واستعمل لفظ البلاء مجازاً في لازمه وهو الشهادة بمرتبةِ مَن لو اختُبر بمثل ذلك التكليف؛ لعُلمت مرتبته في الطاعة والصبر وقوة اليقين.

وجملة: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِين، في محل العلة لجملة: إنَّا كذلك نجزي المحسنين...[[100]](#footnote-100)

ونختم هذا بما ذكره سيد قطب في تفسيره: [سَلاَمٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ](javascript:Open_Menu())،  
سلام عليه من ربّه. سلام يسجل في كتابه الباقي. ويرقم في طوايا الوجود الكبير.

[كَذَلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ](javascript:Open_Menu())، كذلك نجزيهم بالبلاء، والوفاء، والذكر، والسلام، والتكريم، [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ](javascript:Open_Menu())، وهذا جزاء الإيمان، وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين.

ثم يتجلّى عليه ربّه بفضله مرةً أخرى ونعمته، فيهب له إسحاق في شيخوخته، ويباركه ويبارك إسحاق، ويجعل إسحاق نبيّاً من الصالحين.

[وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ](javascript:Open_Menu()) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ. وتتلاحق من بعدهما ذريتهما، ولكن وراثة هذه الذرية لهما ليست وراثة الدم والنسب، إنما هي وراثة الملّة والمنهج: فمن اتبع فهو محسن، ومن انحرف فهو ظالم لا ينفعه نسب قريب أو بعيد: [وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ](javascript:Open_Menu()).[[101]](#footnote-101)

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

# فَضَـائِـلُ الْحَـرَمَـيْـنِ الشَّـرِيـفَيْن

# فِي تـُرَاثِ أَهْلِ الْبَيْت (10)

## محمدعلي‌ المقدادي

## تمهيد:

**بفضل من الله سبحانه وتعالى نواصل ما ذكرناه في الأعداد: (37 إلى 45) من هذه المجلة حول ما يتعلق بفضائل حرمي مكة والمدينة، اللذَيْن احتلّت فضائلهما وأحكامهما وآدابهما مساحةً واسعةً في التراث الإسلامي، وعند جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وبالذات فيما وصل إلينا من أحاديث أهل البيت، والتي تتميّز بأنها الأفضل والأصحّ؛ لأنها تصدر عن الثقل الثاني بعد التنزيل العزيز، اللذين هما مصدرا العقيدة والتشريع، وفقاً لما جاء به الحديث النبويّ المعروف بحديث الثقلين، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبيّ الأكرم بألفاظ عديدة لكنها متقاربة، منها:** <**يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي**>**.[[102]](#footnote-102)**

<**إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**>**.[[103]](#footnote-103)**

**وكيف لا تتوفر للحرمين تلك المساحة اللائقة، وهما يشكلان وجودين مباركين في حياة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ لما يتمتعان به من خصائص نفتقدها في غيرهما، ولما أسند إليهما من دور في بناء الإنسان المسلم روحيّاً وأخلاقيّاً واجتماعيّاً..، ولما سنّ لهما وخاصةً للحرم المكي بمواقيته المتعدّدة من شرائع ومناسك وآداب بين ما يجب على المسلم أداؤه، وما ينبغي ويستحب له ذلك، حين تواجده فيهما في فريضة أو مستحب يؤديه، وأيضاً لفريضة الحج، وهي السبب الأهم، حين أذّن لها نبيّ الله إبراهيم، بأمر من الله سبحانه وتعالى، فأحيا به هذه البلاد يوم أن بث فيها الخير والعطاء، وغدا الناس يأتونها من كل مكان في عالمنا قديماً وحديثاً، ومنذ ذلك الوقت الذي شرع فيه منسك الحج المبارك، وصار يؤديه أنبياء وصالحون..، وما زال وسيبقى هذا المنسك يتوجه نحوه المسلمون والمؤمنون لأدائه، حتى يأذن الله تعالى بنهاية دار الابتلاء والتكاليف، فينتقل الجميع إلى دار الجزاء والأجر والثواب.**

**فقداسة الحرمين الشريفين <مكة المكرمة و المدينة المنورة**> **وما لهما من وظائف جليلة، أمرٌ أجمع عليه أهل التوحيد، مما جعلهما محلّ اهتمام أحاديث كثيرة ومواقف جليلة لأهل البيت، وهم الأدرى بفضائل هذين الحرمين، وما لهما من دور كبير ومبارك في حياة المسلمين في البناء الإيماني لهم، أو الروحي والأخلاقي، فضلاً عما تتركه مناسك الحج واجتماعه السنويّ الحاشد من آثار في ثقافتهم، وتوحيد صفوفهم، وما يتمخض من منافع جليلة.. وقد شكلت تلك الأحاديث والأقوال والمواقف تراثاً كبيراً، صار مورد عناية ودراسة من قبل المسلمين، وبالذات أتباع مدرسة أهل البيت، على المستوى الفقهي والروحي والخلقي..، ونحن هنا نقتبس ما يتيسر لنا منه، وبما يتعلق بفضائل هذين الحرمين المباركين مكة والمدينة، وننشره إن شاء الله تعالى على شكل حلقات في هذه المجلة.**

## 18. بقية الأماكن الشريفة المتبركة بمكة المكرمة:

وقبل أن نتعرف على تلك الأماكن المتبركة المتواجدة في مكة المكرمة أنقل لكم بعض ما أمر به أهل بيت النبوة من اتّباع آثار رسول الله ومن خلال ذلك نعرف الظالمين الذين خربوا تلك الآثار وصدّوا عن سبيل الله...

قال الصادق: <إنّه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد في دين الله، بهوى ولا رأي ولا مقاييس، فاتّبعوا آثار رسول الله وسنّته، فخذوا بها>.

وقال الصادق: <أيّتها العصابة عليكم بآثار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسنّته وآثار الأئمّة الهداة من أهل البيت وسنّتهم، فإنّه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ>.[[104]](#footnote-104)

وروي عن أبي عبدالله في العلَّة التي من أجلها كلَّف الله العباد الحجّ: <أنّه جعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات [من بلد] إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمّال، ولتعرف آثار رسول الله، وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى>.[[105]](#footnote-105)

وقال عليه السلام أيضاً في خبر الحلبي: <هل أتيتم مسجد قبا أو مسجد الفضيخ أو مشربة أمّ إبراهيم؟ فقلت: نعم، فقال: إنه لم يبق من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله شيء إلاّ وقد غير غير هذا>.[[106]](#footnote-106)

## الأول: زيارة محل مولد رسول الله، وكان مسجداً مقابل سوق الليل

ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشر ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال ، وروي أيضا عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة. وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبدالمطلب وولدته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلي الناس فيه. وبقي بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين...[[107]](#footnote-107)

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن رفاعة، عن أبي عبد الله قال: <كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذيه، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإنّ الملك قد أتاه>.[[108]](#footnote-108)

... الرابع: يستحب صوم يوم مَولد النبي، ويوم مَبعثه، ويوم الغدير، ويوم دَحو الأرض؛ٰ أما الأول: فالمشهور أنّه سابع عشر ربيع الأول.[[109]](#footnote-109)

... ومنها: صوم يوم مولد النبيّ، السابع عشر من ربيع الأوّل. وقول الكليني: إنه الثاني عشر، ضعيف.[[110]](#footnote-110)

... المسألة الثامنة: ومما عده بعضهم من المستحبات: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله، ... ولما بذل والدي العلامة ـ شكر الله مساعيه الجميلة ـ جهده الشريف في تحقيق تلك الأماكن بمكة وبيانها فنذكر هنا ترجمة ما ذكره في ذلك المقام في المناسك المكية، قال ـ طيب الله مضجعه ـ : ... ثم قال: وفي مكة أماكن شريفة أخرى في إتيانها فضل كامل: ... ومنها: مولد النبيِّ، وهو في سوق الليل، وله قبة معروفة، وأصل موضع التولد شبيه بجوف ترس، وعليه منارة من الخشب، يستحب إتيانه، وصلاة التحية فيه، وطلب الحاجة... .[[111]](#footnote-111)

وفي خبر العريضي، ركب أبي وعمومتي إلى أبي الحسن عليه السلام وقد اختلفوا في الأيام التي تصام في السنة وهو مقيم بقرية قبل مسيره إلى سر من رأى. فقال لهم: <جئتم تسألون عن الأيام التي تصام في السنة فقالوا: ما جئناك إلاّ لهذا. فقال: اليوم السابع عشر من ربيع الأول وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)...>. وعن المفيد في مسار الشيعة اليوم السابع عشر من ربيع الأول كان مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يزل الصالحون من آل محمد على قديم الأوقات يعظمونه ويعرفون حقه ويرعون حرمته ويتطوعون بصيامه، قال: وروي عن أئمة الهدى: أنهم قالوا: <من صام يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول وهو مولد سيدنا رسول الله كتب الله له صيام سنة>.[[112]](#footnote-112)

الثاني: مسجد الأرقم، تأتيه وتصلي فيه وتدعو لمن أحببت. ومنها : إتيان مسجد الأرقم ، ويقال للدار التي هو فيها : دار الخيزران ، وفيه استتر رسول الله في أول الإسلام.[[113]](#footnote-113)

مستحبات مكة المكرمة: يستحب مؤكداً للحاج، مدة بقائه بمكة المكرمة عدة أمور: ...‌ إتيان مسجد الأرقم (راقم) والصلاة فيه.[[114]](#footnote-114)

## الثالث: منزل خديجة، وفيه ولدت فاطمة الزهراء. وفيه نام الإمام علي على فراش رسول الله، عندما تآمرت قريش على قتله

ومنها: إتيان منزل خديجة الذي كان رسول الله يسكنه وخديجة به، وفيه ولدت أولادها منه صلَّى الله عليه وآله وفيه توفّيت، ولم يزل رسول الله مقيماً به حتّى هاجر، وهو الآن مسجد.[[115]](#footnote-115)

... المسألة الثامنة: ومما عده بعضهم من المستحبات: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله، ... ولما بذل والدي العلامة ـ شكر الله مساعيه الجميلة ـ جهده الشريف في تحقيق تلك الأماكن بمكة وبيانها فنذكر هنا ترجمة ما ذكره في ذلك المقام في المناسك المكية، قال ـ طيب الله مضجعه ـ : ... ثم قال ـ قدس سره ـ: وفي مكة أماكن شريفة أخرى في إتيانها فضل كامل: منها: دار خديجة، التي هي دار الوحي ومولد سيدة نساء العالمين، وهي في سوق الصباغين، الذي هو قرب سوق الصفا والمروة، واقعة في يمين من يمشي من الصفا إلى المروة، ولها قبة معروفة، ويتصلها مسجد، يستحب إتيانها، وصلاة التحية فيها، وطلب الحوائج والمسألة.

ومنها: مولد النبي صلى الله عليه وآله، وهو في سوق الليل، وله قبة معروفة، وأصل موضع التولد شبيه بجوف ترس، وعليه منارة من الخشب، يستحب إتيانه، وصلاة التحية فيه، وطلب الحاجة.

ومنها: قبر خديجة ، وهو في مقابر معلاة ، قريب بانتهاء المقابر في سفح الجبل، وله قبة معروفة ، أصل القبة بيضاء وحيطانها صفراء ، وتستحب زيارتها.

وكذا زيارة آمنة أمّ الرسول صلى الله عليه وآله، وقبرها قريب من قبر خديجة في فوقه بقليل، من يمين من يصعد من مكة إلى الجبل.

وزيارة أبي طالب عليه السلام والد أميرالمؤمنين عليه السلام، وعبد المطّلب جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبرهما فوق قبر خديجة وآمنة، ويدور عليهما حائط ليس بينه وبين الجبل إلاّ حظيرة اشتهر أنه مدفن بعض الصوفية، الذي يعتقده أهل السنة.

وللحظيرة - التي دفن فيها أبو طالب وعبد المطلب - باب من يمين من يصعد من جانب قبر خديجة إلى الجبل.

وفي الجانب المقابل للباب من هذه الحظيرة حظيرة أخرى أرفع من تلك الحظيرة، وفي قبلته محراب، وفي مقابل الباب قبر أبي طالب وعبد المطّلب.

وهنا قبر آخر متصل بالحائط في يمين الباب، بعضهم يقولون: أنه قبر عبد مناف، ولكنه لم يعلم. انتهى كلامه رفع مقامه.[[116]](#footnote-116)

وفي الدروس: استحباب إتيان مولد رسول الله وهو الآن مسجد في زقاق يسمى زقاق المولد، وإتيان منزل خديجة الذي كان رسول الله يسكنه وخديجة، وفيه ولدت أولادها منه، وفيه قد توفيت، ولم يزل رسول الله مقيماً به حتى هاجر، وهو الآن مسجد أيضاً.[[117]](#footnote-117)

...7ـ إتيان منزل خديجة الذي كان رسول الله يسكنه معها بعد تزوجه منها وفيه ولدت له أولادها منه، ومنهم الصديقة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وتوفيت فيه، وهو الآن مسجد أيضاً فيصلي فيه ويدعو.[[118]](#footnote-118)

وعن علي قال: <دعاني رسول الله وهو بمنزل خديجة ذات ليلة فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي! فما زال يمشي وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله تعالى كل عين فقال لي رسول الله: يا علي! قلت: لبيك يا رسول الله. قال: اصعد على كتفي ثم انحنى النبي فصعدت على كتفه فقلبت الأصنام على رؤوسها ونزلت وخرجنا من الكعبة حتى أتينا منزل خديجة فقال لي: أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام فلما أصبح أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوتة على رؤوسها فقالوا ما فعل هذا بآلهتنا إلا محمداً وابن عمه ثم لم يقم في الكعبة صنم...>.[[119]](#footnote-119)

وأما منزل خديجة فإنه يعرف بها اليوم اشتراه معاوية فيما ذكر فجعله مسجداً يصلى فيه، وبناه على الذي هو عليه اليوم ولم يغير.[[120]](#footnote-120)

## الرابع: الغار الذي في جبل حراء، وهو مصلى رسول الله أول مبعثه

الإمام أبو محمد العسكري قال: قال أمير المؤمنين: <تواطأت اليهود على قتل رسول الله في طريقه على جبل حرا وهم سبعون، فعمدوا إلى سيوفهم فسموها، ثم قعدوا له ذات [يوم] غلس في طريقه على جبل حرا. فلما صعد، صعدوا إليه، وسلوا سيوفهم، وهم سبعون رجلاً من أشد اليهود وأجلدهم وذوي النجدة منهم، فلما أهووا بها إليه ليضربوه بها التقى طرفا الجبل بينهم وبينه فانضما، وصار ذلك حائلاً بينهم وبين محمد، وانقطع طمعهم عن الوصول إليه بسيوفهم، فغمدوها فانفرج الطرفان بعد ما كانا انضما فسلوا بعد سيوفهم وقصدوه.

فلما هموا بإرسالها عليه انضم طرفا الجبل، وحيل بينهم وبينه فغمدوها، ثم ينفرجان فيسلونها إلى أن بلغ [إلى] ذروة الجبل، وكان ذلك سبعاً وأربعين مرة، فصعدوا الجبل وداروا خلفه ليقصدوه بالقتل، فطال عليهم الطريق، ومدّ الله عزّوجلّ الجبل فانطوى عنه حتى [فرغ] رسول الله من ذكره وثنائه على ربّه واعتباره بعبره.

ثم انحدر عن الجبل وانحدروا خلفه ولحقوه وسلوا سيوفهم [عليه] ليضربوه بها، فانضم طرفا الجبل وحال بينهم وبينه فغمدوها، ثم انفرج فسلوها، ثم انضم فغمدوها، وكان ذلك سبعاً وأربعين مرة [كلما انفرج سلوها، فإذا انضم غمدوها].

فلما كان في آخر مرة وقد قارب رسول الله القرار، سلوا سيوفهم [عليه] فانضم طرفا الجبل، وضغطهم الجبل ورضضهم، وما زال يضغطهم حتى ماتوا جميعاً.

ثم نودي: يا محمد انظر إلى خلفك وإلى من بغي بك السوء ماذا صنع بهم ربهم، فنظر فإذا طرفا الجبل [مما يليه] منضمان، فلما نظر انفرج الجبل، وسقط أولئك القوم وسيوفهم بأيديهم وقد هشمت وجوههم وظهورهم وجنوبهم وأفخاذهم وسوقهم وأرجلهم وخروا موتى تشخب أوداجهم دماً.

وخرج رسول الله من ذلك الموضع سالماً مكفياً مصوناً محوطاً، تناديه الجبال وما عليها من الأحجار والأشجار: هنيئاً لك يا محمد بنصرة الله عزّوجلّ لك على أعدائك بنا، وسينصرك [الله] إذا ظهر أمرك على جبارة أمتك وعتاتهم بعلي بن أبي طالب، وتسديده لإظهار دينك، وإعزازه وإكرام أوليائك وقمع أعدائك، وسيجعله تاليك وثانيك، ونفسك التي بين جنبيك، وسمعك الذي (به) تسمع، وبصرك الذي به تبصر، ويدك التي بها تبطش، ورجلك التي عليها تعتمد، وسيقضي عنك ديونك، ويفي عنك بعداتك، وسيكون جمال أمتك، وزين أهل ملتك، وسيسعد ربك عزّوجلّ به محبيه، ويهلك به شانئيه>.[[121]](#footnote-121)

وروي أن جبرئيل أخرج قطعة ديباج فيه خط فقال: <إقرأ، قلت: كيف أقرأ ولست بقارئ؟ إلى ثلاث مرات فقال في المرة الرابعة: إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ إلى قوله: مَا لَـمْ يَعْلَمْ ثم أنزل الله جبرئيل وميكائيل ومع كل واحد منهما سبعون ألف ملك، وأتى بالكراسي ووضع تاج على رأس محمد صلى الله عليه وآله وأعطى لواء الحمد بيده فقال: اصعد عليه واحمد الله، فلما نزل عن الكرسي توجه إلى خديجة فكان كلّ شيء يسجد له ويقول بلسان فصيح: السلام عليك يا نبي الله، فلما دخل الدار صارت الدار منورة فقالت خديجة: وما هذا النور! قال: هذا نور النبوة قولي لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فقالت: طال ما قد عرفت ذلك، ثم أسلمت، فقال: يا خديجة إنى لأجد برداً، فدثرت عليه فنام فنودي: يَا أَيُّهَا الْـمُدَّثِّرْ الآية، فقام وجعل إصبعه في اذنه وقال: الله أكبر الله أكبر، فكان كل موجود يسمعه يوافقه>.[[122]](#footnote-122)

فأما حديث مجاورته صلى الله عليه وآله بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح: <أنه كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة>، قال: جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلقَ إلى قوله: عَلَّمَ الْإنْسَانَ مَا لَـمْ يَعْلَمْ...[[123]](#footnote-123)

عيون أخبار الرضا: عن مولانا الرضا، عن أبيه، صلوات الله عليهما قال: <أول سورة نزلت: بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ - الخ، وآخر سورة نزلت: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ.

وفي رسالة النعماني قال أميرالمؤمنين: <أول ما أنزل الله من القرآن بمكة: إقْرَأْ بِاسـْمِ رَبـِّكَ وأول ما أنزل بالمدينة سورة البقرة>.[[124]](#footnote-124)

عن سعيد بن المسيّب، عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال: <سألت النبي صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأول ما نزل عليه بمكّة فاتحة الكتاب، ثمّ إقرأ باسم ربك، ثمّ نون، إلى أن قال: وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة، ثمّ الأنفال، ثمّ آل عمران، ثمّ الأحزاب، ثمّ الممتحنة، ثمّ النساء، ثمّ إذا زلزلت، ثمّ الحديد، ثمّ سورة محمّد، ثمّ سورة الرعد، ثمّ سورة الرحمن، ثمّ هل أتى، إلى قوله: فهذا ما نزل بالمدينة، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله: جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً، ولا يرغب في تعلّم القرآن إلاّ السعداء، ولا يتعهّد قراءته إلاّ أولياء الرحمن>.[[125]](#footnote-125)

## الخامس: جبل أبي قبيس، تأتيه تبركاً بمناسبة انشقاق القمر لرسول الله حين دعا وهو عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك سورة القمر: إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ.

...إن انشقاق القمر لرسول الله كان ظاهراً في حياته ومشهوراً في عصره وزمانه. وقد أنكر ذلك جماعة من المعتزلة وغيرهم من أهل الملل والملحدة وزعموا أن ذلك من توليد أصحاب السير ومؤلفي المغازي وناقلي الآثار وليس يمكنه أن يدعي على من خالف فيما ذكرناه علم الاضطرار وإنما يعتمد على غلطهم في الاستدلال. فما يؤمنه أن يكون النبي قد نص على نبي من بعده وإن عرى من العلم بذلك على سبيل الاضطرار؟ وبم يدفع أن يكون قد حصلت له شبهات حالت بينه وبين العلم بذلك كما حصل لخصومه فيما عددناه ووصفناه؟ وهذا ما لا فصل فيه.[[126]](#footnote-126)

وقال الراوندي: <...كثير من تلك المعجزات لا يمكن فيها الحيل، مثل انشقاق القمر، وحديث الاستسقاء، وإطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير، وخروج الماء من بين الأصابع، والأخبار بالغائبات قبل كونها، ومجيء الشجرة ثم رجوعها إلى مكانها لا تتم الحيلة فيها. وإنما تتم الحيلة في الأجسام الخفيفة التي تحدث بالتفكك والقسر وغير ذلك، ولا يتم مثله في الشجر والجبل، لأنه لو كان لوجب أن يشاهد>.[[127]](#footnote-127)

ما ظهر له صلى الله عليه وآله شاهداً على حقيّته من المعجزات السماوية، والغرايب العلوية، من انشقاق القمر، و ردّ الشمس وحبسها، وإظلال الغمامة، وظهور الشهب، ونزول الموائد والنعم من السماء، وما يشاكل ذلك زائداً على ما مضى في باب جوامع المعجزات الآيات: إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضـُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ.

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله: اقتربت الساعة؛ أي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق، وتكون القيامة. والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها؛ وانشق القمر، قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فلقتين، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: <إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه أن يعطيه ما قالوا؛ فانشق القمر فلقتين، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينادي:

يا فلان، يا فلان، اشهدوا>. وقال ابن مسعود: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله شقتين، فقال لنا رسول الله: <اشهدوا، اشهدوا>.

وروي أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت الحراء بين فلقي القمر.[[128]](#footnote-128)

وعن أنس: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما، رواه عن أنس قتادة.[[129]](#footnote-129)

تفسير علي بن إبراهيم: اقْتَرَبَتِ الساعَةُ، قال: قربت القيامة، فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا القيامة، وقد انقضت النبوة والرسالة. قوله: وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، فإنّ قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية، فدعا الله فانشق القمر بنصفين، حتى نظروا إليه، ثم الْتَأم...

أقول: رواية انشقاق القمر بنصفين بدعائه متواترة بين العامة والخاصة، فراجع تفاسيرهم. وكان قبل الهجرة بثلاث سنين.

قال الرازي في هذه الآية: المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت الأخبار الصحاح عليه في إمكانه، لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والإلتيام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السماوات. إنتهى.[[130]](#footnote-130)

(بحث روائي): في تفسير القمي، اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ؛ قال: اقتربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله إلا القيامة، وقد انقضت النبوة والرسالة. وقوله: وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، فإنّ قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية فدعا الله فانشق القمر نصفين، حتى نظروا إليه ثم التأم فقالوا: هذا سحر مستمر أي صحيح.

وفي أمالي الشيخ بإسناده عن عبيد الله بن علي، عن الرضا عن آبائه عن علي قال: <انشق القمر بمكة فلقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشهدوا اشهدوا>.

أقول: ورد انشقاق القمر لرسول الله صلى الله عليه وآله في روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت كثيراً وقد تسلمه محدثوهم والعلماء من غير توقف.[[131]](#footnote-131)

...آية شق القمر بيد النبي صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة باقتراح من المشركين مما تسلمها المسلمون بلا ارتياب منهم. ويدل عليها من القرآن الكريم دلالة ظاهرة قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضـُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ.[[132]](#footnote-132)

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: تأريخ وقوع هذه المعجزة: من الواضح أنه لا خلاف بين المفسرين ورواة الحديث حول حدوث ظاهرة شق القمر في مكة وقبل هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لكن الذي يستفاد من بعض الروايات هو أن حدوث هذا الأمر كان في بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وآله.

في حين يستفاد من البعض الآخر أن حدوث هذا الأمر قد وقع قرب هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وفي آخر عهده بمكة، وكان استجابة لطلب جماعة قدموا من المدينة لمعرفة الحق وأتباعه، إذ أنهم بعد رؤيتهم لهذه المعجزة آمنوا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة.

ونقرأ في بعض الروايات أيضاً أن سبب اقتراح شق القمر كان من أجل المزيد من الاطمئنان بمعاجز الرسول صلى الله عليه وآله، وأنها لم تكن سحراً لأن السحر عادة يكون في الأمور الأرضية. ومع ذلك فإن قسماً من المتعصبين والمعاندين لم يؤمنوا برغم مشاهدتهم لهذا الإعجاز، وتعللوا بأنهم ينتظرون قوافل الشام واليمن، فإن أيدوا هذا الحادث ورؤيتهم له آمنوا... ومع إخبار المسافرين لهم بذلك، إلا أنهم بقوا مصرّين على الكفر، رافضين للإيمان.

والنقطة الأخيرة الجديرة بالذكر أن هذه المعجزة العظيمة والكثير من المعاجز الأخرى ذكرت في التواريخ والروايات الضعيفة مقترنة ببعض الخرافات والأساطير، مما أدى إلى حصول تشويش في أذهان العلماء بشأنها، كما في نزول قطعة من القمر إلى الأرض. لذا فإنّ من الضروري فصل هذه الخرافات وعزلها بدقة وغربلة الصحيح من غيره، حتى تبقى الحقائق بعيدة عن التشويش ومحتفظة بمقوماتها الموضوعية.[[133]](#footnote-133)

وسيأتي المزيد عن انشقاق القمر في التاسع.

## السادس: الغار الذي في جبل ثور، وهو الذي آوى إليه رسول الله حين هجرته إلى المدينة المنورة

وعنه قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل، قال: حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن الحسين، عن إبراهيم العلوي النصيبي ببغداد، قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسين بن زيد، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن جعدة بن هبيرة، عن أمّه أمّ هاني بنت أبي طالب عليه السلام قالت: لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالهجرة وأنام علياً عليه السلام على فراشه، وسجاه ببرد حضرمي، ثم خرج فإذا وجوه قريش على بابه، فأخذ حفنة من تراب، فذرها على رؤوسهم فلم يشعر به أحد منهم، ودخل على بيتي، فلما أصبح أقبل علي وقال: <أبشري يا أم هاني فهذا جبرئيل عليه السلام يخبرني: أنّ الله عزّوجلّ قد أنجى عليّاً عليه السلام من عدوّه>.

قالت: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مع جناح الصبح إلى غار ثور، فكان فيه ثلثا حتى سكن عنه الطلب، ثم أرسل إلى علي عليه السلام وأمره بأمره وأداء الأمانة.[[134]](#footnote-134)

المجلس الثامن: ولما توفيت خديجة عليها السلام أشتد البلاء على رسول الله، وتراكمت عليه الهموم والغموم بحيث احتجب عن الناس مدة مديدة، وسمي ذلك العام عام الحزن، لأنه فقد في ذلك العام عمه أبا طالب وزوجته خديجة في سنة واحدة بل في شهر واحد، ثم هاجر إلى الطائف شهراً ورجع إلى مكة ليقيم بها فلم يستطع، لأنّ مشركي قريش همّوا بقتله واجتمعوا في دار الندوة، واستشاروا فيما بينهم في دفعه وسفك دمه، واجتمعت آراؤهم على أن يهجموا عليه ليلاً ويقطعوه في فراشه، ونزل عليه جبرئيل بهذه الآية: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.[[135]](#footnote-135) وأمره بالمسير إلى غار ثور ومنها إلى المدينة.

ولما أراد الهجرة خلف علياً لقضاء ديونه، وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمر ليلة الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، ويقيه بنفسه كما كان ينام على فراشه منذ أربع سنين في شعب أبي طالب، وذلك بأمر من أبي طالب لأنه غاية همّه حفظ رسول الله وصيانته عن مكائد قريش، وكان يأخذ بيد علي ويأتيه إلى فراش رسول الله ويأمره بالمبيت على الفراش، ويحول النبي إلى فراش آخر فكان علي يقول: أبتاه إني لمقتول فيقول له أبو طالب اصبرن يا بني أحجى كل حي مصيره لشعوب:

## قد بذلناك والبلاء شديد \* لفداء النجيب ابن النجيب

## لفداء الأعز الحسب الثاقب \* والباع والفناء الرحيب

## أن تصبك المنون فالنبل تترى \* فمصيب منها وغير مصيب

فأجاب علي:

## أتأمرني بالصبر في نصر أحمد \* فوالله ما قلت الذي قلت جازعا

## ولكنني أحببت أن تر نصرتي \* لتعلم إني لم أزل لك طائعا

## سأسعى لوجه الله في نصر أحمد \* نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا

والحاصل دعا رسول الله علياً وقال له: <إنّ الله تعالى أوحى إلىَّ أن أهجر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور، وإنه آمرك بالمبيت على فراشي وأن يلقى شبهي عليك أو تسلم بمبيتي هناك. قال: نعم. فتبسم ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً، فكان أول من سجد لله شكراً أو أول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته فلما رفع رأسه قال له: امض لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي وأنشأ يقول:

## وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى \* ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

## رسول إله خاف أن يمكروا به \* فنجاه ذو الطول الإله من المكر

## فبات رسول الله في الغار آمناً \* موفي وفي حفظ الإله وفي سرّ

## وبت أراعهم وما يثبتونني \* فقد وطنت نفسي على القتل والأسر

## أردت به نصر الإله تبتلاً \* وأضمرته حتى أؤسد في قبري

قال صلى الله عليه وآله وسلم له: فأرقد على فراشي واشتمل بردي ثم إني أخبرك يا علي إنّ الله امتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فقد امتحنك الله يا بن أمّ، وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل فصبراً صبراً، فإنّ رحمة الله قريبة من المحسنين...>.[[136]](#footnote-136)

و\* (الغار)\*: الثقب العظيم في الجبل، وهو هاهنا غار ثور، جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة...[[137]](#footnote-137)

الأمالي للطوسي، عن هند بن هالة، وأبي رافع، وعمّار بن ياسر ـ في ذكر اجتماع قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وعزمه على الهجرة إلى المدينةـ : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام وقال له: يا عليّ، إنّ الروح هبط عليَّ بهذه الآية آنفاً، يخبرني أنّ قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنّه أوحى إليّ ربّي عزّوجلّ أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنّه أمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي- أو قال: مضجعي- ليخفى بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وما صانع؟

فقال عليّ عليه السلام: أوَ تسلم بمبيتي هناك يا نبيّ الله؟ قال: نعم، فتبسّم عليّ عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً بما أنبأه رسول الله من سلامته، وكان عليّ صلوات الله عليه أوّل من سجد لله شكراً ، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأُمّة بعد رسول الله، فلمّا رفع رأسه قال له: امض‌ِ لما أُمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومُرني بما شئت أكن فيه كمسرّتك، وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلاّ بالله...>.[[138]](#footnote-138)

... روى الحاكم عن علي بن الحسين قال: <إنّ أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله عليٌ، وقال في ذلك شعراً:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى...>.[[139]](#footnote-139)

مستحبات مكة المكرمة: ...إتيان الغار الذي بجبل ثور، وهو الجبل الذي استتر فيه النبي صلى الله عليه وآله حين الهجرة إلى المدينة.[[140]](#footnote-140)

## السابع: بيت أبي طالب عليه السلام.

إنّ بيت أبي طالب كان عند جبل أبي قبيس، لأنّ شعب أبي طالب كان هناك وكان قريباً بالمسعى والمسجد الحرام. ولايخفى أنّ بيوت أبناء عبدالمطلب كبيت عبدالله والد النبي (مكتبة مكة المكرمة الحالي) كانت في منطقة واحدة وهي وراء المسعى، بين سوق الليل وجبل أبي قبيس. وأما المصادر التي نقلت بأنّ الحجون هو الشعب (شعب أبي طالب)، فليس بصحيح، لأنه الخلط بين المقبرة والشعب.





# C:\Users\meqdadi\Desktop\e7ab856a172a953988f856d8cdb02b43.jpg

ولد النبي صلّى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال؛ وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلب وولدته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار؛ وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلي الناس فيه. وبقي بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين ثم قبض عليه السّلام لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول يوم الاثنين وهو ابن ثلاث وستين سنة.[[141]](#footnote-141)

واجتمعت قريش إلى دار الندوة وكتبوا الصحيفة على بني هاشم لا يكلموهم ولا يبايعوهم أو يسلموا إليهم رسول الله ليقتلوه ثم أخرجوهم من بيوتهم حتى نزلوا شعب أبي طالب ووضعوا عليهم الحرس فمكثوا بذلك ثلاث سنين...[[142]](#footnote-142)

(شعب أبي طالب) الشِعب بالكسر الطريق في الجبل والجمع الشعاب.

والشعب بالكسر: ما انفرج بين جبلين، وشعب أبي طالب معروف بمكة.[[143]](#footnote-143)

تقع دار الأرقم خلف الصفا بينها وبين شعب أبي طالب، فهي على يمين الخارج من المسجد نحو شعب أبي طالب أو بيت خديجة «عليهما السلام»، وقد رأيتها بين المسجد وبين مكان مولد النبي صلى الله عليه وآله الذي يعرف اليوم بمكتبة مكة. ثم أزالوها مع الجبل المتصل بالصفا...[[144]](#footnote-144)

علي، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن إبراهيم بن محمد الأشعري، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبدالله قال: <لما توفى أبوطالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد اخرج من مكة، فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله، فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه.[[145]](#footnote-145)

قال علي بن الحسين: <كان أبو طالب يضرب عن رسول الله بسيفه ويقيه بنفسه، فلما حضرته الوفاة وقد قويت دعوة رسول الله وعلت كلمته، إلاّ أنّ قريشاً على عداوتها وحسدها فاجتمعوا إلى أبي طالب ورسول الله عنده، فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف. قال: وما النصف منه؟ قالوا: ليكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله، لأنّ هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبتت البغضاء...>.[[146]](#footnote-146)

## الثامن: مقبرة الشهداء بفخّ

ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، شهيد فخّ. وقد قام في المدينة في خلافة موسى الهادي واستشهد بفخّ ـ موضع أو بئر على فرسخ من مكّة ـ ولم يعرف من أئمتنا عليهم السلام حديث ظاهر في قدحه، بل وردت روايات كثيرة تدل على تقديسه وتقديس قيامه نذكرها من كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الإصفهاني:

1ـ ما رواه بسنده، عن زيد بن علي، قال: <انتهى رسول الله إِلى موضع فخّ فصلّى بأصحابه صلاة الجنازة، ثمّ قال: يقتل هيهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إِلى الجنة>.

2ـ ما رواه بسنده، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: <مرَّ النبي صلى الله عليه وآله بفخّ فنزل

فصلّى ركعة، فلمّا صلّى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي يبكي بكوا، فلمّا انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لمّا رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله. قال: نزل عليّ جبرئيل لمّا صلّيت الركعة الأولى فقال: يا محمد، إِنّ رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان. وأجر الشهيد معه أجر شهيدين>.

3ـ ما رواه بسنده، عن النضر بن قرواش، قال: أكريت جعفر بن محمد من المدينة إِلى مكة، فلمّا ارتحلنا من بطن مرّ قال لي: <يا نضر، إِذا انتهيت إِلى فخّ فأعلمني... فتوضأ وصلّى ثمّ ركب فقلت له: جعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئاً، أفهو من مناسك الحج؟ قال: لا، ولكن يقتل هيهنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إِلى الجنة>.

4ـ ما رواه بسنده، عن إِبراهيم بن إِسحاق القطّان، قال: سمعت الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله يقولان:

<ما خرجنا حتّى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر عليه السلام فأمرنا بالخروج>.

5ـ ما رواه عن جماعة، قالوا: جاء الجند بالرؤوس إِلى موسى والعباس وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين، فلم يتكلم أحد منهم بشيء إلاّ موسى بن جعفر عليه السلام، فقال له: <هذا رأس الحسين؟ قال: نعم، إنّا لله وإنا إليه راجعون. مضى والله مسلماً صالحاً صوّاماً قوّاماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ما كان في أهل بيته مثله. فلم يجيبوه بشيء>. ولم يكن خروجه للدعوة إِلى نفسه بل كان يدعو إِلى الرضا من آل محمد، نظير ما صنعه زيد في دعوته.

6ـ فروى أبو الفرج أيضاً بسنده، عن أرطاة، قال: لمّا كانت بيعة الحسين بن علي صاحب فخّ قال: أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إِلى الرضا من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله والعدل في الرعية والقسم بالسويّة...

هذا. ولكن في أسناد الروايات ضعف، ومؤلف الكتاب من بني مروان ينتهي نسبه إلى مروان الحمار، وفي المذهب زيدي.[[147]](#footnote-147)

بعض أصحابنا، عن محمد بن حسان، عن محمد بن زنجويه، عن عبد الله بن الحكم الأرمني، عن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم الجعفري، قال: حدثنا عبد الله بن المفضل مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخّ واحتوى على المدينة دعا موسى بن جعفر إلى البيعة فأتاه فقال له يا بن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودعه فقال له أبوالحسن موسى بن جعفر حين ودعه: <يا بن عم إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويسرون شركاً وإنا لله وإنا إليه راجعون أحتسبكم عند الله من عصبة>. ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان قتلوا كلهم كما قال عليه السّلام.

بيان: فأجد الضراب، أمر من الجودة، والضراب القتال. أحتسبكم، أطلب الأجر في مصيبتكم. والعصبة محركة يقال لقوم الرجل الذين يتعصبون له ومن بيان لضمير المفعول البارز في أحتسبكم.[[148]](#footnote-148)

قال دعبل بن علي الخزاعي رحمة الله عليه من قصيدة طويلة:

## فأين الألى شطت بهم غربة النوى \* أفانين في الأطراف متفرقات

## هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا \* وهو خير سادات وخير حماة

## أفاطم قوُمي يا ابنة الخير فاندبي \* نجوم سماوات بأرض فلات

## قبور بكوفان وأخرى بطيبة \* وأخرى بفخ‌ٍ نالها صلواتي

## وقبر ببغداد لنفس زكية \* تضمّنها الرحمن في الغرفات...[[149]](#footnote-149)

... فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ سأل هذا الطاغي (أبو جعفر المنصور الدوانيقي) أبا جعفر أيضاً فأجابه بما أجابه خلفه الصادق عليه السلام مع زيادة كما يجييء في حديث الصيحة. فقلت: نعم، طويل عريض شديد، طويل بحسب المدة والزمان، عريض بحسب المساكن والبلدان، شديد بحسب القوة والسلطان. فلا تزالون في مهلة من أمركم هو السلطنة وفسحة من دنياكم، حتى تصيبوا منا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام. وحينئذ تستحقون زوال دولتكم وفناء سلطنتكم ولا يكون لكم في الأرض ناصر ولا في السماء عاذر.

قال بعض الأفاضل: كأنه إشارة إلى المقتولين بفخّ في ذي الحجة الحرام، وفخّ من الحرم بين تنعيم ومكة.

وقال الأمين الأسترآبادي: يمكن أن يكون المراد ما فعله هارون قتل في ليلة واحدة كثيراً من السادات. ويمكن أن يكون المراد قتلهم المقتولين بفخ وهو موضع قرب مكة انتهى.

ونظير ما نحن فيه من طرق العامة عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: «إنّ هؤلاء أخافوني وهم قاتلي فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذل من فَرْم الأمة»؛ الفرم بالفتح والسكون، خرقة الحيض.

وما يجيىء في حديث الناس يوم القيامة عن أبي عبد الله: «إنّ الله عزّ ذكره أذن في هلاكه بني أمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيام»، ويفهم من جميع ذلك أنه لا يلزم أن يكون الزوال بعد فعلهم ذلك بلا فصل (فعرفت أنه قد حفظ الحديث) فيكف من إصابة دمائنا خوفاً من زوال ملكه...[[150]](#footnote-150)

أخبرني علي بن العباس المقانعي، قال: حدثني علي بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم المقري، قال: حدثنا الحسن بن علي الأسدي. قال: حدثنا الحسن بن عبد الواحد، قال: حدثني عبد الرحمن بن القاسم بن إسماعيل، قال: حدثنا الحسين بن المفضل العطار، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي قال:

<مرّ النبي صلى الله عليه وآله بفخ فنزل فصلى ركعة، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي صلى الله عليه وآله يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله. قال: نزل علي جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد إنّ رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين>.[[151]](#footnote-151)

ونزل الصادق في رواحه إلى الحج من المحمل بفخ وتوضأ وصلى ثم ركب؛ فقيل له: هذا من الحج؟ قال: <لا ولكن يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم الجنة>.

وأخبر أيضا الإمام موسى بن جعفر بشهادته لما خرج قال له: <يا بن العم إنك مقتول فأجد الضراب، فإن القوم فسّاق يظهرون إيماناً، ويسرون شركاً وإنا لله وإنا إليه راجعون أحتسبكم عند الله من عصبة>. ولقد قتل في يوم التروية ثامن من ذي الحجة ستمائة نفر من السادات وآل أبي طالب ومواليهم، وإلى هؤلاء أشار دعبل بقوله: (وأخرى بفخ نالها صلوات). وكان ذلك في خلافة الهادي رابع خلفاء بني العباس.

قال الإمام محمد بن علي الجواد: <وما وقعت وقعة بعد وقعة الطف أعظم علينا من محاربة فخ، ولما قتل الحسين بن علي صاحب فخ سمعت نياح الجن عليه من أول الليل إلى الصباح على مياه غطفان>. والسبب في خروجه إنّ الهادي ولي على المدينة رجلاً من ولد عمر بن الخطاب اسمه عمر بن العزيز بن عبدالله بن عمرٰ فضيق على السادات والهاشميين وآل أبي طالب ومواليهم، وكان يؤذيهم بكل ما يستطيع حتى جرى الأمر بأن ضرب الحسن بن محمد بن عبد الله المحض أحد سادات بني الحسن مائتي سوطاً لأمر، وضرب رجلين من خواصه ثم جعل الحبال في أعناقهم، وطيف بهم في المدينة مكشفي الظهور ليفضحهم وأشاع في الناس بأنه وجدهم على شراب فجاء الحسين بن علي صاحب فخ إلى العمري وقال له: قد ضربتهم ولم يكن لك إن تضربهم فلم تطوف بهم فأمر العمري بهم فردهم وحبسهم، ثم ضمن له الحسين وكفل له فأخرجهم من الحبس فغاب الحسن بن محمد فبلغ ذلك العمري فغضب وأحضر الحسين بن علي صاحب فخ ويحيى بن عبد الله بن الحسن فأغلظ لهما وتهددهما وقال لتأتياني به، أو لأحبسنكما فإنّ له ثلاثة أيام لم يحضر العرض وكان اللعين يطلب بني هاشم في كل يوم بالعرض عليه ليقف على أحوالهم وشؤونهم قال: فتضاحك الحسين في وجه العمري وقال: أنت مغضب يا أبا حفص؟ فقال له العمري: أتهزء بي وتخاطبني بكنيتي فقال له: قد كان أبو بكر وعمر هما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية فقال له آخر: قولك أشر من أوله فإنما أدخلتك إلي لتفاخرني وتؤذيني ثم حلف العمري إنه لا يخلي سبيله أو يجيئه بالحسن بن محمد في باقي يومه وليلته، وإنه إن لم يجئ به ليضربن الحسين ألف سوط وحلف إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته فخرج الحسين من عنده ووجه إلى الحسن بن محمد، وقال: يا بن عمي قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق فأمض حيث أحببت فقال الحسن: لا والله يا بن عمي بل أجيء معك الساعة حتى أضع يدي في يده فقال الحسين: لا والله ما كان الله ليطلع علي وأنا جاء، وإلى محمد صلى الله عليه وآله وهو خصيمي وحجيجي في أمرك لعلّ اللهَ إن يَقِيَناَ شرّه.

ثم وجه الحسين إلى بني هاشم فاجتمعوا ستة وعشرون رجلاً من ولد علي وعشرة نفر من الحاج ونفر من الموالي فلما أذن المؤذن بالصبح دخلوا المسجد وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي، وقال للمؤذن: أذن بحي على خير العمل، فلمّا نظر المؤذن إلى السيف في يده أذن بها وسمعه العمري فأحس بالشر ودهش وركب بغلته وهرب من المدينة، فصلّى الحسين بالناس الصبح ودعى بالشهود العدول الذي كان العمري أشهدهم عليه بأن يأتي الحسن إليه فقال للشهود: هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلاّ والله خرجت من يميني ومما علي.

ثم خطب الحسين بعد صلاته فحمد الله وأثنى عليه وقال: أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله، وفي حرم رسول الله أدعو إلى سنّة رسول الله، أيها الناس: أتطالبون آثار رسول الله في الحجر والعود؟ تمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه، فأتاه الناس وبايعوه على كتاب الله تعالى وسنة نبيه، والرضا من آل محمد؛ فبلغ ذلك حماد البربري وكان على مسلحة السلطان بالمدينة في السلاح، ومعه مائتين من الجند وجاء العمري ومعه أناس كثيرون حتى وافوا باب المجلس فأراد حماد أن ينزل فبدره يحيى بن عبد الله بن الحسن وفي يده السيف، فضربه على جبينه وعليه البيضة والقلنسوة فقطع ذلك كله وأطار مخ رأسه، وسقط عن دابته وحمل على أصحابه فتفرقوا وانهزموا، وأقام الحسين بن علي وأصحابه يتجهزون بالمدينة أحد عشر يوماً وفرق ما كان في بيت المال وهي سبعون ألفاً على الناس، وكان يقول لهم: أبايعكم على كتاب الله وسنة نبيه وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد وعلى أن نعمل بينكم بكتاب الله وسنة نبيه، والعدل في الرعية والقسمة بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فإن نحن وفيناكم وفيتم لنا، وان نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم. ثم خرج الحسين وأصحابه لست بقين من ذي القعدة إلى مكة وأستخلف على المدينة رجل من خزاعة، وبلغ ذلك إلى الخليفة الهادي وكان قد حج في تلك السنة رجال من أهل بيت الخليفة، منهم سليمان بن أبي جعفر عمّ الهادي ومحمد بن سليمان والعباس بن محمد وموسى وإسماعيل أبناء عيسى الدوانيقي ومبارك التركي ومبارك هذا قاتل مع الحسين بالمدينة أشد القتال إلى منتصف النهار ثم أنهزم. وقيل إنّ مباركا أرسل إلى الحسين يقول له: والله لإن أسقط من السماء فتخطفني الطير أيسر علي من أن أشوكك بشوكة أو أقطع من رأسك شعرة فبيتني فإني منهزم عنك فوجه إليه الحسين قوماً فلما دنوا صاحوا وكبروا فانهزم التركي هو وأصحابه.

ثم أمر الخليفة فرجع وعاد في جيشه والتحق بهؤلاء وهم قد ساروا بجماعة وسلاحهم من البصرة لخوف الطريق، فكتب الهادي إليهم بتولية الحرب، فلما قرب الحسين وأصحابه من مكة وصاروا (بفخ وبلدح) تلقياهم الجيش من المسودة ـ يعني بني العباس ـ فالتقوا يوم التروية وقت صلاة الصبح. فعرض العباس بن محمد علي الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء.

قال الراوي: لما أن لقي الحسين المسودة أقعد رجلاً على جمله، معه سيف يلوح والحسين بن علي يملي عليه حرفاً حرفاً يقول ناد فنادى يا معشر المسودة هذا الحسين بن رسول الله، وابن عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله فأمر موسى بن عيسى تبعية العسكر فصار محمد بن سليمان في الميمنة وموسى في الميسرة وسليمان بن أبي جعفر والعباس ابن محمد في القلب، وكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئاً حتى انحدروا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين، وبقي الحسين في عدد يسير وجعل يقاتل أشد القتال حتى أثخن بالجراح...[[152]](#footnote-152)

وحكي عن محمد بن سليمان العباسي وهو الذي قاتل الحسين بن علي الشهيد بفخ: لما احتضر لقن الشهادة فكان يقول بدل الشهادة:

ألا ليت أمّي لم تلدْني ولم أكن \* لقيت حسيناً يوم فخٍّ ولا حسن.[[153]](#footnote-153)

## التاسع: إنشقاق القمر

لقد طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الثامنة للبعثة عندما كان مع علي في شعب أبي طالب أن يريهم آية، فدعا الله سبحانه وتعالى فانشقّ القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم. لكنّ قريشاً استمرّت في كفرها فقالوا: هذا سحر مستمر! فأنزل تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّـاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ.

وقد وصف السيد المرتضى ذلك الحديث بالمتواتر.

وأجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه، حتى رأى أهالي مكّة حراء بينهما، إذ أصبح القمر فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على جبل آخر. وقالوا: انشقّ القمر مرّتين.

وحادثة انشقاق القمر من الوقائع الخطيرة في حياة الإنسان الدينيّة تبيّن العظمة الإلهية من جهة، والتعصّب الجاهلي من الجهة الأُخرى. وهل يُسْلم الكافرون اليوم لو انشقّ القمر لهم مرّة أُخرى وتعصّبهم غالب عليهم؟[[154]](#footnote-154)

وبهذا الإسناد، عن علي بن موسى، عن أبيه، عن جده، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: <انشق القمر بمكة فلقتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشهدوا اشهدوا بهذا>.[[155]](#footnote-155)

قال العلاّمة المجلسي: وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، منهم عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وابن عباس، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن عمر، وعليه جماعة من المفسرين إلاّ ما روي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: معناه وسينشق القمر، وروي ذلك عن الحسن، وأنكره أيضاً البلخي، وهذا لا يصح، لأنّ المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه، ولأن اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه، ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع لما كان يخفى على أحد من أهل الأقطار فقوله باطل، لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجبه عن أكثرهم بغيم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلاً فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا بذلك، على أنّ الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة، فيكون مثل

انقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه، وإنما ذكر سبحانه اقتربت الساعة، مع انشق القمر، لأنّ انشقاقه من علامة نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله، ونبوته وزمانه من أشراط الساعة. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا، هذا إخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش، وإنهم إذا رأوا آية معجزة أعرضوا عن تأملها، والانقياد لصحتها عناداً وحسداً وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ، أي قوي شديد يعلو على كل سحر، وهو من إمرار الحبل وهو شدة فتله، واستمر الشئ: إذا قوي واستحكم، وقيل: معناه ذاهب مضمحل لا يبقى، وقال المفسرون: لما انشق القمر قال مشركوا قريش: سحرنا محمد، فقال الله سبحانه: وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا، عن التصديق والايمان بها، قال الزجاج: وفي هذا دلالة على أن ذلك قد كان ووقع.

وأقول: ولأنه تعالى قد بين أنه يكون آية على وجه الاعجاز، وإنما يحتاج إلى الآية المعجزة في الدنيا، ليستدل الناس بها على صحة النبوة، ويعرفوا صدق الصادق لا في حال انقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين إلى المعرفة، ولأنه سبحانه قال: وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ، وفي وقت الالجاء لا يقولون للمعجز: إنه سحر.

وقال الرازي: المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر حصل فيه الانشقاق، ودلت الأخبار على حدوث الانشقاق، وفي الصحاح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة، قالوا: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله انشقاق القمر معجزة، فسأل ربه فشقه ، وقول بعض المفسرين: المراد سينشق بعيد ولا معنى له لأن من منع ذلك وهو الطبيعي يمنعه في الماضي والمستقبل، ومن وجوزه لا حاجة إلى التأويل، وإنما ذهب إليه ذلك الذاهب لأن الانشقاق أمر هائل، فلو وقع لعم وجه الأرض، فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر، فنقول: إن النبي صلى الله عليه وآله لما كان يتحدى بالقرآن وكانوا يقولون: إنا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام، وعجزوا عنه وكان القرآن معجزة باقية إلى قيام الساعة لا يتمسك بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر، وأما المؤرخون تركوه لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجمون، وهم لما وقع الأمر قالوا: بأنه مثل خسوف القمر وظهور شيء في الجوّ على شكل نصف القمر في موضع آخر، فلذا تركوا حكايته في تواريخهم، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتيام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السماوات، ثم قال: وأما كون الانشقاق آية للساعة فلأن منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله في كل جسم سماوي من الكواكب فإذا انشق بعضها ثبت خلاف ما يقول به من عدم جواز خراب العالم انتهى.

وقال القاضي في الشفاء: أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوع الانشقاق، وروى البخاري، بإسناده عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: <اشهدوا>.

وفي رواية مجاهد: ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله، وفي بعض طرق الأعمش: بمنى، ورواه أيضاً عن ابن مسعود الأسود وقال: حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر، ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة، وزاد: فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إنّ محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا، فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه، وقال: فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقالوا (يعني الكفار): هذا سحر مستمر. ورواه أيضاً عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله.

وقد رواه غير ابن مسعود، منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وجبير بن مطعم وعلي، فقال علي عليه السلام من رواية أبي حذيفة الأرحبي: <انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله>.

وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وآله أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما، رواه عن أنس قتادة، وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه: أراهم القمر مرتين انشقاقه، فنزلت: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد، وابن ابنه جبير بن محمد، ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ورواه عن ابن عمر مجاهد، ورواه عن حذيفة أبو عبدالرحمن السلمي، ومسلم بن أبي عمران الأزدي، وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة، والآية مصرحة، فلا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض، إذ لم ينقل عن أهل الأرض أنهم رصدوه في تلك الليلة ولم يروه ولو نقل إلينا من لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع الأرض ، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحابة أو جبال، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلاّ المدعون لعلمها، وآية القمر كانت ليلاً، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب، وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلاّ من رصد ذلك، ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في البلاد، وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر، وكثيراً ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام يظهر بالأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها انتهى.

تفسير علي بن إبراهيم: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ، قال: قربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ القيامة وقد انقضت النبوة والرسالة، قوله: وانشق القمر، فإنّ قريشاً سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية فدعا الله فانشق القمر بنصفين حتى نظروا إليه، ثم التأم فقالوا هذا سحر مستمر، أي صحيح، وروي أيضاً في قوله: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، قال: خروج القائم عليه السلام.

حدثنا حبيب بن الحسن بن أبان الآجري، قال: حدثني محمد بن هشام، عن محمد قال: حدثني يونس قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي: ما من نبي إلاّ وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما الذي تريدون؟ فقالوا: إن يكن لك عند ربك قد فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد! الله يقرئك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي شكراً لله، وسجد شيعتنا، ثم رفع النبي رأسه ورفعوا رؤوسهم فقالوا: يعود كما كان؟ فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه، فأمره فانشق، فسجد النبي شكراً لله، وسجد شيعتنا فقالوا: يا محمد حين تقدم سفارنا من الشام واليمن نسألهم ما رأوا في هذه الليلة، فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر سحرتنا به، فأنزل الله: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، إلى آخر السورة.

تفسير الإمام العسكري، الإحتجاج: بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام في احتجاج النبي على قريش إنّ الله يا أبا جهل إنما دفع عنك العذاب لعلمه بأنه سيخرج من صلبك ذرية طيبة عكرمة ابنك، وسيلي من أمور المسلمين ما إن أطاع الله فيه كان عند الله خليلاً، وإلاّ فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لما سألوا من هذا إنما أمهلوا لأن الله علم أن بعضهم سيؤمن بمحمد، وينال به السعادة، فهو لا يقطعه عن تلك السعادة

ولا يبخل بها عليه، أو من يولد منه مؤمن، فهو ينظر أباه لايصال ابنه إلى السعادة، ولولا ذلك لنزل العذاب بكافتكم، فانظر نحو السماء، فنظر أكنافها فإذا أبوابها مفتحة، وإذا النيران نازلة منها مسامتة لرؤوس القوم حتى تدنو منهم، حتى وجدوا حرها بين أكتافهم، فارتعدت فرائص أبي جهل والجماعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: <لا ترو عنكم فإن الله لا يهلككم بها، وإنما أظهرها عبرة، ثم نظروا وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ودفعتها حتى أعادتها في السماء كما جاءت منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان في كل منكم من بعد، وبعضها أنوار طيبة سيخرج عن بعضكم ممن لا يؤمن وهم مؤمنون>.[[156]](#footnote-156)

## العاشر: قبر خديجة، وهو في مقابر معلاة، قريب بانتهاء المقابر في سفح الجبل، وله قبة معروفة، أصل القبة بيضاء وحيطانها صفراء، وتستحب زيارتها

# C:\Users\meqdadi\Desktop\831793_NgD5UoSC.jpg

## الحادي عشر: زيارة عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وآله، في مقبرة المعلا

# C:\Users\meqdadi\Desktop\IMG_0880.JPG

## الثاني عشر: زيارة أبي طالب عمّ النبي ، و والد الإمام علي ، في مقبرة المعلا

ذكرت لهذه المقبرة أسماء، منها: مقبرة أبي طالب، ومنها: مقبرة الحجون... وعن أبي جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قبة بالحجون من أدم، فأقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى انتهى إلى القبة، ومعه أم سلمة، وميمونة زوجتاه.[[157]](#footnote-157)

... قاله <وهل ترك عقيل لنا من دار؟>، أي ما ترك لنا داراً حين فتح مكة. فقد مضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما، وقيل: يا رسول الله! ألا تنزل منزلك من الشعب؟

فقال: <وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟>، وكان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلّى الله عليه وآله منزل إخوته. والرجال والنساء بمكة. فقيل: يا رسول الله! فأنزل فى بعض بيوت مكة فى غير منازلك، فقال: <لاأدخل البيوت! فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة.[[158]](#footnote-158)

مسألة: يستحب زيارة سلمان الفارسي رضي الله عنه بالمنقول وزيارة نواب الإمام المنتظر كعثمان بن سعيد والسمري؛ وكذا يستحب زيارة المؤمنين. روى محمد بن أحمد بن يحيى في الصحيح قال: مشيت مع ابن بلال إلى قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: فقال لي علي بن بلال: قال صاحب هذا القبر عن الرضا من أتى قبر أخيه المؤمن من أي ناحية يضع يده وقرأ إنا أنزلناه سبع مرات أمن من الفزع الأكبر.

وقال أبو الحسن: <من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي إخوانه يكتب له ثواب زيارتنا ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالحي إخوانه يكتب له ثواب صلتنا>.[[159]](#footnote-159)

يستحب زيارة المقابر، لقوله: <كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الموت>.

وقال الرضا: <من أتى قبر أخيه المؤمن من أي ناحية يضع يده وقرأ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ سبع مرات أمن من الفزع الأكبر>.[[160]](#footnote-160)

... وأما كيفية زيارتهم فلم يرد فيها خبر على الخصوص، ويجوز زيارتهم بما ورد في زيارة ساير المؤمنين، ويجوز تخصيصهم بالخطاب بما جرى على اللسان، من ذكر فضلهم، والتوسل والاستشفاع بهم، وبآبائهم الطاهرين عليهم السلام. وكذا يستحب زيارة المراقد المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وذي الكفل ويونس وغيرهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

وكذا يستحب زيارة كل من يعلم فضله وعلوّ شأنه ومرقده ورمسه من أفاضل صحابة النبي كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وجابر الأنصاري. وكذا أفاضل أصحاب كلّ من الأئمة عليهم السلام المعلوم حالهم من كتب رجال الشيعة، كميثم التمار ورشيد الهجري وقنبر وحجر بن عدي وزرارة ومحمد بن مسلم وبريد وأبي بصير والفضيل بن يسار وأمثالهم مع العلم بموضع قبرهم. وكذا المشاهير من محدثي الشيعة وعلمائهم، الحافظين لآثار الأئمة الطاهرين وعلومهم، كالمفيد، والشيخ الطوسي، والسيدين الجليلين المرتضى والرضي، والعلاّمة الحلّي وغيرهم رضي الله عنهم. ومقابر قم مملوءة من الأفاضل والمحدثين، وتعظيمهم من تعظيم الدين، وإكرامهم من إكرام الأئمة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين.[[161]](#footnote-161)

# 

شَخْصِيّاتٌ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْن (37)

# الإخْـوَةُ الـثـَّلاَثـةُ الصَّـالِحُـونَ

حسن الحاج

هناك شخصيات جليلة في تأريخنا الإسلامي، كتبتُ عن جمع منهم، وما زالت صفحاته مليئة بالكثير، وها نحن في عدد المجلة هذا نلتقي مع ثلاثة منهم، مع إخوة صالحين، كانوا نماذج رائعة ومشرقة في إيمانهم، في ولائهم، في جهادهم، وفي سيرتهم ومواقفهم الجريئة والواعية، دفاعاً عن الحقّ والعدل، مستفيدةً مما وهبها الله تعالى من قدرات وملاكات، تمثّلت في شجاعتهم، وخطبهم البليغة، وحواراتهم مع الآخر...

إنهم ثلاثة من آل عبد القيس؛ من أشهر قبائل العرب شرفاً ومكانةً وطيبَ خصال من بلدة جواثى، الواقعة في شرق الجزيرة العربية، من بلاد البحرين...

وكما يقول الحموي عن جواثى: هي حصن لعبد القيس.

وفي الروض: جُواثى؛ بضم أوله وبالثاء المثلثة، مدينة بالبحرين لعبد القيس، قال امرؤ القيس:

|  |  |
| --- | --- |
| و رُحْنا كأنّا من جواثى عشية | نعالي النعاج بين عدل ومُشنَق‌ِ |

يريد كأنا من تجار جواثى؛ لكثرة ما معهم من الصيد، أراد كثرة أمتعة تجار جواثى. بين عَدل أي بين معدول في أعدال، ومشنق أي معلق.

وحدّث الأصمعي قال: كان قوم من أهل البحرين من جواثى يتواصلون على العلم والأدب.[[162]](#footnote-162)

فجواثى حظيت بأن تكون أول مكان تعقد فيه صلاة الجمعة بعد المدينة المنورة، يقول عبد الله بن عباس: أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله في مسجد عبد القيس بجواثى. وهذا المسجد بناه [بنو عبد القيس](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A8%D9%86%D9%88_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D9%82%D9%8A%D8%B3&action=edit&redlink=1) في السنة السابعة بعد وفادتهم الثانية من رسول الله في قريتهم المذكورة... ولذلك يقول شاعر بني عبد القيس:

|  |  |
| --- | --- |
| **والمسجد الثالث الشرقي كان لنا** | **والمنبران وفصل القول في الخطب** |
| **أيام لا مسجد للناس تعرفه** | **إلاّ بطيبة والمحجوج ذو الحجب ج** |

ولكن ابن كثير يقول: ... وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحقّ كما في صحيح البخاري عن ابن عباس. أي بعد ارتداد الناس بعد وفاة رسول الله، وعلى ذكر الردّة، فقد قال من كتب عن جواثى وأهلها: إنها لم تتأثر بما وقع من ردّة بعد وفاة رسول الله حتى قال بعض المؤرخين: ارتدت العرب كلّها إلاّ أهل جواثى! أو <وارتدت جزيرة العرب كلّها إلاّ ثلاث مدن هي مكة والمدينة والطائف وقرية صغيرة، وهي جواثا في منطقة هجر بالبحرين>.

أقول: إنَّ هذا القول، أقلّ ما يقال عنه: إنه إضافةً إلى كونه مبالغاً فيه، فهو خال من الدقة، وبعيد عن الصواب ولا يخلو من إساءة إلى الإسلام ورسوله و إلى ما بذله من جهد عظيم، ليس بعيداً عن تسديد السماء...، ولا أطيل في ظاهرة الردّة، فقد ارتدّ قوم عن الدين، ولكن ليس بهذه السعة، وهذا العموم <ارتدت العرب كلّها>. ولم يكن ما وقع لغير هؤلاء القوم ارتداداً عن الدين، وإنما هو في أغلبه موقف سياسيٌّ، وقع بعد عشرة أيام من مؤتمر السقيفة، يتوزع هذا الموقف بين معارض لما وقع في السقيفة، وبين متأخر في بيعته أو متأن‌ٍ حتى تنجلي الأمور أكثر، وبين ممتنع عن أداء الزكاة إما فهماً منه أنها تعطى لرسول الله فقط دون غيره، وإما أن يترقب لمن يدفع زكاته، أو لأنَّ الخليفة لم تكن بيعته وفق الموازين الشرعية، فكيف يُبايع أو تعطى له الزكاة، لقد كان ما حدث خليطاً من عدّة أسباب، فالمفروض بالخلافة أن تلتفت إلى هذه الأسباب وغيرها، لا أن تصف الجميع بما فيهم من له موقف سياسيٌّ معارضٌ بالارتداد عن الدين، ومحاربتهم تحت هذا العنوان، غير مبالية بما يترتب على مثل هذه التهمة من إساءة للدين ولما بذله رسول الله وأصحابه المخلصون من جهود كبيرة وتضحيات جسام؛ لإبلاغ الدعوة ونشرها بين الناس...، وبالتالي إظهار الخلافة أنها لولا موقفها وحربها ضدَّ هؤلاء لما بقي للإسلام شيءٌ، ولعاد الناس إلى جاهليتهم، فالفضل لها في إعادة الناس للدين بعد إذ هجروه وارتدوا عنه!.. إنه لمنهج عقيم وخطير ذلك الذي يصور مسلمي تلك الفترة الأهم من تاريخ الإسلام بأنهم ضعيفو الإيمان، وأنَّ إسلامهم وقع منهم رهبةً لا رغبةً، وجهلاً لا وعياً، ومعرفة للإسلام، وبالتالي حبّاً له وقناعةً به...[[163]](#footnote-163)

وعن قبيلة عبد القيس هذه، التي ولد فيها هؤلاء الثلاثة الصالحون ونشأوا في بيئتها وأجوائها وأعرافها؛ قال أبو عبيدة: ولعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب **منها:**

أسود العرب بيتاً و أشرفهم رهطاً الجارود هو وولده.

**و منها:** أشجع العرب حكيم بن جبلة قطعت رجله يوم الجمل فأخذها بيده و زحف على قاتله فضربه بها حتى قتله و هو يقول:

## يا نفس لا تراعي

## إن قطعت كراعي

## إن معي ذراعي

فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعه.

**ومنها:** أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرني.

**ومنها:** أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام غزا السند في أربعة آلاف ففتحها وأطعم الجيش كله ذاهباً وقافلاً، فبلغه أن رجلاً من الجيش مرض فاشتهى خبيصاً، فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان فأطعمهم حتى فضل وتقدم إليهم ألا يوقد أحد منهم ناراً لطعام في عسكره مع ناره.

**ومنها:** أخطب العرب مصقلة بن رقبة به يضرب المثل فيقال: أخطب من مصقلة.

**ومنها:** أهدى العرب في الجاهلية وأبعدهم مغاراً و أثراً في الأرض في عدوه وهو دعيميص الرمل كان يعرف بالنجوم هداية وكان أهدى من القطا يدفن بيض النعام في الرمل مملوءً ماء ثم يعود إليه فيستخرجه...

كما أنَّ هذه القبيلة كان لها في الشعر مكانة كبيرة، فقد أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيف.

هذا ما قاله عنهم أبو عبيدة.[[164]](#footnote-164)

وهذا صعصعة نفسه يتحدث عن قومه، ويصفهم لمعاوية حين سأله في لقاءٍ جمعهما وهو يحمل كتاباً من الإمام عليٍّ عليه السلام: ممن الرجل؟

قال: من نزار. قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال من ربيعة. قال: وما كان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً، وفي اللقاء لهباً ساطعاً. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟ قال كان خصيباً خضرماً أبيض، وهاباً لضيفه ما يجد، ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء!

إنهم من اُسرة آل صوحان، اُسرة كأنها خلقت للإسلام لا لغيره.. وكفاها بذلك فخراً وعزّاً وشرفاً، لقد أنجبت ثلاثة إخوة، كانوا بحق أهل إيمان‌ٍ خالص بالله تعالى ورسوله وأهل ولاء صادق لأهل البيت.

إنهم صعصعة وسيحان وزيد، أبناء صُوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبرة بن جدرجان بن عباس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

الكنى:

أشتهر صعصعة أنه أبو طلحة وأبو عكرمة، وقيل: أبو عمر.

وأما كنى زيد وهو أخوه لأبيه وأمّه: فقد ذكروا أنه كان يكنى أبا سلمان، ويبدو أنه أحبَّ هذه الكنية؛ لحبّه وملازمته لسلمان الفارسي، وقيل: أبو سليمان، أبو عائشة. أبو مسلم.[[165]](#footnote-165)

لقد عرف أبوهم صوحان بأنه <كان رأساً في الجاهليّة وسيّداً في الإسلام>، وصف رائع وصفته به أمُّ المؤمنين عائشة في رسالتها إلى ابنه زيد بن صوحان، سيأتينا ذكرها. وكانت أسرته وقبيلته كما وصفها عبدالله بن عباس حينما قال لصعصعة:

<إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء>، وكما أطرى عليها عبد الملك بن مروان وهو يتحدث إلى جلسائه عن القبائل العربية، حين وصل الدور لقبيلة عبد القيس: <إنَّ منهم أشدّ الناس، وأسخى الناس، وأخطب الناس، وأحضر الناس جواباً>؛ ثمَّ أردف عبارته الأخيرة هذه قائلاً: <أما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان>.

وهناك الكثير الذي يمكننا قوله وكتابته عن منزلة ومناقب ومواقف عبد القيس، التي تعدُّ من أكبر قبائل البحرين والمعروفة بأصالتها، كما عرفت في الجاهلية وكذا في الإسلام بفصاحتها وبلاغتها وشجاعتها وكرمها، وهو ما تضمنته أقوال كلّ من تحدث أو كتب عنها، ولم يكتفوا بذكرها بل راحت كلماتهم وكتاباتهم تشييد بها وتثني على منزلتها...

ولم أجد ذامّاً لعبد القيس إلاّ معاوية بن أبي سفيان، الذي راح يصفها بأنها:

<شَرُّ قُرَىً عَرَبيَّةً، أنْتَنُهَا نَبْتًا، وَأعْمَقُهَا وَادِيًا، وَأعْرَفُهَا بالشَّرِّ>.

كان هذا منه ردّاً على صعصعة، حين أوجعته أجوبته ومواقفه كثيراً، كما يأتينا، ومع هذا تراه في موقف آخر يطلب من عقيل بن أبي طالب أن يصف له آل صوحان، ويصفهم بأنهم مخاريف الكلام.[[166]](#footnote-166)

فإرثهم واسع، ومواقفهم كبيرة، وجهودهم ثرية، سنذكر ما يتيسر لنا منها، وبما يناسب هذه المقالة، التي ستتحدث عن رجالها الثلاثة بالذات.[[167]](#footnote-167)

الاختلاف في عددهم:

لقد وقع اختلاف في عدد أولاد صوحان بين الثلاثة والأربعة، وإن كان المشهور أنَّ له ثلاثة هم صعصعة وسيحان وزيد، ومع هذا نشير إلى أن هناك قولاً بأن له رابعاً وهو عبد الله، إلاّ أنَّ في جواب عقيل بن أبي طالب عن سؤال‌ٍ أو طلب‌ٍ وجهه له معاوية بن أبي سفيان حول أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام، حين قال له: ميّز لي أصحاب عليٍّ، وابدأ بآل صوحان، فإنهم (مخاريف أو مخاريق) الكلام، فذكر عقيل زيداً وصعصعة وعبدالله ولم يذكر سيحان.

وكذلك في الحديث الذي دار بين صعصعة وابن عباس عندما سأل ابن عباس صعصعة قائلاً: أين أخواك منك يا ابن صوحان؟ ـ فثناهما<أخواك>، ولم يجمعهم ـ فأجابه صعصعة عن عبدالله وزيد ولم يذكرسيحان.

وهذان القولان وإن دلاّ على أنَّ لصوحان ثلاثة أولاد، إلاّ أنهما أضافا خلافاً آخر في أنَّ الولد الثالث هو عبد الله، ولم يذكرا سيحان، الذي اشتهر ذكره في المصادر، حيث إنَّ المؤرخين ذكروا سيحان دون عبد الله، ولعلّ القول باتحادهما أي أنهما لشخص واحد هو الأنسب.. هذا وأنَّ الاختلاف وإن وقع في هذا، لكن الاتفاق حاصل في الأخوين صعصعة وزيد ابني صوحان العبدي نسبةً إلى جدهم عبد القيس.

والتي ما إن اعتنق رجال منها الإسلام، حتى شمروا عن سواعدهم كدحاً وجهاداً في سبيل إعلاء كلمة الله بلا توان‌ٍ ولا تلكإ‌ٍ ولا تخاذل... فسجلوا بذلك سيرةً خالدة انصبت في الدفاع عن رسالة الإسلام وحفظها من كل مكر وكيد وعدوان...

ما إن اقترب وصول عبد القيس المدينة المنورة لزيارة رسول الله وإعلان إسلامهم بين يديه المباركتين، حتى نسبت إليه أقوال عديدة انطلقت لتسجل لهم أوسمةً خُلدت، منها قوله يخاطب المسلمين: <سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق>. وعند قدومهم، قال: <مرحباً بالقوم غير خزايا ولاندامى>، وراح يدعو لهم قائلاً: <اللهم اغفر لعبد القيس>.

وفي شرح النهج؛ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب التاج: إنَّ رسول الله أكرم الجارود و عبد القيس حين وفدا إليه، وقال للأنصار: <قوموا إلى إخوانكم و أشبه الناس بكم>. قال: لأنهم أصحاب نخل كما أنّ الأوس والخزرج أصحاب نخل، ومسكنهم البحرين واليمامة.[[168]](#footnote-168)

أقول: ولعلَّ عبارة رسول الله ـ حين جعلهم إخوانهم وأشبه الناس بهم في الإسلام ـ : <قوموا إلى إخوانكم وأشبه الناس بكم في الإسلام>، لا لأنهم أصحاب نخل، فالنخل موجود في مرحلتي الجاهلية والإسلام؛ ولأنهم جاءوا إلى الإسلام إيماناً ونصرةً بمحض رغبتهم وإرادتهم كما الأنصار. بدليل أنه ما إن قال مخاطباً الأنصار: <يا معشر الأنصار أكرموا إخوانكم، فإنهم أشبه الناس بكم في الإسلام>. حتى أردف ذلك بقوله: <أسلموا طائعين غير مكرهين ولا موتورين>.[[169]](#footnote-169)

لقد عرفت هذه القبيلة، وبالذات أسرة صوحان؛ منذ أن أسلمت، بثباتها على الدين، الذي آمنت به، وقد أبت إلاّ أن ترسم نموذجاً فذاً، ومثلاً كبيراً في تفانيها بالأنفس والأموال وكلمات الحقِّ التي أطلقها أبناؤها عند اُمراء الجور والتعسف، كلّ ذلك من أجل دينها، الذي آمنت به عن وعي وبصيرة، فسجلوا إرثاً طيباً وتاريخاً ناصعاً في الدنيا، خلّد لهم رصيداً عظيماً في الآخرة.

من هذه الأسرة الطيبة، وفي هذا الوسط العلمي المعروف بالبلاغة والفصاحة، وفي هذه الأجواء، كانت ولادة ونشأة هؤلاء الإخوة الثلاثة.

فقد ذكروا أنَّ صعصعة، ولد في جزيرة دارين بمنطقة القطيف سنة 24 قبل الهجرة النبوية المباركة، وفي قول ولد في ديار قومه بني عبد القيس، وكانت نشأته بين أشرافها وزعمائها...

إسلامهم:

فما كان من صعصعة، وهو صغير يافع، إلاّ أن يعتنق الإسلام الذي أحبّه، وأدرك عصره الأول على حياة رسول الله، ولكنه لم يرزق شرف لقائه وهو ما ذكره كلٌّ من ابن عبد البر: <كان مسلماً على عهد رسول الله لم يلقه ولم يره صغرعن ذلك>.

وعن الذهبي: <صعصعة بن صوحان العبدي سيد شريف كبير، أسلم في زمن النبيِّ ولم يره.[[170]](#footnote-170)

وكذا أخوه زيد، فقد أسلم أيضاً في حياة النبيِّ وهذا نصُّ الرواة: <كان مسلماً على عهد النبيِّ>. وذكر بعضهم أنه وفد على رسول الله. والوفادة هذه قد تكون هي التي أشار إليها الحافظ بن عبد البر بقوله: <أدرك النبيَّ بسنة مسلماً>. أي في السنة المعروفة بسنة الوفود...

وأما أخوهم الثالث فهو سيحان، وكان ممن أسلم، إلاّ أنه لم يعرف وقت إسلامه...

زيد وسيحان والصحبة المباركة :

فيما يتعلق الأمر بصعصعة بن صوحان، لم أجد فيما تيسر لي مَن ذكر أنه من الصحابة، بعكس ما جاء في زيد وسيحان من أقوال، فقد وقع الاختلاف في أقوال من ذكر زيداً ومن ترجم له في كونه صحابياً أم لا. فعلى قول: إنه نال وسام الصحبة المباركة لرسول الله، فهذا ابن حجريقول: أدرك النبيَّ وصحبه.

وجاء في الاستيعاب: قتل يوم الجمل، ذكره محمد بن السائب الكلبي عن أشياخه في تسمية من شهد الجمل فقال: و زيد بن صوحان العبدي وكان قد أدرك النبي وصحبه؛ هكذا قال‏:‏ ولا أعلم له صحبة، ولكنه ممن أدرك النبي بسنة...

وهناك من استفاد من هذه الأبيات لشاعر‌ٍ من عبد القيس، أنه أدرك صحبة النبيِّ. ففي الإصابة:

<**وكفى بزيد حين يذكر فعله**

**طوبى لذلك من صريع مكرم**

**ذاك الّذي سبقت لطاعة ربّه**

**منه اليمين إلى جنان الأنعم**

**فدعا النّبيّ لهم هنالك دعوة**

**مقبولة بين المقام وزمزم>.**

فقد ذكر ابن عساكر هذه الأبيات في ترجمة زيد بن صوحان. وعلى هذا فهو صحابيّ لا محالة.

فيما ذهب آخرون أنه من التابعين، وفي قول: إنه من تابعي الكوفة كما عن ابن سعد في الطبقات. وعن ابن إسحاق: أنه أدرك النبيّ. وعن أبي عبيدة: أنَّ له وفادة...[[171]](#footnote-171)

وأما سيحان فعند بعض كانت له صحبة، وعجبت من الذهبي الذي قال عنه: <ولهما أخٌ اسمه سيحان لا يكاد يُعرف>. فهذا الذي (لا يكاد يعرف) عند الذهبي، قال عنه غيره: إنه من الصحابة؛ لأنّ الخلافة يومذاك كانت لا تؤمر إلاّ الصحابة، وكان الرجل أميراً في حرب الردّة، ذكر ذلك الطبري، وهذه عبارته: <... جاءت المسلمين موادُّهم العظمى من بني الناجية... ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان... فقوّى الله بهم أهل الإسلام، ووهّن الله بهم أهل الشرك، فولّى المشركون الأدبار>.

وهو ما ذكره سيف بن عمر - كما في الإصابة - عن سهل بن يوسف الأنصاري عن القاسم بن محمد أنه كان أحد الأمراء في قتال أهل الردة،... وأنهم كانوا لا يؤمرون إلاّ الصحابة.

كما أنَّ سيحان عُدَّ وأخواه صعصعة وزيد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة. وإن جاء في الإصابة ما رواه ابن حجر عن ابن مندة بخصوص زيد: <أنَّ عداده في أهل الحجاز والمعروف أنه مخضرم>.. ويمكن رفع التنافي بين الخبرين بأنَّ زيداً قد سكن الحجاز مدةً، قبل أن يسكن الكوفة مع بني قومه عبد القيس، فعدَّ مع صعصعة وسيحان من سكنتها، كان هذا بعد تمصيرها، واشتراكه في فتح العراق.

إضافةً إلى مشاركته في حرب الجمل في صفّ الإمام عليّ ضدَّ الناكثين، وقد نفر من مقرّه في الكوفة يريد البصرة تلبيةً لنداء الإمام له، وقبل مغادرته الكوفة، كانت له خطبة فيمن خطب في أهل الكوفة، قائلاً: أيّها الناس، إنه لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعزّ المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم؛ لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمّة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه... فلما فرغ سيحان من خطبته، تكلم عمار.

لقد شارك في قتال الناكثين يحمل راية قومه عبد القيس بقوة وثبات، إلى جنب أخويه صعصعة وسيحان، واشتدت المعركة، وتنقلت الراية بين الثلاثة؛ يقول ابن منظور وغيره: وكان سيحان الخطيب قبل صعصعة، وكانت الراية يوم الجمل في يده، فقتل، فأخذها زيد، فقتل، فأخذها صعصعة. قال الطبري: فارتُثّ صعصعة، وفي قول ثان للطبري: وصرع صعصعة، وهو ما يتنافا مع كون صعصعة بقي حيّاً إلى أن توفي في عهد معاوية. فيما أُصيب سيحان وأخوه زيد، واستشهدا ودفنا في قبر واحد.[[172]](#footnote-172)

بعد استشهاد سيحان رضوان الله عليه، وقد قدمنا الحديث عنه قبل زيد وصعصعة؛ بقي علينا أن نقرأ ما بقي مما تيسر لي من سيرة كلٍّ من زيد وصعصعة، ونبدأ ببشارة الرسول لزيد بالجنّة أولاً وبشهادته لصعصعة بالإيمان ثانياً.

\* وأبشروا بالجنّة!

لقد بُشر زيد بأنه من أهل الجنة، بعضه سبقه إلى الجنة، ليلتحق كلّه به يوم كان بصفِّ عليٍّ عليه السلام يُقاتل الناكثين يوم الجمل سنة ست وثلاثين هجرية، فهو صاحب يدٍ مباركة سبقته إلى الجنة، هذا ما جاء بحقّه حين رووا أنَّ رسول الله قال: «من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعضُ أعضائه إلى الجنة، فلينظر إلى زيد بن صوحان».

وقد خصّص البيهقي في كتابه دلائل النبوة باباً أسماه: باب ما روي في إخباره عن قتل زيد بن صوحان شهيداً:

فكان كما أخبر قتل يوم الجمل، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: «قال رسول الله: من سرَّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة، فلينظر إلى زيد بن صوحان».

وفي خبر آخر، حدّثوا فيه أنَّ رَسُول اللهِ لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ غَزْوَةِ بَني الْمُصْطَلِق‌ِ، نَزَلَ رَجُلٌ فَسَاقَ بالْقَوْم‌ِ وَرَجَزَ، ثُمَّ نَزَلَ آخَرُ فَسَاقَ بالْقَوْم‌ِ وَرَجَزَ، ثُمَّ بَدَا لِرَسُول‌ِ الله أَنْ يُوَاسِيَ أصْحَابَهُ، فَنَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ:

«جُنْدُبٌ وَمَا جُنْدُبٌ وَالأَقْطَعُ الْخَيْرُ زَيْدٌ»!

فَدنَا مِنْهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ما يَنْفَعُنَا مَشْيُكَ مَخَافَةَ أَنْ تَلْسَعَكَ دَابَّةُ الأَرْض‌ِ، أوْ تُصِيبُكَ نَكْبَةٌ، فَرَكِبَ وَدَنَوْا مِنْهُ، فَقَالُوا: لَقَدْ قُلْتَ قَوْلاً مَا نَدْر‌ِي مَا هُو؟!

قَالَ: وَمَا ذَاك؟

قَالُوا : قَولُكَ: «جُنْدُبٌ وَمَا جُنْدُبٌ وَالأَقْطَعُ الْخَيْر زَيْدٌ»!

فَقَالَ: «رَجُلان‌ِ يَكُونَان‌ِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ يَضْر‌ِبُ أَحَدُهُمَا ضَرْبَةً يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِل‌ِ، وَتُقْطَعُ يَدُ الآخِر‌ِ فِي سَبيل‌ِ اللهِ، فَيُتْبِعُ اللهُ آخِرَ جَسَدِهِ بِأَوَّلِهِ»!

فَكَانَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ قُطِعَتْ يَدُهُ يَوْمَ جَلُولاءَ، وَقُتِلَ يَوْمَ الْجَمَل‌ِ مَعَ عَلِيٍّ.

وأمَّا جُنْدُبٌ فَإنَّهُ رَجُلٌ دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْن‌ِ عُقْبَةَ، وَعِنْدَهُ سَاحِرٌ يُكْنَى أبَا شَيْبَانَ يَأْخُذُ أَعْيُنَ النَّاس‌ِ، فَيُخْر‌ِجُ مَصَار‌ِينَ بَطْنِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا فِيهِ، فَجَاءَ مِنْ خَلْفِهِ فَقَتَلَهُ، وَقَالَ:

**«اِلْعَنْ وَلِيدًا وَأبَا شَيْبَان**

**وَابْنَ حُبَيْش ٍ رَاكَبَ الشَّيْطَان**

**رَسُولَ فِرْعَوْنَ إلَى هَامَان».**

أما ابن عبد البر فقد ذكر في استيعابه أنَّه رُوي من وجوه أنّ النبيَّ كان في مسيرة له، فبينما هو يسير، إذ هوَّم، فجعل يقول: «زيد وما زيد‏!‏ جندب وما جندب»!

فسئل عن ذلك فقال‏:‏ «رجلان من أمتي؛ أما أحدهما فتسبقه يدُهُ»،‏ أو قال‏:‏ «بعض جسده إلى الجنة، ثم يتبعه سائر جسده. وأما الآخر فيضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل».

قال أبو عمر أصيبت يد زيد يوم جلولاء، ثم قتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب‏.. ‏

وكما ذكرنا أعلاه أنَّ أحد شعراء عبد القيس، وهو ينشد شعره فخراً بقبيلته ورجالها؛ لم يغفل عن ذكر زيد فقال:

**وكفى بزيد حين يُذكر فعلُه          طوبى لذلك من صريع مُكرم‌ِ**

**ذاك الذي سبقت لطاعة ربِّه       منه اليمينُ إلى الجنان الأنعم‌ِ.[[173]](#footnote-173)**

أيّ عبد صالح هذا، الذي يكون النظر إليه يدخل السرور على القلوب؟!

وفعلاً؛ سبقته يده إلى الجنة، بعد أن قطعت في سبيل الله كما هي شهادة رسول الله ولكنهم اختلفوا في أي يوم سبقته حين قطعت، ذهب بعضهم إلى أنها قطعت يوم نهاوند، معركة وقعت في الخلافة الثانية سنة 21، وقيل 18 أو 19 هجرية، قرب مدينة نهاوند في بلاد فارس. وبعضهم ذهب إلى أنها قطعت يوم جلولاء سنة 16 هجرية.

وثالث ذهب إلى أن ذلك كان يوم القادسية سنة 15 هجرية.

ورابع ذهب إلى أنه: «كان ذلك في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان يؤمهم زيد بن صوحان، يأمره بذلك سلمان».

فيما العبارة في تاريخ بغداد: «قطعت يد زيد في جهاده المشركين، وعاش بعد ذلك دهراً حتى قتل يوم الجمل». دون أي إشارة إلى الوقت أو اسم المعركة، واكتفى بذلك، وقد يفهم من عبارته أنّ اليد المذكورة، قطعت في العصر النبويّ حين كان هناك قتال ضدَّ المشركين.

كما وقع الاختلاف في أيهما قُطعت؛ اليمين أو الشمال، فقد ذكر بعضهم أنها الشمال، فقد روي أنَّ زيد بن صوحان يحدث، فقال أعرابي: إنَّ حديثك يعجبني، وإنّ يدك لتريبني. قال: أو ما تراها الشمال؟

قال: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال؟

فقال زيد: صدق الله: [اَلْأعْرَابُ أشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ ألاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ الله](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?ID=430&bk_no=60&flag=1#docu). فذكر الأعمش أنَّ يده قطعت يوم نهاوند.

فيما سكت غيرهم.

وإن وردت اليمين في بيت الشعر أعلاه.[[174]](#footnote-174)

\* يشهده عصابة من المؤمنين!

وكذا صعصعة، فقد وردت فيه ونخبة من المؤمنين  شهادة من النبيِّ بالإيمان. فمن مظاهر فساد وظلم الخلافة الثالثة نفيها  للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري إلى الربذة، حيث مكان وفاته رضوان الله عليه، وإذا بصعصعة مع رهط من الحجيج قد أقبلوا من مكة؛ من بيت الله الحرام، فكان مرورهم بالربذة، إذ بامرأة تعلو مرتفعاً راحت تلوي بطرف ردائها إليهم، تنادي: يا عباد الله المسلمين، يا عباد الله الصالحين، هذا أبوذر هلك غريباً، ليس لي من يعينني عليه، فأسرعوا إليه، وحضروا وفاته، وشاركوا في دفنه، فكان صعصعة ممن شملته شهادة رسول الله بالإيمان: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض، تشهده عصابة من المؤمنين...».[[175]](#footnote-175)

ولمكانة زيد بن صوحان عند كبار الصحابة؛ ها هو سلمان المحمدي، الفارسي؛ على جلالة قدره وعلو شأنه في الإسلام، يقدّم زيداً يأُمُّ الناس في صلاة الجمعة، فقد ذكروا أنه كان في جيش عليهم سلمان الفارسي، فكان يؤمهم زيد بن صوحان يأمره بذلك سلمان.

أن سلمان كان يقول لزيد بن صوحان يوم الجمعة: قم، فذكر قومك؛ وأما منزلته عند الخليفة الثاني، فتظهر جليّةً بعد ذكرهم للكوفة وأنَّها بعد أن مُصّرت، سكنها المسلمون ومنهم زيد مع لفيف من قومه عبدالقيس، قدم وفد من الكوفة فيه زيد على عمر بن الخطاب، فجاءه رجل من أهل الشام يستمد.

فقال: يا أهل الكوفة إنكم كنز أهل الإسلام، إن استمدكم أهل البصرة، أمددتموهم، وإن استمدكم أهل الشام، أمددتموهم.

وجعل عمر يرحل لزيد، وقال: يا أهل الكوفة هكذا فاصنعوا بزيد وإلا عذبتكم.

و دعا عمر زيد بن صوحان، فضَفَّنه على الرحل كما تضفنون أمراءكم ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : اصنعوا هذا بزيد وأصحاب زيد.[[176]](#footnote-176)

هذا بعض ما جاء في زيد، وسيأتي مزيد، أما صعصعة، فقد تميّز هو الآخر بمؤهلاته الخطابية، والخطابة تعدُّ الفن البياني الأكثر قدرةً في التأثير، والأعظم وسيلة لإبلاغ المراد، وهي دليل نباهة الخطيب وبيانه وفصاحته، ومن خلالها كما من خلال الشعر، تُعرف مهارة الإنسان وقدرته البيانية في إيصال أفكاره، وبها يحتلّ الإنسان مكانته الثقافية والاجتماعية، ولأهمية الخطابة وخطورتها، أشار الإمام عليٌّ بهذه الصفة، «هذا الخطيب الشحشح» ومعناها هنا: الخطيب الماهر بالخطبة، الماضي فيها...

وهذا ابن أبي الحديد بعد أن يذكر وصف الإمام عليه السلام لصعصعة، يقول: «إنَّ الشحشح يأتي بمعنى الغيور، والشجاع، والمواظب على الشيء الملازم له، والشحشح: الحاوي، ومثله الشحشحان. وهذه الكلمة قالها عليٌّ عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله».

ثم يعقب قائلاً: «وكفى صعصعة بها فخراً أن يكون مثل عليٍّ عليه‌السلام، يُثني عليه بالمهارة وفصاحة اللسان؛ وكان صعصعة من أفصح الناس، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان الجاحظ».

وكذا كان أخواه زيد وسيحان، فهذا ابن عبد البر، بعد أن يقول عن صعصعة: ـ وكان سيداً من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحاً خطيباً عاقلاً لسناً ديناً فاضلاً بليغاً يعدّ في أصحاب علىٍّ رضي الله عنه ـ يذكر ما قاله يحيى بن معين عن الثلاثة: صعصعة وزيد وسيحان ـ بنو صوحان‌ـ كانوا خطباء من عبد القيس... وما قاله الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب.

وكذا قال عنه أصحاب التراجم والسير، فهذا الذهبي يقول عنه:

كان أحد خطباء العرب، كان شريفاً مطاعاً أميراً فصيحاً مفوهاً، ... يقال: وفد على معاوية فخطب، فقال: إن كنتُ لأُبغض أن أراك خطيباً، قال: وأنا، إن كنتُ لأُبغض أن أراك خليفةً!

وأيضاً الزركلي في أعلامه: .... كان خطيباً، بليغا،ً عاقلاً، له شعر.

وتميز أيضاً بحكمته وبقدراته العلمية، حتى دفعت ابن عباس ليقول له:

«أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب». ومع كونه أحدث من حوله سنًّا، فإنَّ علمه كان معروفاً وحكمته واضحة لديهم؛ فقد جاء عن بريدة: بينما هو جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه، فقال: سمعتُ رسولَ الله يقول: «إنَّ من البيان سحراً، وإنَّ من العلم جهلاً، وإنَّ من الشعر حِكَمًا، وإنَّ من القول عِيالاً».

فقال صعصعة وهو أحدث القوم سنًّا: صدق رسول الله ولو لم يقُلها كان كذلك».

فتوسّمه رجل من الجلساء، فقال له، بعدما تصدّع القوم من مجلسهم: ما حملك على أن قلت: صدق نبيُّ الله ولو لم يقُلها كان كذلك؟!

قال: بلى، أما قول النبيِّ: «إنَّ من البيان سحراً»، فالرجل يكون عليه الحقُّ، وهو ألحنُ بالحجج من صاحب الحقِّ، فيُسحر القومَ ببيانه، فيذهب بالحقِّ وهو عليه.

وأما قوله: «إنَّ من العلم جهلاً»، فيكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك. وأما قوله: «إنَّ من الشعر حكماً»، وفي بعض المصادر (حكمة) فهي هذه المواعظ والأخبار التي يتعظها الناس. وأما قوله: «إنَّ من القول عِيالاً»، فعرضك كلامك وحديثك إلى ما ليس من شأنه ولا يريده.

لقد رفعته قدراته هذه وغيرها لا في قومه فحسب، بل جعلته موضع احترام وتقدير عند الجميع، فنراه مع كونه ما زال شاباً، لا يتوقف أن يضع رأياً أو قولاً أو موقفاً يراه صائباً نافعاً بين أيدي كبار الناس ومشايخهم؛ وهذا ما نجده، وهو يسجل رأيه بل اعتراضه على الخليفة الثاني، فقد ذكروا أنَّ صعصعة هو القائل لعمر بن الخطاب، حين قسم المال الذي بعثه إليه أبو موسى، وكان ألف ألف درهم، وفضلت فضلة فاختلفوا، أين نضعها‏؟

فخطب عمر الناس، وقال‏:‏ أيها الناس، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس.‏

فقام صعصعة بن صوحان، وهو غلام شاب، وقال‏: يا أميرالمؤمنين، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل فيه قرآن، فأما ما نزل به القرآن فضعه مواضعه التي وضعه الله عزّوجلّ فيها.

فقال‏:‏ صدقت، أنت مني وأنا منك‏.‏ فقسمه بين المسلمين.[[177]](#footnote-177)

رسالة صعصعة لعقيل:

وهنا لا بدَّ لي من أن أذكر ما كتبه صعصعة لعقيل بن أبي طالب عندما ورده وصف عقيل لآل صوحان أمام معاوية، حين طلب منه قائلاً: ميز لي أصحاب علي وأبدأ بآل صوحان فإنهم مخاريق الكلام!

قال: أما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظر وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب منه وأما بنو صوحان كما قال الشاعر:

**إذا نزل العدو فإن عندي أسوداً  تخلس الأسد النفوسا**

فكلام صعصعة يدل على ما يتمتع به الرجل من إيمان صادق وعمق ومعرفة، فكان له محذراً ناصحاً، مبيناً مناقب أهل البيت ودورهم في هداية الناس.. كان ذلك حين اتصل كلام عقيل بصعصعة، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة.

أما بعد، فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدو رسوله، فحمدت الله على ذلك وسألته أن يفيء بك إلى الدرجة العليا والقضيب الأحمر والعمود الأسود، فإنه عمود من فارقه فارق الدين الأزهر.

ولئن نزعت بك نفسك إلى معاوية طلباً لماله؛ إنك لذو علم بجميع خصاله، فاحذر أن تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة! فإن الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، فما كان من فضل أو إحسان فبكم وصل إلينا، فأجل الله أقداركم وحمى أخطاركم وكتب آثاركم، فإن أقداركم مرضية وأخطاركم محمية وآثاركم بدرية، وأنتم سلم الله إلى خلقه و وسيلته إلى طرقه، أيدٍ علية و وجوهٍ جلية، وأنتم كما قال الشاعر:

**فما‌ كان ‌من ‌خير ‌أتوه ‌وإنما توارثه ‌آباء ‌آبائهم ‌قبل  
وهل ينبت الخطي إلاّ وشيجه وتغرس إلاّ في منابتها النخل![[178]](#footnote-178)**

لقد اُعطيتَ لساناً حديداً!

هذا ما قاله معاوية لصعصعة بعد أن لم يترك له عذراً، ولم يستطع عليه حجّةً ولم يطق معه صبراً، تعال معي أيها القارئ العزيز؛ لنرى ـ باختصار ـ كيف أجاب معاوية وفند آراءه وأقواله في العديد من اللقاآت:

في سنة 33 هجرية، بعد أن  قدم سعيد بن العاص الكوفة والياً عليها من قبل الخلافة الثالثة، حدثت مشاجة بينه وبين جمع من وجوه الكوفة، كان بينهم مالك بن الحارث الأشتر النخعي، وصعصعة وزيد ابنا صوحان العبديان، وكانا مقيمين في الكوفة حتى عُدا من وجوه أهلها، فكتب سعيد إلى عثمان: أنَّ رهطاً من أهل الكوفة سمّاهم له عشرة يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا، وقد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثروا.

فكتب إليه: أن سيرهم إلى معاوية، وكتب عثمان إلى معاوية أنَّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خُلقوا للفتنة، فرُعهم، وقم عليهم، فإن آنستَ منهم رشداً، فاقبل منهم. وإن أعيوك فارددهم عليهم.

ففي لقاءٍ بل وأكثر من لقاءٍ؛ راح معاوية يشيد بأبيه أبي سفيان ويبين عظمته، وبالتالي عظمته هو؛ وقد سبق ذلك هجومه على صعصعة وقبيلته واتهامه وهجاؤه لهم ولمن سير معه من الكوفة إلى الشام.. جاء كلّ هذا من كلام طويل له معهم:

... فَأمَّا أنْتَ يَا صَعْصَعَةُ فَإنَّ قَرْيَتَكَ شَرُّ قُرَى عَرَبيَّةً، أنْتَنُهَا نَبْتًا، وَأعْمَقُهَا وَادِيًا، وَأعْرَفُهَا بالشَّرِّ، وَألأَمُهَا جيرَانًا، لَمْ يَسْكُنْهَا شَر‌ِيفٌ قَطُّ وَلا وَضِيعٌ إلاّ سُبَّ بهَا، وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُجْنَةً، ثُمَّ كَانُوا أقْبَحَ الْعَرَب‌ِ ألْقَابًا، وَألأَمَهُ أصْهَارًا، نُزَّاعَ الأُمَم‌ِ، وَأنْتُمْ جيرَانُ الْخَطِّ وَفَعَلَةُ فَار‌ِس‌ٍ، حتى أصابتكم دعوة النبي ونَكَبَتْكَ دَعْوَتُهُ، وَأنْتَ نَز‌ِيعُ شَطِير‌ٍ فِي عُمَانَ، لَمْ تَسْكُن‌ِ الْبَحْرَيْنَ فَتُشْر‌ِكَهُمْ فِي دَعْوَةِ النَّبيِّ، فَأنْتَ شَرُّ قَوْمِكَ، حَتَّى إذَا أبْرَزَكَ الإِسْلامُ، وَخَلَطَكَ بالنَّاس‌ِ، وَحَمَلَكَ عَلَى الأُمَم‌ِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكَ، أقْبَلْتَ تَبْغِي دِينَ اللهِ عِوَجًا، وَتَنْزَعُ إلَى اللآمة وَالذلَّةِ وَلا يَضَعُ ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَلَنْ يَضُرَّهُمْ، وَلَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ تَأدِيَةِ مَا عَلَيْهمْ،... وإني لأظن أنَّ أبا سفيان، لو ولد الناس لم يلد إلاّ حازماً.

وهنا انبرى له صعصعة قائلاً: «كذبتَ، قد ولدهم خيرُ من أبي سفيان، مَن خلقه اللهُ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرُّ والفاجر، والأحمق والكيس».

وجاء تجاوزه ذاك بعد أن أسمعه صعصعة ما لا يُرضيه، فقد قال لهم معاوية يوماً من أيام لقاآته بهم ـ ويبدو أنه في أول لقائه بهم بعد وصولهم الشام ـ : إنَّكُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَب‌ِ لَكُمْ أسْنَانٌ وألْسِنَةٌ، وَقَدْ أدْرَكْتُمْ بالإِسْلام‌ِ شَرَفًا وَغَلَبْتُمُ الأُمَمَ وَحَوَيْتُمْ مَرَاتِبَهُمْ وَمَوَار‌ِيثَهُمْ، وَقَدْ بَلَغَني أنكُمْ نَقِمْتُمْ قُرَيْشًا، وَأنَّ قُرَيْشًا لَوْ لَمْ تَكُنْ عُدْتُمْ أذِلَّةً كَمَا كُنْتُمْ، إنَّ أئِمَّتَكُمْ لكم إلى اليوم جُنَّةٌ  فلا تشذّوا عَنْ جُنَّتِكُمْ، وَإنَّ أئِمَّتَكُمُ الْيَوْمَ يَصْبرُونَ لَكُمْ عَلَى الْجَوْر‌ِ، وَيَحْتَمِلُونَ مِنْكُمُ الْمَئُونَةَ، وَاللهِ لَتَنْتَهُنَّ أوْ لَيَبْتَلِيَنَّكُمُ اللهُ بمَنْ يَسُومُكُمْ، ثُمَّ لا يحمدكم على الصبر، ثم تكونون شركاء لهم فِيمَا جَرَرْتُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي حَيَاتِكُمْ وَبَعْدَ مَوْتِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْم‌ِ: أمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قُرَيْش‌ٍ فَإنَّهَا لَمْ تَكُنْ أكْثَرَ الْعَرَب‌ِ وَلا أمْنَعَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتُخَوِّفُنَا، وَأمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْجُنَّةِ فَإنَّ الْجُنَّةَ إذَا اخْتُر‌ِقَتْ خُلصَ إلَيْنَا.

هذا في تاريخ الطبري 2 : 635، سنة 33، لم يصرح باسم الرجل القائل، إلاّ أنّ المقطع الذي ذكره الطبري قد يشير إلى أنه صعصعة، ولكن ابن الأثير ذكره صراحة حيث قال: فقال رجل منهم وهو صعصعة‏:...

فَقَالَ مُعَاو‌ِيَةُ: عَرَفْتُكُمُ الآنَ، عَلِمْتُ أنَّ الَّذِي أغْرَاكُمْ عَلَى هَذَا قِلَّةُ الْعُقُول‌ِ، وَأنْتَ خَطِيبُ الْقَوْم‌ِ، وَلا أرَى لَكَ عَقْلاً، أعَظِّمُ عَلَيْكَ أمْرَ الإِسْلام‌ِ، وَأذَكِّرُكَ بهِ، وَتُذَكِّرُنِي الْجَاهِلِيَّةَ! وَقَدْ وَعَظْتُكَ وَتَزْعُمُ لِمَا يَجِنُّكَ أنهُ يُخْتَرَقُ، وَلا يُنْسَبُ مَا يُخْتَرَقُ إِلَى الْجُنَّةِ،... أُفٍّ لَكَ وَلأَصْحَابكَ! وَلَوْ أنَّ مُتَكَلِّمًا غَيْرَكَ تَكَلَّمَ، وَلَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَ...[[179]](#footnote-179)

فخرج تلك الليلة من عندهم، ثمَّ أتاهم القابلة، فتحدث طويلاً، ومما قاله: «أيُّهَا الْقَوْمُ، رُدُّوا عَلَيَّ خَيْرًا أو‌ِ اسْكُتُوا وَتَفَكَّرُوا وَانْظُرُوا فِيمَا يَنْفَعُكُمْ وَيَنْفَعُ أهْلِيكُمْ، وَيَنْفَعُ عَشَائِرَكُمْ، وَيَنْفَعُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَاطْلُبُوهُ تَعِيشُوا وَنَعِشْ بكُمْ.

فَقَالَ صَعْصَعَةُ: لَسْتَ بأهْل‌ِ ذَلِكَ، وَلا كَرَامَةَ لَكَ أنْ تُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

ثمَّ قال لهم:... وَآمُرُكُمْ بتَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ نبيّه ولُزُوم‌ِ الْجَمَاعَةِ، وَكَرَاهَةِ الْفُرْقَةِ، وَأنْ تُوَقِّرُوا أئِمَّتَكُمْ وَتَدُلُّوهُمْ عَلَى كُلِّ حَسَن‌ٍ مَا قَدَرْتُمْ، وَتَعِظُوهُمْ فِي لِين‌ٍ ولُطْفٍ فِي شَيْءٍ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ...

فَقَالَ صَعْصَعَةُ: " فَإنا نَأمُرُكَ أنْ تَعْتَز‌ِلَ عَمَلَكَ، فَإنَّ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أحَقُّ بهِ مِنْكَ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ أبُوهُ أحْسَنَ قَدَمًا مَنْ أبيكَ، وَهُوَ بنَفْسِهِ أحْسَنَ قَدَمًا مِنْكَ فِي الإِسْلام‌ِ...».

وفي الفتوح: قال ‏معاوية: قاتلك الله يا صعصعة! قد أُعطيت لساناً حديداً... أخرج عنّي، أخرجك الله إلى ‏النار!

ثُمَّ كَتَبَ إلَى عُثْمَانَ:... فَإنَّكَ بَعَثْتَ إلَيَّ أقْوَامًا يَتَكَلَّمُونَ بألْسِنَةِ الشَّيَاطِين‌ِ وَمَا يُمْلُونَ عَلَيْهمْ، ويَأتُونَ النَّاسَ‌ـ زَعَمُوا ـ مِنْ قَبْل‌ِ الْقُرْآن‌ِ، فَيُشَبِّهُونَ عَلَى النَّاس‌ِ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاس‌ِ يَعْلَمُ مَا يُر‌ِيدُونَ، وَإنَّمَا يُر‌ِيدُونَ فُرْقَةً، ويُقَرِّبونَ فِتْنَةً، قَدْ أثْقَلَهُمُ الإِسْلامُ وأضْجَرَهُمْ، وَتَمَكَّنَتْ رُقَى الشَّيْطَان‌ِ مِنْ قُلُوبهِمْ، فَقَدْ أفْسَدُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاس‌ِ مِمَّنْ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهمْ مِنْ أهْل‌ِ الْكُوفَةِ، ولَسْتُ آمَنُ إ‌ِنْ أقَامُوا وَسْطَ أهْل‌ِ الشَّام‌ِ أنْ يُغْرُوهُمْ بسِحْر‌ِهِمْ وفُجُور‌ِهِمْ، فَارْدُدْهُمْ إلَى مِصْر‌ِهِمْ، فَلْتَكُنْ دَارُهُمْ فِي مِصْر‌ِهِمُ الَّذِي نَجَمَ فِيهِ نِفَاقُهُمْ، وَالسَّلامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ يَأمُرُهُ أنْ يَرُدَّهُمْ إلَى سَعِيدِ بْن‌ِ الْعَاص‌ِ بالْكُوفَةِ، فَرَدَّهُمْ إلَيْهِ، فَلَمْ يَكُونُوا إلاّ أطْلَقَ ألْسِنَةً مِنْهُمْ حِينَ رَجَعُوا.

وكَتَبَ سَعِيدٌ إلَى عُثْمَانَ يَضِجُّ مِنْهُمْ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إلَى سَعِيدٍ أنْ سَيِّرْهُمْ إلَى عَبْدِ الرَّحْمَن‌ِ بْن‌ِ خَالِدِ بْن‌ِ الْوَلِيدِ، وَكَانَ أمِيرًا عَلَى حمصَ...

وفي خبر أنه لما خرجوا من دمشق، سمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان على حمص فدعاهم إليه، وأسمعهم كلاماً قاسياً وتوعدهم بالسوء، كانت بدايته‏:‏ ‏(‏يا آلة الشيطان لا مرحبًا بكم ولا أهلاً... ) وأبقاهم عنده شهراً، ثمّ سرحوا إلى الكوفة أو هم فرّوا إليها من  قبضة عبد الرحمن بعد غيابه عن حمص...[[180]](#footnote-180)

الفساد في الخلافة الثالثة:

مع ما جرى لهذه النخبة المؤمنة، لم تتوقف سيرة صعصعة وزيد ومن معهما في ملاحقة والي الكوفة، وقد تردت الأوضاع فيها وساءت، وكلما ازدادت حياة الناس سوءاً، والولاة فساداً، تعالى استنكارهم وتوقّدت نيران غضبهم، واشتدت مواقفهم واتسعت لتتعدى الكوفة، فاختاروا وفداً كان من بين أعضائه كلٌّ من زيد وصعصة؛ لمقابلة الخليفة عثمان، وكان مطلبهم عزل سعيد عن ولاية الكوفة، ولم يجدوا من الخليفة إلاّ الغضب عليهم، ولأنّ صعصعة كان هو خطيب الجمع، ولأنه أكثر الكلام عنده، جاء ردُّ عثمان عليه شديداً، واصفاً إياه بالبجباج النفاخ، فقال: «أيها الناس إنّ هذا البجباج النفاخ لا يدرى ما الله ولا أين الله».

قال في الفائق: البجباج الذى يهمز الكلام وليس لكلامه جهة، وروي الفجفاج وهو الصياح المكثار، وقيل المأفون المختال. والنفاخ الشديد الصلف. «لا يدري ما الله ولا أين الله». معناه أن حاله وفي وضع لسانه من إكثار الخطل وما لا ينبغى أن يقال كل موضع كحال من لا يدرى أن الله سميع لكل كلام؛ عالم بما يجري فى كل مكان. ولم ينسبه إلى الكفر وقد شهد صعصعة مع علي رضى الله عنه يوم الجمل، وكان من أخطب الناس، وأخوه زيد الذي قال فيه النبيُّ: «زيد الخير الجذم من الخيار الأبرار».[[181]](#footnote-181)

وتوالت الوفود من الكوفة ومصر وغيرهما على مقر الخلافة في المدينة؛ هدفها إنهاء الفساد الذي راح ينخر جسد الأمّة، ولما اشتد الضغط على الخليفة، راح يعطي العهد تلو الآخر دون أن يفي بشيءٍ منها، كما باءت كلُّ المحاولات للإصلاح بإنهاء أسباب الفساد والتجاوز على أحكام الله وحقوق الناس؛ حتى انتهى الأمر بقتله، فازدادت الأمّة اضطراباً وتفرّقاً، وعمّـت الفوضى، واعتُدي على أحكام الدين ومفاهيمه، وعلى الصالحين من أهل الحقِّ ورجاله؛ وغدا التأويل سيد الموقف، فتحكّمت قاعدة من تأوّل فأصاب فله أجران ومن تأوّل فأخطأ فله أجر، فصار الجميع في أفعالهم وأقوالهم وما صدر منهم ووقع وإن سفكت بسببه الدماء وانتهكت به المحارم، ودمّر بسببه الحرث والنسل؛ في دائرة الاجتهاد الذي يُمد هؤلاء وهؤلاء بالقوة والحقّانية، وبالتالي لا يحرمهم من عطاء السماء، فكلاًّ وعد الله الحسنى، فلا إثم عليهم ولا حساب لا في قضاء الدنيا ولا في قضاء الآخرة، وبالتالي توقف القضاء الحقّ، وضاعت الحقوق، وصار القاتل والمقتول، والظالم والمظلوم سواء في هذه الأمّة مع اختلاف في الأجر، واحد له أجران والآخر له أجر، أي استهانة هذه بالدين وأيّ عدالة هذه، وأي استخفاف بالعقول؟!

إنّه لأمر يوجع القلوب حقَّا، لا أقول غيره، فالمقالة ليست مجالاً لمناقشة قاعدتهم المذكورة، التي بانت خطورتها وأضرارها حينما وسعوا دائرة عملها من استنباط الأحكام الشرعية من منابعها من قِبل المستنبط ذي القدرة العلمية، ببذل جهده وإفراغ وسعه، مع ورع في الدين وإخلاص وصدق في العمل والسلوك، إلى مواقف الحياة السياسية والاجتماعية... فاستخدمت استخداماً سيئاً في تاريخنا، وتركت آثارها على العقائد والسلوكيات حتى يومنا هذا، بل حتى يأتينا اليقين!!

**البيعة للإمام عليٍّ عليه السلام:**

عرف أبناء صوحان باتباعهم المطلق للإمام عليٍّ عليه السلام، فحبّهم لعليٍّ عليه السلام ابتُني على معرفة به، وبإمامته الحقّة، فلم يتغير، وولاؤهم له لم يتبدل، فلقد رأوا في عليٍّ عليه السلام ـ وهو الحقُّ ـ علاقته المتينة بالله تعالى وذوبانه فيه، بعد معرفته بالله (فأول الدين معرفته)، وهو ما وجدوه في عشرتهم له، ولمسوه في مصاحبتهم إياه، ولم يجدوا مثيلاً له بعد رسول الله فتمسّكوا فيه أيما تمسّك؛ ولاذوا به، فتفانوا دفاعاً عنه؛ لأنَّ الدفاع عنه دفاع عن منهج السماء، وعن الهدى الذي تمثل فيه...

وهذا ما نجده واضحاً في كلمات صعصعة حينما أتاه عائداً، وهي دليل معرفته به: «... يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيّاً وميّتاً، فوالله لقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنتَ بذات الله عليماً»!

فيجيبه الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «... وأنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المؤونة، كثير المعونة». وفي خبر آخر: «و الله ما علمتك إلاّ كثير المعونة، قليل المؤونة، فجزاك الله خيراً».

ويجيبه صعصعة قائلاً: «و أنت فجزاك الله أحسن من ذلك، فإنك ما علمتك إلاّ بالله عليم، والله في عينك عظيم»!

ولم يغفل صعصعة سيرة عليٍّ معه ومع جميع أصحابه، وكذا سيرتهم معه: «كان فينا كأحدنا، لينَ جانب‌ٍ، وشدّةَ تواضع، وسهولةَ قيادٍ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه».[[182]](#footnote-182)

لقد كانت مبادرته وأخوته إلى بيعة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة أمراً أملاه عليهم ولاؤهم الصادق له، ومعرفتهم بأحقيّته، المنبثقة من إيمانه الخالص، ومواقفه العظيمة دفاعاً عن الإسلام، ومناقبه الجليلة، ومؤهلاته الكبيرة، التي أفاضها اللهُ تعالى عليه؛ حتى جعلت إمامته إمامة الحقِّ، وخلافته لرسول الله هي وحدها الخلافة الصالحة العارفة، الجديرة بإقامة الحقّ والعدل، وتطبيق أحكام الشريعة، إلاّ أنَّ هذه التجربة، التي راح الجميع يترقبها بشوق ولهفة، وينتظر منها أن تحقق الآمال عبر قيامها في إدراة شؤون الأمّة، صدّت وحوصرت من قبل ذوي الأحقاد والضغائن، ومتبعي الأهواء، ومحبّي السلطة والمال، الذين ما اجتمعت مواقفهم يوماً واتحدت، رغم اختلافهم في الكثير، إلاّ على تقويض خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام، بل القضاء عليها حتى وإن عظم حجم الفساد الذي أدخلوه على الدين، وعلى كاهل هذه الأمّة بتمزيقها، وإهلاك حرثها ونسلها... والإساءة لكل خير، بل والإطاحة به...

... وكان القاسطون، فكانت حرب صفين... وكان المارقون، فكانت حرب النهروان. وهكذا اشتدت الأزمات، وتوالت الموانع، وعظمت العقبات، التي نصبها هؤلاء لإفشال منهج الإصلاح والتغيير في الأمّة بعد أن أفسد أوضاعها من لم يكن جديراً بإدارتها.

فكان الناكثون، وكانت حرب الجمل: وقبل أن تقع معركة الجمل وتبدأ فصولها؛ قدم الإمام الحسنُ وعمارُ بن ياسر وقيسُ بن سعد الكوفة مستنفرين أهلها، وكان معهم كتاب أميرالمؤمنين إلى أهل الكوفة... وبعد قراءة الكتاب، كانت هناك خطبة للإمام الحسن عليه السلام، تبعه كلّ من عمار بخطبة وقيس بأخرى...

وكانت لزيد خطبة:

ثم جاء دور زيد بن صوحان؛ ليردّ على خطبة أبي موسى الأشعري، التي راح يثبّط بها الناس عن الخروج، «... أشيموا سيوفكم، وقصروا رماحكم، وقطعوا أوتاركم، والزموا البيوت...».

فنهض ورفع يده ـ وكانت يده قطعت يوم جلولاءـ  ثمَّ قال: «يا أبا موسى تريد أن ترد الفرات عن أدراجه، أنه لا يرجع من حيث بدأ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تُريد، ويلك! ما لست مُدركه. [الـم](about:blank) [أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ](about:blank) [وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ](about:blank).[[183]](#footnote-183)

ثم قال: أيها الناس، سيروا إلى أميرالمؤمنين، وأطيعوا ابن سيد المرسلين (الإمام الحسن)، وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحقَّ، وتظفروا بالرشد، قد والله نصحتكم، فاتبعوا رأيي ترشدوا».

\* كان صعصعة أول من حمل نصيحة الإمام عليٍّ عليه السلام لأصحاب الجمل، وذلك حين سار أمير المؤمنين من ذي قار قدم صعصعة بن صوحان بكتاب علي إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم حرمة الإسلام، ويخوفهم فيما صنعوه، وقبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من المسلمين، وما صنعوا بصاحب رسول الله عثمان بن حنيف رحمه الله، وقتلهم المسلمين صبراً. ووعظَهم ودعاهم إلى الطاعة، قال صعصعة رحمه الله: «فقدمت عليهم، فبدأت بطلحة، وأعطيته الكتاب وأديت الرسالة».

فقال: «الآن حين عضت ابن أبي طالب الحرب ترفَّق لنا. ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة، ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشر، فقالت: نعم قد خرجتُ للطلب بدم عثمان، والله لأفعلن وأفعلن.

فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلقيتُه قبل أن يدخل البصرة، فقال: ما وراءك يا صعصعة؟

قلت: يا أمير المؤمنين رأيت قوماً ما يريدون، إلاّ قتالك.

فقال: الله المستعان»![[184]](#footnote-184)

وكتبت إلى زيد

قبل وقوع معركة الجمل، راحت رسائل أمّ المؤمنين عائشة تصل إلى العديد من الشخصيات، تستنصرهم على عليٍّ عليه السلام، أوتُثبّطهم وتخذّلهم ومَن معهم عن نصرة عليٍّ عليه السلام، وكان منها رسالتها إلى زيد بن صوحان العبدي إذ قدمت البصرة:

من عائشة ابنة أبي بكر أُمّ المؤمنين حبيبة رسول الله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. سلام عليك، أما بعد: فإنّ أباك كان رأساً في الجاهلية، وسيداً في الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق، يقال: كاد أو لحق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان، ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر، فإذا أتاك كتابي هذا، فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل، فثبط الناس عن علي بن أبي طالب، وكن مكانك حتى يأتيك أمري، والسلام.

ولم يتأخر ردُّ زيد بن صوحان على عائشة، فكتب إليها:

«من زيد بن صوحان إلى عائشة أمّ المؤمنين، سلام عليك، أما بعد: فإنّ الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقري في بيتك، وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة، فتركت ما اُمرت به، وكتبت تنهينا عما اُمرنا به، فأمرك عندنا غير مطاع، وكتابك غير مجاب، والسلام».

وفي رواية الطبري: كتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر... أما بعد: فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر، ورجعتِ إلى بيتك، وإلاّ فأنا أول من نابذك.[[185]](#footnote-185)

وجاء أيضاً في تاريخ الطبري حول ما قاله زيد عن كتاب عائشة:... وَثَارَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَطَبَقَتُهُ وَثَارَ النَّاسُ، وَجَعَلَ أبو مُوسَى يُكَفْكِفُ النَّاسَ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أتَى الْمِنْبَرَ، وَسَكَنَ النَّاسُ، وَأقْبَلَ زَيْدٌ عَلَى حِمَار‌ٍ حَتَّى وَقَفَ ببَابِ الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ الْكِتَابَان‌ِ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلَيْهِ وإلَى أهْل‌ِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ كَانَ طَلَبَ كِتَابَ الْعَامَّةِ فَضَمَّهُ إلَى كِتَابهِ، فَأقْبَلَ بهِمَا وَمَعَهُ كِتَابُ الْخَاصَّةِ وَكِتَابُ الْعَامَّةِ:

أمَّا بَعْدُ، فَثَبِّطُوا أيُّهَا النَّاسُ وَاجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ إلاّ عَنْ قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه..

فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكِتَاب‌ِ قَالَ: أمِرَتْ بأمْر‌ٍ وأمِرنَا بأمْر‌ٍ، أمِرَتْ أنْ تَقَرَّ فِي بَيْتِهَا، وأمِرنَا أنْ نُقَاتِلَ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ، فَأمَرَتْنَا بمَا أمِرَتْ بهِ وَرَكِبَتْ مَا أمِرنَا بهِ .

فَقَامَ إلَيْهِ شَبَثُ بْنُ رِْبْعِيٍّ فَقَالَ: يَا عُمَانِيُّ ـ وَزَيْدٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْس‌ِ عُمَانَ ولَيْسَ مِنْ أهْل‌ِ الْبَحْرَيْن‌ِ ـ سَرَقْتَ بجَلُولاءَ فَقَطَعَكَ اللهُ، وَعَصَيْتَ أمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ اللهُ! مَا أمَرَتْ إلاّ بمَا أمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهِ بالإِصْلاح‌ِ بَيْنَ النَّاس‌ِ، فَقُلْتُ: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَتَهَاوَى النَّاسُ.[[186]](#footnote-186)

وقبل أن يبدأ القتال، دعا الإمامُ عليٌّ عليه السلام كلاً من زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس.

فقال لهما: «امضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقري في بيتك؟ فخُدعتِ وانخدعتِ، واستنفرتِ فنفرتِ، فاتقي الله الذي إليه مرجعك ومعادك، وتوبي إليه، فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملَّنك قرابةُ طلحة، وحبُّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بكِ إلى النار». فانطلقا إليها وبلغاها رسالة عليٍّ (رضي الله عنه).

فقالت عائشة: ما أنا برادة عليكم شيئاً، فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب.

فرجعا إليه وأخبراه بالخبر.[[187]](#footnote-187)

وبعد كلّ هذا وغيره، وقعت المعركة.. وكانت ساحتها ميداناً للإخوة الثلاثة، ولم يخلو هذا الميدان ممن يحاول تثبيطهم، فقد انبرى لزيد رجلٌ من قومه يقول له: تنح إلى قومك، ما لك ولهذا الموقف! ألستَ تعلم أنَّ مضر بحيالك، وأنَّ الجمل بين يديك، وأنَّ الموت دونه!

فقال له زيد: الموت خير من الحياة، الموت ما أريد!

كيف يتخلّى زيدٌ عن مشوار الشهادة التي بُشر بها، وقد سبقته يده إليها،  قبل أكثر من 15ـ20 سنة حسب اختلاف الأخبار، كما ذكرنا، فهي أمامه في الجنّة تنتظره!

وراحت راية عبد القيس تتنقل بين الثلاثة  في قتال شديد، واجتلاد عنيف، حتى إذا وقع صوحان شهيداً ـ كما ذكرنا ـ تناولها زيد، الذي كان على خيل عبد القيس، يصول بها ويقاتل تحتها؛ ليستلمها منه أخوه صعصعة بعد أن نال وسام الشهادة، حين قتله عمرو بن يثربي، وكان من شياطين أصحاب الجمل، كما يسمونه، وبدأ يفتخر ويقول:

## إن تنكروني (تقتلوني) فأنا ابن يثربي

## قاتل علباء وهند الجملي

## ثمّ ابن صوحان على دين عليّ

ولم يدم افتخار عمرو طويلا ً، فقد ضربه عمار ضربة هلك منها وخرَّ صريعاً... وقول أنه أُسر ثمَّ أمر به عليٌّ فضربت عنقه.[[188]](#footnote-188)

لقد ذهب زيد بن صوحان شهيداً بأيدٍ باغية ناكثة إلى حيث تلك اليد المباركة، التي أشرفت عليه من السماء، تقول له: هلمَّ إلينا! فلقد روي: «أنَّ زيد بن صوحان العبدي قال لعليٍّ: يا أمير المؤمنين، إني رأيت يداً أشرفت عليَّ من السماء، وهي تقول: هلم إلينا! وأنا خارج إلى ابن يثربي، فإذا قتلني، فادفني بدمي، و لا تغسلني فإني مخاصم عند ربّي. ثم خرج فقتله عمرو».[[189]](#footnote-189)

وصيته:

وقد أوصى زيد بن صوحان مَن حوله: «لا تغسلوا عني دماً، ولا تنزعوا عني ثوباً إلاّ الخفين، وارمسوني في الأرض رمساً، فإني مخاصم أحاج يوم القيامة... ثمَّ قال: ادفنوني وابن أمّي في قبر، ولا تغسلوا عنا دماً، فإنا قوم مخاصمون». وروي أنه أمر أن يدفن معه مصحفه.[[190]](#footnote-190)

وفعلاً قُتِلاَ معاً ودُفنا في قبر واحد رضوان الله تعالى عليهما.

وأخيراً ترحمت عليهم:

ففي ختام المعركة، ومن منزلها، وصلتها أخبار وتفاصيل ما دار من قتال، فلما سمعت بمقتل زيد ذكروا أنَّها قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، يرحمه الله.

ولكن عائشة لم تقل هذا لزيد فقط، وإنما استرجعت وترحمت على طلحة وعلى الزبير لما أخبرت بمقتلهما أيضاً، راحت أمُّ المؤمنين عائشة تسترجع وتوزع الرحمات!! وهذا هو الخبر الذي ذكره البيهقي.[[191]](#footnote-191)

... عن ابن سيرين قال: قال خالد بن الواشمة، لما فرغ من أصحاب الجمل، ونزلت عائشة منزلها، دخلتُ عليها، فقلت: السلام عليك يا أمَّ المؤمنين. فقالت: من هذا؟ فقلت: خالد بن الواشمة.

قالت: ما فعل طلحة؟ قلت: أصيب. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ يرحمه الله.

قالت: ما فعل الزبير؟ قلت: أصيب. قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون؛ يرحمه الله.

قلت: بل نحن لله وإنا إليه راجعون في زيد بن صوحان.

قالت: وأصيب؟! قلت: نعم. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ يرحمه الله.

وفي خبر الاستيعاب: قلت‏:‏ بل نحن لله ونحن إليه راجعون على زيد وأصحاب زيد...

قالت‏:‏ زيد بن صوحان؟ قلت‏:‏ نعم.

فقالت له خيراً .

فقلت: والله لا يجمع الله بينهما في الجنة أبداً.

قالت‏:‏ لا تقل، فإنّ رحمة الله واسعة وهو على كل شيء قدير.

فقلت: يا أمَّ المؤمنين، ذكرت طلحة، فقلتِ: يرحمه الله. وذكرت الزبير، فقلتِ: يرحمه الله. وذكرت زيداً، فقلتِ: يرحمه الله. وقد قتل بعضهم بعضاً، والله لا يجمعهم الله في الجنة أبداً.

قالت: أولا تدري أنّ رحمة الله واسعة وهو على كلّ شيء قدير؟![[192]](#footnote-192)

وفعلاً ما علينا إلاّ أن نسترجع أيضاً، بل ونتعوّذ من هكذا فهم للدين ولرحمة الله تعالى، التي تساوي في نظرها بين الظالم والمظلوم، والقاتل والمقتول...، وإن قلنا لهم: أين هذا الفهم من الآية: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً...،[[193]](#footnote-193) نجد الجواب حاضراً: الآية تقول: متعمِّداً، لا متأوّلاً؛ وبالتالي فهؤلاء متأولون، والمتأوّل إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر... حقّاً إنّه لفهم للدين يوجع القلوب! كما أنَّ أمُّ المؤمنين تغافلت عن آية: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ، وكأنها نزلت لغير هذه الأمّة، ولغير مَن تدافع عنهم من الصحابة، وإما أنّهم ليسوا من أولي الألباب، ولاذت بفهمها عن العديد من الآيات القرآنية التي تتوعد البغاة والظالمين، والآية التي تصرح: أنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ....

وأي تشجيع أكثر من هذا لإشاعة عملية القتل بين الناس، والفساد في الأرض، مادام القاتل والمقتول، والمعتدي والمعتدى عليه مأجورين، تشملهما رحمة الله؟!

وعن قولها: فقالت له خيراً.

يقول السيد محسن الأمين: وقولها له خيراً يشبه قول القائل:

## وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل.

وقول الآخر:

## وما أخالك بعد الموت تندبني

## وفي حياتي ما زودتني زادي.

ورحمة الله واسعة ولكنه شديد العقاب.[[194]](#footnote-194)

أقوالٌ فيه:

إضافةً لما ذكرناه عن هذا العبد الصالح «زيد بن صوحان» هناك الكثير من الأقوال حوله، نوجزها بالتالي :

فقد نسب إلى رسول الله أنه قال فيه:.. «والأقطع الخير زيد.. زيد الخير الأجذم من الخيار الأبرار»! زيد وما زيد؟ «يسبقه بعض جسده إلى الجنة، ثم يتبعه سائر جسده إلى الجنة».[[195]](#footnote-195)

... لما أراد زيد أن يركب دابته أمسك عمر بركابه، ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه.

كان زيد سيداً في قومه، كان من سادة التابعين على القول بأنه تابعيٌّ، من خواص عليٍّ، من الصلحاء الأتقياء، ثقةً فاضلاً، من العلماء العبّاد، وكان صوّاماً قوّاماً،... كان يقوم الليل ويصوم النهار؛ وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، معاوية بن أبي سفيان، يطلب من عقيل بن أبي طالب أن يصف له أصحاب عليٍّ عليه السلام.

فقال: أما زيد و عبد الله (أخوه) فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما اللهفان، رجلا جدٍّ لا لعب معه... وهذا صعصعة، نزولاً عند رغبة ابن عباس، يصف له زيداً؛ لما قال له: أين أخواك منك زيد وعبد الله؟ صفهما.

قال: كان «زيد» والله يا ابن عباس عظيم المروة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكر الله طرفي النهار و زلفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا، وأقل في أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن ينطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار.

فقال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيداً![[196]](#footnote-196)

عبادته:

أما عن عبادته، وكما قالوا: كان من العلماء العبّاد، صوّاماً قوّاماً، «يقوم الليل ويصوم النهار؛ وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها»، والعبارة الأخيرة جاءت ضمن مقطع، نوجزه:

كان زيد بن صوحان يقوم الليل ويصوم النهار، فإذا كانت ليلة الجمعة أحياها،... فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت امرأته: ليس ها هنا، قال: فإني أقسم عليكِ لما صنعتِ طعاماً ولبستِ محاسن ثيابكِ، ثم بعثتِ إلى زيد، فجاء زيد، وقرّب الطعام، فقال سلمان: كل يا زيد، فقال: إني صائم، قال: كل يا زيد لا تنقص دينك، إن شَّر السير الحقحقة، إنَّ لعينك عليك حقاً، وإنَّ لبدنك عليك حقاً، وإنَّ لزوجك عليك حقاً، كل يا زيد، فأكل، وترك ما يصنع.[[197]](#footnote-197)

ولما مصّرت الكوفة، سكنها كثيرون، وكان منهم زيد مع جمع من أبناء قبيلته، فأنشأ مسجداً يتعبّد فيه ويتهجّد، ويقرأ القرآن الكريم، فهو من القراء، ومما كان يدعو به، خاصةً في صلاة الليل، هذا الدعاء:

«اِلهي قَدْ مَدَّ اِلَيْكَ الْخاطِىءُ الْمُذْنِبُ يَدَيْهِ بحُسْن‌ِ ظَنِّهِ بكَ، اِلهي قَدْ جَلَسَ الُمسيءُ بَيْنَ يَدَيْكَ مُقِرّاً لَكَ بسُوءِ عَمَلِهِ وَراجِياً مِنْكَ الصَّفْحَ عَنْ زَلَلِهِ، اِلهي قَدْ رَفَعَ اِلَيْكَ الظّالِمُ كَفَّيْهِ راجِياً لِما لَدَيْكَ فَلا تُخَيِّبْهُ برَحْمَتِكَ مِنْ فَضْلِكَ، اِلهي قَدْ جَثَا الْعائِدُ اِلى الْمَعاصي بَيْنَ يَدَيْكَ خائِفاً مِنْ يَوْم تَجْثُو فيهِ الْخَلائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ، اِلهي جاءَكَ الْعَبْدُ الْخاطِىءُ فَز‌ِعاً مُشْفِقاً وَرَفَعَ اِلَيْكَ طَرْفَهُ حَذ‌ِراً راجِياً، وَفاضَتْ عَبْرَتُهُ مُسْتَغْفِراً نادِماً، وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ ما اَرَدْتُ بمَعْصِيَتي مُخالَفَتَكَ، وَما عَصَيْتُكَ إذْ عَصَيْتُكَ وَاَنَا بكَ جاهِلٌ، وَلا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلا لِنَظَر‌ِكَ مُسْتَخِفٌّ، وَلكِنْ سَوَّلَتْ لي نَفْسي، وَاَعانَتْني عَلى ذلِكَ شَقْوَتي، وَغَرَّني سِتْرُكَ المْرُخْى عَلَيَّ، فَمِنَ الآنَ مِنْ عَذابكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُني، وَبَحَبْل‌ِ مَنْ اَعْتَصِمُ اِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنّي، فَيا سَوْاَتاهُ غَداً مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ اِذا قيلَ لِلْمُخِفّينَ جُوزُوا ولِلْمُثْقِلينَ حُطُّوا، اَفَمَعَ الْمُخِفّينَ اَجُوزُ اَمْ مَعَ الْمُثْقِلينَ اَحُطُّ، وَيْلي كُلَّما كَبُرَ سِنّي كَثُرَتْ ذُنُوبي، وَيْلي كُلَّما طالَ عُمْري كَثُرَتْ مَعاصِيَّ، فَكَمْ اَتُوبُ وَكَمْ اَعُودُ اَما آنَ لي اَنْ اَسَتَحْيِيَ مِنْ ربّي، اَللّـهُمَ فَبحَقِّ مُحَمَّد وَآل‌ِ مُحَمَّد اِغْفِرَ لي وَارْحَمَني يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ وَخَيْرَ الْغافِرينَ».[[198]](#footnote-198)

وكان القاسطون... فكانت حرب صفين:

وأما أخوهما صعصعة، فقد مدَّ الله في عمره، بعد أن كتب الله له السلامة في معركة الجمل، وإن كثرت جراحاته وأثخنته، يقول الطبري: «فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد، وصرع صعصعة، ثمَّ سيحان». وقبل عبارته هذا بصفحة قال: «فأصيب (زيد) وأخوه سيحان، وارتُثَّ صعصعة». وهذا هو الصحيح. وكلمة ارتُثَّ لُغةً: (ارتُثَّ فلان: ضُرب في الحرب فأُثخنَ وحُملَ وبه رمقٌ ثمَّ مات، فهو مُرتَثٌ), نعم ارتُثَّ وحمل من المعركة إلاّ أنه لم يصرع، فهناك دور قدر له بل أدوار تنتظره، فقد عاش صعصعة، فكان ممن حضر معركة صفين، وسجل دوراً واضحاً في أحداثها، فكان مستشاراً ومحاوراً ومقاتلاً، فهو ممن استشارهم الإمام عليٌّ في موضوع معاوية‌ ـ بعد انتهاء معركة الجمل ـ وأنه حمل كتاباً كتبه بيده، ولعلّه أول كتاب، من الإمام عليٍّ حينما نزل الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان.[[199]](#footnote-199)

كان هذا حين التقى الإمام عليٌّ بعد انصرافه من معركة الجمل بجمع من أصحابه، وكان منهم صعصعة بن صوحان العبدي، فقال لهم:

أنتم وجوه العرب عندي، ورؤساء أصحابي، فأشيروا عليَّ في أمر هذا الغلام المترف ـ يعني معاوية ـ فافتنت بهم المشورة عليه.

فقال صعصعة: إن معاوية أترفه الهوى، وحببت إليه الدنيا، فهانت عليه مصارع الرجال، وابتاع آخرته بدنياهم، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتصب إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين! والرأي أن ترسل إليه عيناً من عيونك، وثقةً من ثقاتك بكتاب تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وأناب كان له ما لك وعليه ما عليك، وإلاّ جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين.

فقال علي: عزمتُ عليك يا صعصعة إلاّ كتبت الكتاب بيديك، وتوجهت به إلى معاوية، واجعل صدر الكتاب تحذيراً وتخويفاً، وعجزه استتابة واستنابة، وليكن فاتحة الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية، سلام عليك، أما بعد»، ثم اكتب ما أشرتَ به عليَّ، واجعل عنوان الكتاب: «ألا إلى الله تصير الأمور».

قال: اعفني من ذلك.

قال: عزمت عليك لتفعلن!

قال: أفعل.

فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق، فأتى باب معاوية، فقال لآذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبالباب أزفلة من بني أمية، فأخذته الأيدي والنعال لقوله، وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله» وكثرت الجلبة واللغط، فاتصل ذلك بمعاوية، فوجه من يكشف الناس عنه فكشفوا، ثم أذن لهم فدخلوا.

فقال لهم: من هذا الرجل؟ فقالوا: رجل من العرب يقال له: «صعصعة بن صوحان»، معه كتاب من علي.

فقال: والله! لقد بلغني أمره، هذا أحد سهام علي وخطباء العرب، وقد كنت إلى لقائه شيقاً، إئذن له يا غلام فدخل عليه، فقال: السلام عليك يا ابن أبي سفيان! هذا كتاب أمير المؤمنين. فقال معاوية: أما إنه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك!

ثم اعترضه معاوية في الكلام وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطبعاً أم تكلفاً؟ فقال: ممن الرجل؟ قال: من نزار. قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من ربيعة. قال: وما كان ربيعة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرمات غيثاً نافعاً، وفي اللقاء لهباً ساطعاً. قال: فمن أي أولاده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما كان عبد القيس؟

قال: كان خصيباً خضرماً أبيض، وهاباً لضيفه ما يجد، ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء.

قال: ويحك يا ابن صوحان! فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً.

قال: بلى والله يا بن أبي سفيان! تركت لهم ما لا يصلح إلاّ بهم، ولهم تركت الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر والسرير والمنبر والملك إلى المحشر، وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء؟

ففرح معاوية وظن أنّ كلامه يشتمل على قريش كلها، فقال: صدقت يا ابن صوحان! إنّ ذلك لكذلك.

فعرف صعصعة ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بعدتم عن أنف المرعى، وعلوتم عن عذب الماء.

قال: فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان؟ قال: الويل لأهل النار، ذلك لبني هاشم، قال: قم، فأخرجوه.

فقال صعصعة: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة.

فقال معاوية: لشيء ما سوده قومه، وددت والله! إني من صلبه. ثم التفت إلى بني أمية، فقال: هكذا فلتكن الرجال.[[200]](#footnote-200)

ويظهر لي أنَّ صعصعة لم يحمل كتاباً إلى معاوية في الشام غير هذا، ولا أدري، فقد ذكروا أكثر من لقاءٍ له مع معاوية، وجرى فيها جدال بينهما، وفيه ذكر لكتاب ٍ معه من عليٍّ عليه السلام، اللهم إلاّ أن يكون صعصعة قد تأخر أياماً في الشام، ينتظر جواباً من معاوية، وخلالها عُقدت جلسات يريد من ورائها معاوية الثناء على نفسه وقومه، وإظهار قدراته وما يملكه من أموال وسلطة، دون أن تخلو من تهديد وتخويف لصعصعة، كجزء من حرب إعلامية، فلعلّ صعصعة يحملها إلى عليٍّ ومن معه، فتترك آثارها وانعكاساتها النفسية والمعنوية عليهم.

ومن هذه اللقاآت، أنَّ معاوية قال يوماً وعنده صعصعة، وكان قدم عليه بكتاب عليٍّ، وعنده وجوه الناس: الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي.

فقال صعصعة:

## تمنيكَ نفسُك ما لا يكو ن جهلاً معاوي لا تأثم

فقال معاوية: يا صعصعة! تعلمتَ الكلام؟!

قال: العلم بالتعلم، ومن لا يعلم يجهل.

قال معاوية: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك.

قال: ليس ذلك بيدك، ذلك بيد الذي لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.

قال: ومن يحول بيني وبينك؟

قال: الذي يحول بين المرء وقلبه.

قال معاوية: اتسع بطنُك للكلام كما اتسع بطنُ البعير للشعير.

قال: اتسع بطنُ من لا يشبع، ودعا عليه من لا يجمع.

وفي خبر يحمل كلاماً آخر، قال معاوية يوماً لجلسائه: الأرض لله وأنا خليفته، فما أخذتُ فلي حلال، وما تركتُ للناس فلي عليهم فيه مِنّة. فقال صعصعة: ما أنت وأقصى الاُمّة فيه إلاّ سواء، ولكن مَن ملك استأثر. فغضب معاوية وقال: لقد هممتُ...

قال صعصعة: ما كلّ مَن همّ فعل.

قال: ومَن يحول بيني وبين ذلك؟

قال: الذي يحول بين المرء وقلبه!

وهذه هي سياسة معاوية ومنهجه في السلطة والأموال، واستئثاره بها، ولم يُخفِ ذلك، يصرح بها غير آبه ولا مكترث، فقد خطب يوماً، فقال: إنّ الله تعالى يقول: وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

فعلامَ تلومونني إذا قصّرت في إعطائكم؟

فتصدى له الأحنف بن قيس قائلاً: إنّا والله ما نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله لنا من خزائنه، فجعلته أنت في خزائنك وحلت بيننا وبينه![[201]](#footnote-201)

وهكذا هي إجابات صعصعة وردوده على معاوية، كانت جريئة، وكانت مسكتة، ومحرجة لمعاوية ولغيره كما ذكرنا، وسنذكر أمثلةً أخرى منها.

المهم أنَّ صعصعة عاد من الشام، دون أن يجد استجابة من معاوية، ولم تنفع أي خطوة لحقن الدم المسلم، ورجوع معاوية عما يبغي، فكانت فصول حرب لا بدَّ منها ضدَّ من بغى وتجبر، وكان صعصعة فيها صاحب دور كبير عن علم وبصيرة، ولعلّه راح يستعجله، وهو القائل:... و كيف نتأنّى بالقاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حقّهم، أعوان الظلم والعدوان، وليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين بإحسان.[[202]](#footnote-202)

والتقى الجمعان:

جمع المؤمنين، وجمع البغاة، الأول كان بحدود ثمانين ألف مقاتل، فيما الثاني قارب جمعهم 120 ألف مقاتل؛ على تراب صفين، موقع جغرافي على ضفاف نهر الفرات، في بلدة الرّقة السورية، قريباً من الحدود العراقية، وقعت معركة كبرى بينهما، دامت ثلاثة أيام؛ ذهب ضحيتَها آلاف من الطرفين، وقد سبقتها مناوشات ومبارزات طيلة ثلاثة أشهر، رافقتها محاولات للإصلاح وحقن الدماء، لم تثمر إلاّ عن قتال مرير ومدمر، انتهى بالتحكيم.

ما إن وصل جيش الإمام عليٍّ عليه السلام أرض صفين، حتى وجدوا جيش معاوية قد سبقهم إليها، صفوا على الشريعة الخيل والرجالة، وأجمعوا أن يمنعوا الماء عن غيرهم. فكانت أول مهمة قبل بداية القتال، يُكلف بها صعصعة بن صوحان، حين دعاه الإمام عليٌّ فقال له : ائت معاوية، فقل: إنا سرنا مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك. وهذه أخرى قد فعلتموها، حتى حلتم بين الناس وبين الماء، فخلّ بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم. وإن كان أحبَّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ قال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام، اقتلهم عطشاً قتلهم الله!

قال عمرو: خلّ بين القوم وبين الماء، فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته، وقال عبدالله ابن أبي سرح، وهو أخو عثمان من الرضاعة: امنعهم الماء إلى الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم. امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة.

فقال صعصعة بن صوحان: إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق؛ يعني الوليد بن عقبة ـ فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه.

فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول...

يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر، وهو الذي روى هذا الحادث، أنَّ صعصعة رجع إلينا فحدثنا بما قال معاوية، وما كان منه وما ردّ عليه، فقلنا: وما ردّ عليك معاوية؟ قال: لما أردت الانصراف من عنده، قلت: ما تردَّ عليَّ؟ قال: سيأتيكم رأيي.

قال: فوالله ما راعنا إلاّ تسوية الرجال والخيل والصفوف، فأرسل إلى أبي الأعور: امنعهم الماء.

فازدلفنا والله إليهم، فارتمينا واطّعّنا بالرماح، واضطربنا بالسيوف، فطال ذلك بيننا وبينهم، فضاربناهم فصار الماء في أيدينا، فقلنا: والله لا نسقيهم.

فأرسل إلينا عليٌّ: «خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم، وخلوا بينهم وبين الماء، فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم...».[[203]](#footnote-203)

واستعد الجمعان لفصول المعركة، فعقدت الألوية، وأمّرت الأُمراء، وكتّبت الكتائب،... فكان صعصعة بن صوحان على عبد القيس الكوفة، فيما على عبد القيس البصرة عمرو بن حنظلة.

وإضافةً إلى كون صعصعة شغله القتال المرير في صفين، فكان فيها كعادته مقاتلاً صبوراً، فقد كان يعدُّ من رواتها، ومما رواه عن مبارزات عليٍّ: أنّ علي بن أبي طالب صاف أهل الشام، حتى برز رجل من حمير من آل ذي يزن، اسمه كُريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدة بالبأس منه.

ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي، فقتل المرتفع.

ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الجلاح فقتل؟  
ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني، فقتل عائذاً، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثم قام عليها بغياً واعتداءً.

ثم نادى هل بقي من مبارز؟ فبرز إليه عليٌّ ثم ناداه: <ويحك يا كُريب، إني أحذرك [الله وبأسه ونقمته]، وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك لا يُدخلنَّك ابنُ آكلة الأكباد النار>.

فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها. أقدم إذا شئت. من يشتري سيفي وهذا أثره؟

فقال: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله. ثم مشى إليه، فلم يمهله أن ضربه ضربةً خرَّ منها قتيلاً يتشحط في دمه.

ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث.

ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطلب القين ، فقتل مطاعاً.

ثم نادى: من يبرز؟ فلم يبرز إليه أحد.

ثم إن عليّاً نادى: يا معشر المسلمين،

[الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ](about:blank).[[204]](#footnote-204)

ويحك يا معاوية هلم إليَّ، فبارزني، ولا يُقتلَنَّ الناس فيما بيننا».

فقال عمرو: اغتَنِمه مُنتَهزاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإني أطمع أن يُظفرك الله به.

فقال معاوية: ويحك يا عمرو، والله إن تُريد إلاّ أن اُقتل، فتصيب الخلافة بعدي، اذهب إليك، فليس مثلي يُخدع...![[205]](#footnote-205)

وهو الذي روى خطبة الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة... وقصة رفع المصاحف... وموقف كبار أصحاب الإمام عليه السلام وأقوال بعضهم: عدي بن حاتم والأشتر النخعي وعمرو بن الحمق... تجدها في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: 480ـ484.

وكان المارقون... وكانت معركة النهروان

الخوارج مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، بدأوا فتنتهم في معركة صفين، واتسعت بعد أن عاد الإمام عليه السلام إلى الكوفة من معركة صفين، فطال جدالهم له قرابة ستة أشهر، وتكاثر عددهم، وتجمعوا في حروراء بقيادة أبن الكواء... فأرسل الإمام عليه السلام أكثر من وفد، لعلهم يرجعون، وكان صعصعة بن صوحان في الوفد مع عبد الله بن عباس، وزياد بن النضر الحارثي، فناشدوهم الطاعة وترك العناد، فأبوا عليهم ذلك. وتكررت خطوة الإصلاح هذه فأرسل لهم كلاً من عبد الله ابن عباس وصعصعة بن صوحان.

فَقَالَ لَهُمْ صَعْصَعَةُ: اُذَكِّرُكُمُ اللهَ أنْ تَجْعَلُوا فِتْنَةَ الْعَام‌ِ مَخَافَةَ فِتْنَةِ عَام‌ٍ قَابل‌ٍ.

فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ: ألَسْتُمْ تَعْلَمُونَ إنِّي دَعَوْتُكُمْ إلَى هَذَا الأَمْر‌ِ؟

فَقَالُوا: بَلَى.

فَقَالَ: فَإنِّي أوَّلُ مَنْ أطَاعَ هَذَا الرَّجُلَ فَإنَّهُ وَاعِظٌ شَفِيقٌ. فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْهُمْ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ فَدَخَلُوا فِي جُمْلَةِ عَلِيٍّ وَجَمَاعَتِهِ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَةِ آلافِ رَجُل‌ٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: اتْرُكُوهُمْ حَتَّى يَأخُذُوا، وَيَسْفِكُوا دَماً حَرَاماً. فَفَعَلَ ذَلِكَ.[[206]](#footnote-206)

وفي خبر آخر أنَّ صعصعة قال: يا أمير المؤمنين، إئذن لي في كلام القوم.

قال: نعم، ما لم تبسط يداً.

فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج إليه، فقال: أنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره، وأن لا تخرجوا بأرض تُسمّوا بها بعد اليوم، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل.

فقال له ابن الكواء: إنَّ صاحبك لقينا بأمر‌ٍ، قولك فيه صغير فأمسك.[[207]](#footnote-207)

ولما لم تؤدِ هذه المساعي لدرإ فتنة الخوارج ومروقهم، وبعد اعتدائهم، حين احتلوا منطقة النهروان الواقعة على بعد ما يقارب 35 كم من [بغداد](http://www.eslam.de/arab/begriffe_arab/02ba/ba%20ba/bagdad.htm)، وسفكهم الدم الحرام، بقتلهم واليها من قبل الإمام عليٍّ؛ عبد الله بن خباب مع زوجته، وكذا قتلهم الصحابي الجليل الحارث بن مرة، المرسل من قبل الإمام ليستطلع الأمر...، توجه إليهم الإمام بجنده وأتباعه، فأفشل مشروعهم، ووأد فتنتهم، في معركة سميت معركة أو النهروان، وكان لصعصعة كما لأصحاب رسول الله دورهم الكبير في قتال هؤلاء الخوارج، ومن ذلك ما جاء عن ربيعة بن عبد الله النميري، أنه قال: أخبرني رجل من الأزد، قال: نظرت إلى أبي أيوب الأنصاري، في يوم النهروان، وقد علا عبد الله بن وهب الراسي، فضربه ضربة على كتفه، فأبان يده، وقال: بُؤ بها إلى النار يا مارق، فقال عبد الله: ستعلم أينا أولى بها صِليّاً، قال: وأبيك إني لأعلم؟

إذ أقبل صعصعة بن صوحان فوقف، وقال: أولى بها والله صِليّاً من ضلَّ في الدنيا عميّاً، وصار إلى الآخرة شقيّاً، أبعدك الله! وأنزحك! أما والله: لقد أنذرتُك هذه الصرعة بالأمس، فأبيتَ إلاّ نكوصاً على عقبيك، فذق يا مارق وبال أمرك، وشرك أبا أيوب في قتله: ضربه ضربة بالسيف أبان بها رجله، وأدركه بأخرى في بطنه، وقال: لقد صرت إلى نار لا تُطفأ، ولا يبوخ سعيرها،... وانتهت فصول هذه المعركة، التي استأصلتهم إلاّ قليلاً منهم. وفي ختامها قال الإمام لهما (أبو أيوب الأنصاري وصعصعة بن صوحان): اطلبا لي ذا الثدية، فطلب فلم يوجد، فرجعا إليه وقالا: ما أصبنا شيئاً.

فقال: والله لقد قتل في يومه هذا، وما كذبني رسول الله ولا كذبت عليه، قوموا بجمعكم فاطلبوه.

فقامت جماعة من أصحابه، فتفرقوا في القتلى، فأصابوه في دهاس من الأرض، فوقه زهاء مائة قتيل، فأخرجوه يجرّ برجله، ثم أتى به عليٌّ، فقال: اشهدوا أنه ذو الثدية.[[208]](#footnote-208)

كان شاعراً

وبليغاً، وكان ذا رأي سديد، وقول حكيم، وكان عالماً بأخبار العرب، وكان شديداً في الحقِّ، عاملاً به، لقد عرف عن صعصعة بحسن بلاغته وبشعره وبخطابته، حتى أنَّ أبن عباس حبر الأمّة إذا ما أراد أن يستمع إلى البلاغة والحكم وسداد الرأي وما عفا من أخبار العرب يجالس صعصعة ويسائله ويرتوي من فيض نبعه... ولقد اختاره وفد المصريين لرئاسة جماعة منهم عند دخولهم على الخليفة عثمان لطلب الإصلاح... ولصعصعة شعر جميل يرثي به الإمام عليّاً عليه السلام، فيقول:

## هل خبر القبر سائليه      أم قرّ عيناً بزائريه

## أم هل تراه أحاط علماً       بالجسد المستكين فيه

## لو علم القبر من يواري      تاه على كلّ من يليه

## ياموت ماذا أردت مني      حققتَ ما كنتُ أتقيه

## ياموت لو تقبل افتداء       لكنتُ بالروح افتديه

## دهر رماني بفقد إلفي      أذمُّ  دهري وأشتكيه

وهناك مرثية أخرى في الإمام، نسبت إليه، وقد وجدت عدداً من أبياتها، مع اختلاف بسيط، نسبت إلى الشاعر المعروف أبي العتاهية، المتوفى في بغداد سنة [213هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/213_%D9%87%D9%80). يرثي علي بن ثابت وكان مؤاخياً له... جاء هذا  في  الموسوعة الشاملة، كتاب الأمالي للزجاجي مصدر الكتاب: موقع الوراق.

## إلى مَن لي بأنسك يا أخيّا

## ومَن لي أن أبثَّك ما لديّا

## طوتك خطوب دهر قد توالى

## لذاك خطوبه نشراً وطيّاً

## فلو نشرت قواك لي المنايا

## شكوت إليك ما صنعت إليّا

## بكيتك يا عليّ بدمع عيني

## فلم يُغن  البكاء عليك شيّا

## كفى حزناً بقتلك ثـم إني

## نفضتُ تراب قبرك من يديا

## وكانت في حياتك لي عظاتٌ

## وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

## فيا أسفاً عليك وطول شقوتي

ألا لو إن ذلك ردّ شـيـّـا.[[209]](#footnote-209)

مواقف أخرى:

وإن توقف القتال في صفين، إلاّ أنَّ جهاد الكلمة لم يتوقف، فقد راح صعصعة يواصل جهاده هذا، ومنهجه الذي اختطّه لنفسه منذ أن آمن برسالة السماء، ثابتاً عليه حتى يلقى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وله في منهجه هذا أن منحه الله تعالى قدرات عجيبة؛ فقد كان جوابه حاضراً ولفظه نادراً وإشارته جميلة، وحكمته بالغة، وقد أحسن المدائني حين قال: أحسن الجواب ما كان حاضراً مع إصابة المعنى، وإيجاز اللفظ، وبلوغ الحجة!

وأما المسعودي فيقول عنه: ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني، على إيجاز واختصار.[[210]](#footnote-210)

وهو ما امتازت به حوارات صعصعة واحتجاجاته الكثيرة، والتي واجهت معاوية، الذي استعمل أيّ وسيلة لتقوية إمارته، يوم كان أميراً على الشام، ولتقوية خلافته يوم صار خليفة على المسلمين، ومن وسائله التفاخر، فكان يعقد المجالس للمفاخرة، ومما كان يقوله في بعضها:

قد عرفت قريش أنّ أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها إلاّ ما جعل الله لنبيه فإنه انتخبه وأكرمه، وإني لأظنّ أبا سفيان لو ولد الناس كلّهم لم يلد إلاّ حازماً. يقول هذا وهو ما زال أميراً.

يقول السيد العسكري: أرأيت مفاخرة أبعد من هذه في التيه! يرى أنّ أباه لو ولد الناس كلّهم لم يلد إلاّ حازماً، وإن أباه كان أكرمها وابن أكرمها لولا نبوة النبيِّ! كان هذا حدّ مفاخرته في أيام إمارته؟!

أما في عصر خلافته، فقد كان حدود مفاخرته أبعدَ مدًى من هذه وأشدَّ، فقد اجتمعت لديه يومذاك إلى داعي المفاخرة دواع أخرى، كانت في حسابه أهم من دواعي التغني بأمجاد القبيلة، فإنه قد أصبح ملكاً يبذل قصارى جهده في تثبيت ملكه وترسيخ أساسه، وكيف يتم له ذلك، وفي المسلمين من يقول له في وجهه مقال صعصعة بن صوحان العبدي: ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله إنما أنت طليق وابن طليق أطلقكما رسول الله، فأنى تصحّ الخلافة لطليق؟[[211]](#footnote-211)

## أيّ الخلفاء رأيتموني؟

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله بن الكواء اليشكري ورجالاً من أصحاب عليٍّ مع رجال من قريش. فدخل عليهم معاوية يوماً، فقال: نشدتكم بالله! إلاّ ما قلتم حقاً وصدقاً، أي الخلفاء رأيتموني؟

فقال: ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا، لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الثرى بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات!

فقال معاوية: إنّ الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله والمحرمين ما أحل الله...

فتكلم صعصعة وقال:

تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله! ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنتَ فيه إلاّ كما قال القائل: <لاحلي ولا سيري>، ولقد كنتَ أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله فأنى تصلح الخلافة لطليق؟!

فقال معاوية: لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

**قابلت جهلهم حلماً ومغفرة**

**والعفو عن قدرة ضرب من الكرم**

لقتلتكم!

مَن البررة والفسقة؟

في لقاءٍ نوجزه، قال معاوية يا ابن صوحان! أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها، فأخبرني عن أهل البصرة؟

وإياك والحمل على قوم لقوم! قال: البصرة واسطة العرب، ومنتهى الشرف والسؤدد،...

قال: فأخبرني عن أهل الكوفة؟ قال: قبة الإسلام، وذروة الكلام،...

قال: فأخبرني عن أهل الحجاز؟ قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأضعفهم عنها وأقلهم غناء فيها، غير أنّ لهم ثباتاً في الدين وتمسكاً بعروة اليقين، يتبعون الأئمة الأبرار، ويخلعون الفسقة الفجار.

فقال معاوية: من البررة والفسقة؟

فقال: يا ابن أبي سفيان! ترك الخداع من كشف القناع، عليٌّ وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك!

وهكذا راح معاوية يسأله، وصعصعة يجيب حتى أمسك معاوية.

فقال له صعصعة: سل يا معاوية! وإلاّ أخبرتك بما تحيد عنه.

قال: وما ذاك يا ابن صوحان؟!

قال: أهل الشام.

قال: فأخبرني عنهم؟ قال: أطوع الناس لمخلوق، وأعصاهم للخلق، عصاة الجبار، وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار!

فقال معاوية: والله يا ابن صوحان! إنك لحامل مديتك منذ أزمان، إلاّ أنّ حلم ابن أبي سفيان يرد عنك. فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته، إنّ أمر الله كان قدراً مقدوراً!

وإنك لمارج من نار:

ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره، فقال: وسّع له على ترابيّة فيه! فقال صعصعة: إني والله لترابي، منه خلقت، وإليه أعود، ومنه أبعث؛ وإنك لمارج من نار!

وقال سفيان بن عيينة: تكلم صعصعة عند معاوية فعرق، فقال معاوية: بهرك القول! فقال صعصعة: «إنَّ الجياد نضّاحة بالماء>.[[212]](#footnote-212)

اللعن:

لم يعد معاوية إلى ضغائنه الأولى، فهي لم تغادره أو يغادرها، فكانت تظهر على لسانه، بعد أن لم يطق عليها صبراً، حتى يشفي قلبه من عليٍّ؛ فكان لعنُه منهجَه، الذي أقسم أن لا يتركه، حين طُلب منه ذلك، قائلاً: <لاوالله حتى يربو عليه الصغير و يهرم عليه الكبير ولايذكر له ذاكر فضلاً>. فكان يأمر به من بقبضته من أتباع عليٍّ ومحبيه، فأمرصعصعة بن صوحان: اصعد المنبر فالعن عليّاً، فامتنع من ذلك، وقال: أو تعفيني؟ قال: لا.

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر الناس، إنَّ معاوية أمرني أن ألعن عليّاً، فالعنوه لعنه الله!

وكان معاوية ملتفتاً لهذه الطريقة في اللعن؛ ففي بعض المصادر كان يقول: لا والله ما عنيتَ غيري... ما عنى غيري، أخرجوه...[[213]](#footnote-213)

ابن عباس وصعصعة:

سبق وقد ذكرنا قول المسعودي: <ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني، على إيجاز واختصار>. قول افتتح به كلامه عن أسئلة ابن عباس لصعصعة، وإعجابه بما قدمه من إجابات جميلة ورائعة.

يقول: ومن ذلك خبره مع عبد الله بن العباس، وهو ما حدث به المدائني، عن زيد بن طليح الذهلي الشيباني، قال: أخبرني أبي، عن مصقلة بن هبَيْرَة الشيباني، قال: سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس: ما السؤدد فيكم؟

فقال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النَوال، وكف المرء نفسه عن السؤال، والتودد للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك شَرَعاً.

قال: فما المروءة؟

قال: أخوان اجتمعا، فإن لقيا قهراً حارسهما قليل، وصاحبهما جليل، يحتاجان إلى صيانة مع نزاهة وديانة.

قال: فهل تحفظ في ذلك شعراً؟

قال: نعم، أما سمعت قول مرة بن ذُهْل ابن شيبان حيث يقول:

## إنَّ السيادة والمروءة عُلِّقَا

## حيث السماء من السِّمَاكِ الأعزل

## وإذا تقابل مُجْريَان‌ِ لغاية

## عثر الهجين وأسلمته الأرجل

## ويَجِي الصريحُ مع العتاق معوداً

## قرب الجياد فلم يجئه الأفكل.

فقال له ابن عباس: لو أنّ رجلاً ضرب آباط إبله مشرقاً ومغرباً لفائدة هذه الأبيات ما عنفته، إنا منك يا ابن صوحان لعلى علم وحكم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب.

فمن الحكيم فيكم؟

قال: مَنْ ملك غضبه فلم يعجل، وسعي إليه بحق أو باطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل، ذلك الحكيم يا ابن عباس، قال: فهل تجد ذلك فيكم كثيراً. قال: ولا قليلاً، وإنما وصفت لك أقواماً لا تجدهم إلاّ خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون، فأما الآخرون فإنهم سبق جهلهم حلمهم، ولا يبالي أحدهم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة ما كان بعد أن يدرك زعمه يقضي بغيته، ولو وتره أبوه لقتل أباه، أو أخوه لقتل أخاه، أما سمعت إلى قول زبان بن عمرو بن زبان، وذلك أن عمراً أباه قتله مالك بن كومة، فأقام زبان زماناً، ثم غزا مالكاً، فأتاه في مائتي فارس صباحاً وهو في أربعين بيتاً فقتله، وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل، ويقال: بل كان أخاه، وذلك أنه كان جاورهم، فقيل لزبان في ذلك: قتلت صاحبنا، فقال:

## فلو أمي ثَقَفْتُ بحيث كانوا

## لبَل ثيابها علق صبيب

## ولو كانت أمية أخت عمرو

## بهذا الماء ظَلَّ لها نحيب

## شهرت السيف في الأدنين مني

## ولم تعطف أواصِرَنَا قلوب

فقال له ابن عباس: فمن الفارس فيكم؟ حُدّ لي حداً أسمعه منك فإنك تضع الأشياء مواضعها يا ابن صوحان، قال: الفارس من قصر أجله في نفسه، وضغم على أمله بضرسه، وكانت الحرب أهون عليه من أمسه، ذلك الفارس إذا وقدت الحروب، واشتدت بالأنفس الكروب، وتداعوا للنزال، وتزاحفوا للقتل، وتخالسوا المهج، واقتحموا بالسيوف اللجج، قال: أحسنت والله يا ابن صوحان، إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء، ما ورثت هذا من كَلاَلة، زدني قال: نعم، الفارسُ كثير الحذر، مدير النظر، يلتفت بقلبه، ولا يدير خرزات صلبه، قال: أحسنت والله يا ابن صوحان الوَصْفَ، فهل في مثل هذه الصفة من شعر؟ قال: نعم، لزهير بن جَناب الكلبي يرثي ابنه عمراً حيث يقول:

## فارس تكلأ الصحابة منه بحسام يمرُ مرّ الحريق

## لاتراه لدى الوغى في مجال يغفل الطرف، لا، ولافي مضيق

## من يراه يَخَلْه في الحرب يوماً أنه أخرق مضل الطريق

في أبيات، فقال له ابن عباس: فأين أخواك منك يا ابن صوحان؟ صِفْهُمَا لأعرف وزنكم. قال: أما زيد فكما قال أخو غَنيّ:

## فتى لا يبالي أن يكون بوجهه إذا سد خلاَّتِ الكرام شُحُوبُ

## إذا ما ترا آه الرجال تحفظوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

## حليف الندى يدعو الندى فيجيبه إليه، ويدعوه الندى فيجيب

## يبيت الندى يا أم عمرو ضَجِيعه إذا لم يكن في المنقيات حلوب

## كأن بيوت الحي مالم يكن بها بَسَابسُ مايلفى بهن عَر‌ِيبُ

في أبيات، كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكراً الله طرفَي النهار و زُلَفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا، وأقل أصحابه من يُنَافس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بعُقام، يهرب منه الدُّعَّار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار.

فقال ابن عباس: ماظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيداً، فأين كان عبد الله منه. قال: كان عبد الله سيداً شجاعاً، مألفاً مطاعاً، خيره وساع، وشره دفاع، قُلْبي النحيزة، أحوذي الغريزة، لا ينهنهه منهنة عما أراده، ولا يركب من الأمر إلاّ عتاده، سماع عدي، وباذل قرى، صعب المَقَادة، جَزْل الرفادة، أخو إخوان، وفتى فتيان، وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان:

## سِمَامُ‌عدى، بالنبل‌يقتل‌من‌رمى

## بالسيف والرمح الرُّدَيْنيِّ‌ مشغب

## مهيب مفيد للنوال مُعَوَّد بفعل الندى والمكرمات مجرب

وفي أبيات، فقال له ابن عباس: أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب ومن أخبار صعصعة ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي، عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي، قال: أخبرني رجل من بني فزارة ثم من بني عدي، قال: وقف رجل من بني فزارة على صعصعة، فأسمعه كلاماً منه: بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك، أما لئن شِئْتَ لأكونن لك لصاقاً، فلا تنطق إلاّ حَدَدْتُ لسانك بأذْرَبَ من ظُبَةِ السيف، بعضب قوي، ولسان علي، ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال.

فقال صعصعة: لو أجد غرضاً منك لرميت، بل أرى شبحاَ ولا أرى مثالاً، إلاّ مسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، أما لو كنت كفؤاً لرميت حصائلك بأذْرَبَ من ذلك السنان، ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال، ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام، فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزاري، وقال: أما لو كلف أخو فزارة نَفْسَه نقل الصخور من جبال شمام إلى الهضام، لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس، خاب أبوه، ما أجهله!! يستجهل أخا عبد القيس، وقواه المريرة، ثم تمثل:

## صُبّتْ عليك ولم تنصبّ من أمَم إن الشقاء على الأشْقَيْنَ مصبوب.[[214]](#footnote-214)

الخوارج مرّةً أخرى:

كما قدر لمن بقي من مريدي الإمام عليه السلام وشيعته أن يعيشوا في ظلِّ تسلط معاوية، وواليه في الكوفة المغيرة بن شعبة، قدر لهم الثبات على ولائهم لنهج الإمام عليه السلام وسيرته، وعدم نسيان ما حصل له من آلام ومتاعب خلقها هؤلاء له ومن هم على شاكلتهم؛ الناكثون والمارقون... وراحوا يتابعون بحرص وحذر الأوضاع وما يحدث في الساحة... ولم يُبعدوا أنفسهم عن التفاعل مع الأمّة والتصدي لما تتعرض لها من أخطار بمواقف جريئة وخطب واعية ومواجهات كلامية تلجم الأعداء وتحرجهم... ومن هذه الأخطار: الخوارج وأفكارهم القاتلة... لقد كان صعصة بن صوحان، كما كان غيره من أصحاب الإمام عليٍّ، ذوي بصيرة بهؤلاء المارقين الخوارج، كما أنهم لم ينسوا أنَّ هؤلاء الخوارج هم السبب فيما حصل في معركة صفين وقفاً للقتال وقبولاً للتحكيم، وإكراهاً للإمام عليٍّ في القبول بذلك، ثمّ تمردهم وانقلابهم عليه، وتكفيرهم له، وتمزيقهم جيش الإمام، وتضعيف الأمّة... وهو ما جاء على لسان صعصعة واضحًا صريحاً: <ولا قومَ أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامَنا، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر>.

ويبدو أنَّ صعصعة كان يترقب أن يتحركوا يوماً ما، وفعلاً لما سمع أن بقاياهم الذين كانوا ارتُثّوا يوم النهر، قد اجتمعوا على الخروج، وكان هذا في سنة ثلاث وأربعين، في أيام المغيرة بن شعبة والي معاوية بن أبي سفيان على الكوفة... وقف صعصعة خطيباً في أهل الكوفة، وبالذات في قومه عبد القيس، مبيّناً ما وقعت به الأمّة من اختلاف بعد وفاة رسول الله وبعد البيعة بالخلافة للإمام عليٍّ... ثمَّ راح يبين خطورة الخوارج، ويدعو الناس إلى عدم إيوائهم...

كما ذكر ذلك <ابن مخنف،... عن مرة بن النعمان، قال: قام فينا صعصعة بن صوحان... فقال: قولاً حسناً، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا، حسنٌ عددنا، قال: فقام فينا بعد ما صلّى العصر، فقال: يا معشر عباد الله، إن الله ـ وله الحمد كثيراً ـ لما قسم الفضل بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القسم، فأجبتم إلى دين الله الذي اختاره الله لنفسه، وارتضاه لملائكته ورسله، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة، وارتدّت طائفة، وأدهنت طائفة، وتربّصت طائفة، فلزمتم دين الله إيمانًا به وبرسوله، وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين، وأهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كلّ شيء، وعلى كلّ حال، حتى اختلفت الأمّة بينها، فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبي، راسب الأزد، وقلتم أنتم: لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قِبَلهم بالكرامة، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً، فلم تزالوا على الحقّ لازمين له، آخذين به، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مِثل هداكم ورأيكم الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر ـ وسكت عن ذكر أهل الشأم؛ لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم ـ ولا قومَ أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامَنا، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر؛ فإياكم أن تؤووهم في دوركم، أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي، وأنا باحثٌ عن ذلك وسائل، فإن كان حكي لي ذلك حقًا، تقربتُ إلى الله تعالى بدمائهم، فإنّ دماءهم حلال. ثم قال: يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم. ثم تنحى فجلس.

فكل قومه قال: لعنهم الله! وقال: برىء الله منهم، فلا والله فلا نؤويهم، ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنّك عليهم>.

ولأنَّ شيعة عليٍّ، كانوا أكثر معرفةً بهؤلاء الخوارج، وكانوا يرصدون تحركاتهم ويتربصون بهم، وهو أمر يعرفه الجميع ومنهم المغيرة بن شعبة والي الكوفة؛ الذي ما إن بلغه أنَّ الخوارج خارجة عليه، حتى دعا جمعاً من أصحاب الإمام عليٍّ وشيعته، <وهم ـ كما وصفهم المغيرة بن شعبة نفسه ـ أكثر معرفةً بهؤلاء الخوارج، أشدّ استحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة>، دعاهم مع أناس آخرين؛ يبلغهم ويستشيرهم ويستعين بهم، فقال: إنَّ هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحين وسوءُ الرأي، فمن ترون أبعث إليهم؟[[215]](#footnote-215)

فتحدث عدد من أتباع الإمام، أولهم عدي بن حاتم، ومما قاله: كلنا لهم عدو، ولرأيهم مسفه،... ثمَّ معقل بن قيس، فقال: إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن ترى حولك... إلاّ وجدته لهم مفارقًا، ولهلاكهم محبًا، ولا أرى أصلحك الله أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم ولا أشدّ عليهم مني، فابعثني إليهم فإني أكفيكهم بإذن الله. فقال: اخرج على اسم الله... وفعلاً، كان الذي خرج معه ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم.

إلاّ صعصعة!

ولتحمس صعصعة لقتال الخوارج، قال لأمير الكوفة المغيرة بن شعبة، كما يقول الخبر: وأمّا صعصعة بن صوحان <فقام بعد معقل بن قيس، وقال: ابعثني إليهم أيها الأمير، فأنا والله لدمائهم مستحل، وبحملها مستقل>. وما موقف صعصعة هذا إلا تحمساً منه ورغبةً في قتال الخوارج.

فكان ردُّ المغيرة عليه أن قال له: اجلس؛ فإنما أنت خطيب، فكان أحفظه ذلك>. وإنما قال له ذلك؛ لأنه يعيب عثمان بن عفان، ويكثر ذكر عليٍّ ويفضّله.

فدعاه، فقال: إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل عليٍّ علاينةً، فإنك لستَ بذاكر من فضل عليٍّ شيئًا أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيةً، فإن كنتَ ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرّاً، وأما علانيةً في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا به.

فكان يقول له: نعم أفعل، ثمّ يَبلُغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه... هذا ما رواه الطبري، وروى أيضاً: فلما قام (صعصعة) إليه وقال له: ابعثني إليهم، وجد المغيرة قد حقد عليه خلافه إياه، فقال: اجلس فإنما أنت خطيب، فأحفَظَه.

فقال له: أوَ ما أنا إلاّ خطيب فقط! أجل والله، إني للخطيب الصليب الرئيس، أما والله لو شهدتَني تحت راية عبد القيس يوم الجمل حيث اختلفت القنا، فشؤون تُفرى، وهامةٌ تُختلى؛ لعلمتَ أني أنا الليث الهِزبر! فقال: حسبك الآن، لعمري قد أوتيتَ لساناً فصيحاً![[216]](#footnote-216)

مع علماء الرجال:

ذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث، تحت الرقم5923. قال النجاشي: <صعصعة بن صوحان العبدي، روى عهد مالك بن الحارث الأشتر؛ وعدَّه الشيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين؛ فيما عدّه البرقي من خواص أصحاب أمير المؤمنين من ربيعة... كان من شهود وصية أمير المؤمنين>.[[217]](#footnote-217)

وقال الكشي (19): صعصعة بن صوحان... عن أحمد بن أبي نصر، قال: كنت عند أبي الحسن الثاني، قال: ولا أعلم إلاّ قام ونفض الفراش بيده، ثم قال لي: يا أحمد أنّ أميرالمؤمنين عاد صعصعة بن صوحان في مرضه، فقال: يا صعصعة لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك، قال: فلما قال أميرالمؤمنين لصعصعة هذه المقالة، قال صعصعة: بلى والله أعدّها منةً من الله عليَّ وفضلاً، قال: فقال له أميرالمؤمنين: إني كنت ما علمتك إلاّ لخفيف المؤونة، حسن المعونة، قال: فقال صعصعة: وأنت والله يا أميرالمؤمنين ما علمتك إلاّ بالله عليماً، وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

...عن داود بن أبي يزيد، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): ما كان مع أميرالمؤمنين من يعرف حقَّه إلاّ صعصعة وأصحابه.

ذكر السيد الخوئي هذه الرواية في ترجمة أخيه سيحان بن صعصعة، تحت رقم 5658، العبدي أخو صعصعة: من أصحاب أميرالمؤمنين، رجال الشيخ. وعن ابن داود: ضبطه بالباء الموحدة. قائلاً: ولايبعد استفادة مدحه من قول الصادق: <ما كان مع أميرالمؤمنين من يعرف حقَّه إلاّ صعصعة وأصحابه.

...عاصم بن أبي النجود، عمن شهد ذلك، أنّ معاوية حين قدم الكوفة، دخل عليه رجال من أصحاب عليٍّ، وكان الحسن قد أخذ الأمان لرجال منهم مسمّين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان فيهم صعصعة، فلما دخل عليه صعصعة، قال معاوية لصعصعة: أما والله إني كنت لأبغض أن تدخل في أماني، قال: وأنا والله أبغض أن أسميك بهذا الاسم، ثم سلم عليه بالخلافة، قال: فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر والعن علياً!! قال: فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، أتيتكم من عند رجل قدم شرَّه، وأخر خيره، وإنه أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله، فضجّ أهل المسجد بآمين، فلما رجع إليه، فأخبره بما قال، قال: لا والله ما عنيتَ غيري، أرجع حتى تسميه باسمه، فرجع وصعد المنبر، ثم قال: يا أيها الناس، إنَّ أميرالمؤمنين أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب، فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب، قال: فضجوا بآمين، قال: فلما خبر معاوية، قال: لا والله ما عني غيري، أخرجوه، لا يساكنني في بلد فأخرجوه.[[218]](#footnote-218)

ولم أجد في المعجم ذكراً لزيد بن صوحان! نعم ذكر في المستدرك تحت رقم 5944، زيد بن صوحان العبدي أخو صعصعة، أكبر منه، من أصحاب أميرالمؤمنين، وكان من الأبدال ومن التابعين ورؤسائهم وزهادهم... حدثهم في البصرة، عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: انظروا الفئة التي فيها عليٌّ فأتوها ولو زحفاً على ركبكم، فإني سمعت رسول الله يقول: <عليٌّ أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله إلى يوم القيامة>.

كلماته في ترغيب أهل الكوفة في نصرة أميرالمؤمنين وقوله: أيها الناس سيروا إلى أميرالمؤمنين، وانفروا إليه أجمعين، تصيبوا الحق راشدين.

كش: إنّ عائشة كتبت من البصرة إلى زيد بن صوحان، إلى الكوفة: من عائشة زوجة النبي إلى ابنها زيد بن صوحان الخالص. أما بعد إذا أتاك كتابي هذا، فاجلس في بيتك، وخذل الناس عن علي بن أبي طالب حتى يأتيك أمري. فلما قرأ كتابها، قال: أمرت بأمر وأمرنا بغيره، فركبت ما أمرنا به، وأمرتنا أن نركب ما أمرت هي به. أمرت أن تقرَّ في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة. والسلام.

إنفاذ أميرالمؤمنين، إياه مع ابن عباس، لموعظة عائشة.

النبوي، ذكر زيد بن صوحان، فقال: <زيد! وما زيد!  
يسبق منه عضو إلى الجنة>. فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله.  
عن الصادق، قال: لما صرع زيد بن صوحان رحمه الله يوم الجمل، جاء أميرالمؤمنين حتى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد، لقد كنت خفيف المؤونة، عظيم المعونة. قال: فرفع زيد رأسه إليه، ثم قال: وأنت فجزاك الله خيراً يا أميرالمؤمنين، فوالله ما علمتك إلاّ بالله عليماً، وفي أمّ الكتاب حكيماً، وأنّ الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، و لكنني سمعت أمَّ سلمة زوجة النبي تقول: <سمعت رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله>. ورواه المفيد في الاختصاص عنه، مثله... وقريب منه إلاّ أنه في آخره:

سمعت حذيفة بن اليمان، يقول: سمعت رسول الله يقول: <علي أمير البررة ـ إلى آخر ما تقدم، وزاد: ألا وإنّ الحقَّ معه يتبعه، ألا فميلوا معه... وأنه من الثلاثة الذين شهدوا معه بصفين. ونقله المفيد في الاختصاص:82 مسائله عن أميرالمؤمنين. كمبا 17: 99، وجد 77: 377. وفي ترجمة إبراهيم بن هاشم القمي ما يتعلق به وبمسجده...

وقال العلامة الأميني: زيد بن صوحان العبدي، الشهير بزيد الخير. أدرك النبي الأعظم، وترجمه ابن الأثير وابن حجر ـ ثم ذكر الروايات النبوية وكلمات العلماء في مدحه والثناء عليه وبيان جلالته وقوله لأميرالمؤمنين يوم الجمل: <ما أراني إلاّ مقتولاً>. وذلك لما رآه في المنام. كتاب الغدير ط2، 9: 41-43.

وفي القاموس، نقل عن المسعودي كلمات صعصعة في مدح أخيه زيد حين سأله ابن عباس. فقال: كان والله عظيم المروة، شريف الإخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة...[[219]](#footnote-219)

## وفاته رضوان الله عليه

بقي حقد المغيرة بن شعبة عليه، وراح يزداد، وصعصعة لا يتوقف عن المجاهرة بحبّه للإمام عليٍّ وبولائه، وبعدائه للسلطة الأموية، حتى صار بنظرها كما وصفه عُفير، حين يقول لمعاوية عن صعصعة:... أعظم جرماً عندك..، وأنكأ لقلبك، وأقدح في صفاتك، وأجدّ في عداوتك، وأشدّ انتصاراً في حربك.

إذن وبسبب مواقفه هذه غير المهادنة للمغيرة وسلطته، ضاق المغيرة به ذرعاً، فنفاه عن الكوفة بأمر معاوية، وكان نفيه مردداً بين مكانين هما: جزيرة أوالي من البحرين.

جزيرة ابن كافان أو كاوان ويُقال: جزيرة بني كاوان، وبقي في منفاه حتى توفاه الله تعالى سنة60 هـ.

وقد ذكر ابن سعد أنه توفي بالكوفة في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

وقال صاحب كتاب مراقد المعارف «المعروف أنّ قبره في ظهر الكوفة بـ «الثوية>.

فيما ذكر صاحب كتاب العتبات المقدسة في الكوفة أنّه لم يعرف إلى الآن أنّ لصعصعة قبراً لا بالكوفة ولا في ضواحيها القديمة. وهناك قبر مشهور يُزار في جزيرة عسكر، يحكى عن البحرانيين أنه معروف بقبر صعصعة بن صوحان...

نعم، يقال: إنَّ هناك مسجداً له في الكوفة إلى الشرق من مسجد السهلة، ومساحته 75 متراً كان يتعبد فيه.[[220]](#footnote-220)

لقد التحق هؤلاء الإخوة الثلاثة الصالحون بالرفيق الأعلى؛ ليجدوا لهم مقعد صدق <مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً>.

نسأله تعالى أن يُوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله!

# في رحابِ سِلْسِلَـةِ

# <ذَخَائِر الْحَرَمَيْنِ الشَرِيفَيْن> (3)

محمد حسين الواعظ

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً، وجعل البيت العتيق مثابةً للناس وأمناً، تهوي إليه أفئدة المؤمنين، وتشتاق إليه نفوس عباده الصالحين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، وآله الطيبين الميامين.

وبعد، لـمّا كانت الكعبة المكرمة قبلةً للمسلمين، وقد فرض الله على الناس حجّ بيته الحرام، وكانت المدينة المنوّرة حرم رسول الله مهبطاً للوحي، وموئلاً للقلوب؛ فقد كانت الشيعة الإمامية ـ كسائر فرق المسلمين ـ تولي الحرمين الشريفين بالغ الاهتمام، وغاية التعظيم والاحترام، وتبذل في سبيلهما الغالي والنفيس، وتسعى لإقامة الشعائر الإلهية في تلك الديار المقدسة..

إلاّ أنه ممايؤسف له، أنّ جهود الشيعة في هذا المجال، وتراثهم العريق، وماضيهم المشرق، لم تَحْظَ بالاهتمام، ولم تَلْقَ اعتناءً من خلال الدراسات التخصصية، والأبحاث العلمية، والموسوعات الريادية..

أفهل يشكّ اثنان في جهود علماء الإمامية في فقه الحج والزيارة، أم يختلف باحثان في مجد الشيعة الأثيل وماضيهم الحميد في أمر الحجّ وتاريخ الحرمين الشريفين؛ فلم يخلُ يوماً الحرمان الشريفان من الشيعة الإمامية وعلمائهم، وقد ترك أعلامنا آثاراً خالدة، ومصنفات رائدة في مضمار الحج والحرمين الشريفين.

ومع کثرة الأبحاث والدراسات التراثية، بقيت ثغرة خطيرة و فجوة علمية کبيرة من البحث والتحقيق، وهو تاريخ الشيعة الإمامية في الحرمين الشريفين وأمر الحج، وتاريخ أعلام هذه الطائفة المحقّة ممّن نشأ في تلك البلدتين المقدستين أو قطن بهما، وجهودهم العلمية، وآثارهم العملية في الحفاظ على الحرمين الشريفين، وتسهيل أمر الحُجّاج وحفظ نفوسهم، وإلى غير ذلك ممّا يرتبط بهذا المجال.

وانطلاقاً ممّا مضى، انبرى أحد أعلام الباحثين و الفضلاء المحققين، و هو سماحة العلامة الحجّة الشيخ حسين الواثقي، دامت فضائله وفواضله، وتصدّى بعزم وإرادة، وشمّر عن ساعِدَي الجدّ والاجتهاد لدراسة وتحقيق تاريخ الشيعة الإمامية في الحرمين الشريفين، من خلال السلسلة التي يصدرها تحت عنوان: «**ذخائر الحرمين الشريفين**».

وتعتبر هذه السلسلة من المقالات في هذه المجلة الغراء <**ميقات الحج**> دراسة شاملة عنها وما اشتملت عليه من کنوز‌ٍ ونفائس.

فقبل سنين من الزمن، دفعت الهمّة بشيخنا الواثقي أن يطرح على الجهات المعنيّة والمؤسسات المختصّة أطروحة مهمّة للغاية تحت عنوان: «**الموسوعة المکيّة والمدنيّة الشيعيّة الکبرى**»، و هي تشتمل على محورين:

**الأول:** المواضيع و العناوين المشترکة بين الشيعة و السنّة، فمن المعلوم أنّ الحجّ و الحرمين الشريفين تجمّع کافّة فِرَق الإسلام، و عامّة أهل القبلة، و هي إحدى القواسم المشترکة بينهم، الداعية لاتحاد صفوفهم وکلمتهم.

**الثاني:** المواضيع والعناوين الخاصة بالشيعة في الحرمين الشريفين، نحو: تاريخ الشيعة وعلمائهم، ورواة الأحاديث في الحرمين الشريفين، وما بذله الشيعة في خدمة الحجّاج وتعمير الحرمين... وما إلى ذلك ممّا طرح بالبسط والتفصيل في مقالة جامعة نشرت في مجلّة آئينه پژوهش [=مرآة التحقيق]، العدد 97، ص 84 ـ 91.

ولکنّ ممّا يؤسف له ـ کلّ الأسف ـ أنّ هذه الأُطروحة العلمية البکر لم تلْقَ من العناية والاهتمام، ولم يتوجّه إليه ذوو الجهات المعنيّة من رجال العلم والثقافة، ولم تذکر کإحدى الأُطروحات الضرورية لکونها تفتح آفاقاً جديدة من البحث والتحقيق، ولکونها غير مطروقة من قبلُ، وتعتبر لازمة البحث والدراسة، وصارت حاجة ملحّة عصرية، مع تطوّر آلات البحث، ووفرة أدواته التي کانت من قبل معدومة، وهکذا بقي الحال من عدم العناية، حتّى کاد أن يکون هذا العمل مهجوراً، وکأن لم يکن شيئاً مذکوراً...

إلاّ أنّ ذلك لم يکن ممّا يضعّف همّة شيخنا الباحث، أو يَني من سعيه، حتّى تصدّى بنفسه و باهتمام بالغ، و عمل دؤوب لإخراج سلسلة من الأعمال العلمية التراثية التحقيقية والتأليفية، لتکون جابرة لهذه الثغرة العلميّة، ومبيّنة لهذا السدّ التراثي، ألا وهي سلسلة **<ذخائر الحرمين الشريفين>** التي نهتمّ بتعريفها في هذه السلسلة من المقالات، و إليك ـ الآن ـ المجلّد الرابع والخامس من هذه السلسلة

المبارکة وما اشتملت عليه:

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_kOwghxUd.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_z8wDQaTr.jpg

# المدنيّات (سلسلة ذخائرالحرمين الشريفين 4 و 5)

## تحقيق وتأليف: الشيخ حسين الواثقي، النشر: دانش حوزه، الطبعة الأولى سنة 1434هـ ، طبع على نفقة المؤلف، مجلّدان في 1336 ص، مصوَّر.

يحتلّ کتاب المدنيّات في مجلّدين العدد الرابع والخامس من سلسلة ذخائر الحرمين الشريفين، وكما أسلفنا في الأعداد السابقة من مجلة ميقات الحجّ الغرّاء، فإنّ الشيخ الواثقي حفظه الله دأب جادّاً في سبيل إحياء معالم هاتين البلدتين الطيّبتين، من خلال الرجوع إلى آلاف المخطوطات في شتّى المکتبات، حيث إنّ مصادر البحث والدراسة في هذا المجال شحيحة جدّاً، لذلك ينبغي الاعتماد على المخطوط أکثر من المطبوع قليل الوجود.

ومن البديهي أنّ القيام بمثل هذا المشروع الضخم يستدعي تفرّغاً تامّاً ودعماً معنوياً ومادياً، ولکن الشيخ الواثقي عصاميّ ليس اتّکاله سوى على الله جلّ وعلا، فقد بذل الشيخ أکثر من عشرين عاماً من عمره في سبيل جمع وتحقيق موادّ البحث والدراسة، من خلال التأمل والتدقيق والنظر الفاحص الدقيق في بطون الأسفار، ومتون المخطوطات.

وأما عن هذا الکتاب الذي قدّمه المؤلف إلى الأوساط العلميّة فهو ـ بحقٍّ ـ دائرة معارف موجزة عن المدينة المنوّرة وتاريخها ونشاط الشيعة الإمامية الثقافي والعلمي فيها.

فقد اشتمل الکتاب على تراجم شريحة واسعة من العلماء المدنيين وسيرهم ومصنفاتهم، وتحقيق جملة کبيرة من المصنّفات والرسائل الفقهية، والأصولية، والکلامية، والتفسيرية المدنية، کما احتوى الکتاب على وثائق تاريخية جمّة وأسفاراً مهمة عن تاريخ الشيعة الإمامية في المدينة المنورة.

وقد صدر هذا الکتاب الجليل مرافقاً لإعلان المدينة المنورة عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 1434 ه‍ = 2013 م، والحمد لله ربّ العالمين.

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_oeKg1n0Q.jpg

المدنيّات

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_QO1THgyZ.jpg

ومن حسنات هذا الکتاب الاستفادة من بطن الغلاف، حيث اشتمل على التعريف باللوحة الحجرية الثمينة والجميلة التي صنعها الميرزا سنگلاخ الخراساني للروضة النبويّة ـ على مشرّفها السلام ـ وإليك تعريفها:

## تعريف باللوحة الجميلة

طولها: 380 سانتيمتراً، عرضها: 133 سانتيمتراً، ضخامتها: 35 سانتيمتراً، وزنها: حوالي3000 کيلو جراماً، عدد قطعاتها: 5 قطعات، القطعة الأصليّة المرکزيّة في الوسط، وأربع قطعات في أربعة جوانبه الحواشي.

هذا الحجر هيّأه وخطّ مکتوباته، ثمّ نحته الميرزا محمد علي سنگلاخ الخراساني (ت 1294 ه‍) الخطّاط والحجّار الشهير في القاهرة بمصر، وهو صاحب الکتاب الکبير الفارسي المطبوع <**تذکرة الخطّاطين**>، وکان في نيّته أن ينقله من مصر إلى المدينة المنورّة وينصبه في المسجد النبوي الشريف، فلم يوفَّق، لأنّ السلطان العثماني لم يسمح له بالإجازة، فلذا نقله إلى تبريز في إيران، وهو عازم على نقله إلى مشهد الإمام الرضا7 ونصبه في حرم الإمام، فلم يمهله الأجل، وهو الآن محفوظ في متحف تبريز الوطني.

هذا الحجر من المرمر الأبيض، والمکتوبات عليه بثلاث لغات: العربيّة، والفارسيّة، والترکيّة العثمانيّة.

ولا يخفى أنّ المکتوب على الدائرة على يسار (بسم الله الرحمن الرحيم) کان اسم الخليفه العثماني آنذاك هکذا: «سلطان البرّين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، عبد المجيد بن حضرتلرينك هديه لريدير».

ثم غيّره بآية قرآنيّة وهي: (إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ)[[221]](#footnote-221) والآن کلاهما ممسوحان.

والميرزا سنگلاخ الخراساني کتب رسالة إلى علي باشا الصدر الأعظم للدولة العثمانية آنذاك، وعدّد خدماته إلى الدولة العثمانية طوال خمس وعشرين سنة التي قضاها في تلك الأراضي، ثمّ قال: ومن تلك الخدمات الحَجَر الذي عمله للروضة النبويّة عليه الصلاة والسلام، ولم يعهد مثله في عهد سلاطين المسلمين وفي البلاد الإسلاميّة، وقد صرف في سبيل صنعه و إتقانه 658 صرّة من النقود خلال ثمان سنوات من عمره التي قضاها في صنعه وإيجاده، ثمّ نقله بأمر السلطان من مصر إلى إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، ثمّ شکا ممّا سمع من أمر السلطان بتقويم الحجر المذکور وبيعه، وشَبَّه هذا العمل بعمل السلطان محمود الغزنوي مع الفردوسي الطوسي الشاعر الشهير الفارسي وملحمته الشِّعرية «الشاهنامه». (توجد الرسالة في مخطوطة من کتاب **مجمع الأوصاف**، من مجموعة کريم زاده المُهداة إلى مکتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، الرقم 57، ص66ـ72).

# G:\sang besmellah jpg.jpg

## اللوحة الجميلة لميرزا محمدعلي سنگلاخ الخراساني الخطّاط والحجّار الشهير

ومن حسنات الکتاب تقريظ العلامة السيد عبدالستار الحسني على الکتاب،[[222]](#footnote-222) و إليك نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحِب السَّماحَة و الفضيلة العلاّمة الفَذِّ، والمحقق البارع الثبت، الرائد الأول والسابق المجلّي في حفظ تراث الفکر الإمامي المَکّي المدني، المُودَع في خبايا الزوايا، حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين الواثقي ـ لازال مَنْجَم وثائقه العزيزة النادرة مُنْتَجَع الباحثين والمنقّبين في تُراث أعلام شيعة العترة في مهابط الوحي الزاهرة ـ أهدي هذه الأبيات التي حضرَتني صباح يوم الثلاثاء غرّة ذي القعدة الحرام سنة 1433هـ، وهي اثنا عشر بيتاً على عدد ولاة الأمر:، راجياً التفضُّل بالقبول، وإن لم يتشرّف ناظمها بالمثول.

## بِتُراثِ مکَّةَ و المَدينَةْ لَكَ شيعةُ الهادي مَدينَهْ

## أَظْهَرْتَهُ بَعْدَ انْدِثا ر‌ٍ،واجْتَلَيْتَ لَنا دَفينَهْ

## مِنْ کُل‌ِ‌ّ ما جادَتْ بهِ الـْ أعيانُ تَحْبُونا عُيونَهْ

## فَلَكَ (الر‌ِيادَةُ) فيهِ يا مَنْ قَدْ حَفِظْتَ لَنا مُتُونَهْ

## لله دَرُّكَ عَيْلَماً عَلَماً، لِأهْل‌ِ الفَضْل‌ِ زينَهْ

## أتْحَفْتَنا بِنَفائِس الـْ أعْلاق‌ِ، والدُّرَر‌ِ الثمينَهْ

## وَحَبَوْتَنا بِذَخائِر‌ٍ بَسَطَ الرَّجاءُ لَها يَمينَهْ

## مِنْ مَنْبَع‌ِ الفِکْر‌ِ الأَصيل‌ِ تَدَفَّقَتْ وَحوَتْ مَعينَهْ

## أعْظِمْ بهِنَّ صَحَائِفاً قَدْ وُثِّقَتْ بيَدٍ أمينَه

## يَدِ جهْبَذٍ فَذٍّ لَهُ شَهدَتْ مَآثِرُهُ الرَّصينَهْ

## ذاكَ (الحُسَيْنُ الْواثِقي) بهِ أعَزَّ اللهُ دينَهْ

## حٰازَ الْفَخٰارَ کَما غَدا التَوْفيقُ مُطَّر‌ِداً ـ قرينَهْ

خادم العلم والعلماء

الأقلّ عبدالستّار الحسني

وأما الكتاب يحتوي على:

1ـ الأسئلة للسيد محمد بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني (ت1008ه‍)، وأجوبتها من الفقيه الکبير السيد محمد بن علي الموسوي العاملي صاحب **مدارك الأحکام** (ت 1009 ه‍ ) (ص 17 ـ 46).

وقد اشتملت مقدّمة التحقيق على ترجمة السائل وإجازة الشيخ حسن بن زين الدين العاملي له، وترجمة المجيب على نحو الاختصار، والتعريف بمخطوطات هذه الرسالة.

والمسائل المطروحة في الرسالة عددها ثلاث وعشرون مسألة، أجاب السيد العاملي عن جميعها قاطبة، وتمتاز الأجوبة بمرافقة الاستدلال الفقهي والنظر إلى الأخبار ودلالتها على الأحکام، نظراً لمکانة السائل.

ولم تختص المسائل بباب‌ٍ فقهي، بل تشتمل على مسائل شتى من کتاب الوقف والغصب والبيع والأطعمة والأشربة، وغير ذلك، وکذلك بعض المسائل المبتلی بها أو المسائل المستحدثة آنذاك.

2ـ الأسئلة للسيد علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني، وأجوبتها من الفقيه الکبير السيد محمد بن علي الموسوي العاملي صاحب **مدارك الأحکام** (ت1009ه‍) أيضاً (47 ـ 242).

اشتملت مقدمة التحقيق لهذه الرسالة على ترجمة وافية للسائل، وعلاقاته بکبار العلماء من مختلف البلدان الإسلامية، واشتملت على إجازة طويلة للمؤيّد بالله الإمام محمد بن القاسم الزيدي للسائل، وهي أمارة على الصلات الثقافية بين علماء المذاهب الإسلامية المختلفة من بلدان عديدة.

وتعرّض المحقق في المقدّمة إلى مصنّفات السيد المدني (السائل) والمصنفات التي کتبت بطلب‌ٍ منه، وهي دلالة واضحة على مکانته ومنزلته العلمية السامية، ومن حسنات ترجمة السيد المدني أيضاً إحصاء النسخ التي کانت في تملّکه، وقد تمّ تحقيق هذه الرسالة على أساس نسخة فريدة.

وقد اشتملت الرسالة على تسعة أبواب، صنّفها السائل حسب السنين، وقد جمع جوابات مسائل کلّ سنةٍ في باب‌ٍ مستقل، وقد ضمّ کلّ باب عشرات المسائل الفقهية، مع أجوبتها، عدا الباب التاسع والأخير فلم يأت جوابها لرحيل السيد المجيب صاحب **المدارك** إلى رضوان الله تعالى.

3ـ الأسئلة للسيد محمد بن جويبر التماري المدني الحسيني وأجوبتها من الفقيه العظيم الشيخ حسن بن زين الدين العاملي صاحب **المعالم** (ت 1011 ه‍) وهي أجوبة المسائل المدنيّات الأُولى لصاحب **المعالم**، (243 ـ 264).

وقد اشتهر من بين مصنّفات الشيخ حسن صاحب **المعالم، أجوبة المسائل المدنيّات الثلاث**، وقد أوضح الشيخ الواثقي في مقدّمة التحقيق عن تعدادها هل هي ثمانية أو ثلاثة.

وقد استوفى المحقق ترجمة السائل في المقدّمة، وتوضيح بعض الأخطاء في کتب التراجم والرجال، وقد أحصى أيضاً مخطوطات هذه الرسالة و أماکن وجودها.

لم يرد صاحب المعالم الأسئلة بتمامها، بل انتقى منها موضع الشاهد، وأخذ في الجواب عن المسائل، وهي على ما في الرسالة 23 مورداً أجاب عنها صاحب **المعالم**.

4ـ الأسئلة، للسيد محمد بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني (ت 1008 ه‍)، والأجوبة للفقيه العظيم الشيخ حسن بن الشهيد الثاني صاحب **المعالم** (ت 1011 ه‍)، وهي أجوبة المسائل المدنيّات الثانية. (ص 265 ـ 292).

وقد أورد المجيب السؤالات الواقعة من السيد محمد بن شدقم کلّها أوّلاً، ثمّ يأخذ بالجواب عنها واحدة تلو الأُخرى، وهي ثلاث عشرة مسألة، وقد تمّ تحقيق هذه الرسالة على مخطوطتين.

ومن حسنات هذه الرسالة القيّمة أنّها تشتمل على إجازة الشيخ المجيب للسيّد السائل في رواية الحديث، وهو ممّا يغتنم ذکره وعدم الغفلة عنه.

5ـ الأسئلة للسيد علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني (ت حوالي 1034ه‍)، والأجوبة للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني، صاحب **المعالم** (ت 1011 ه‍)، وهي أجوبة المسائل المدنيّات الثالثة إلى الثامنة، (ص293 ـ 432).

وهي تشتمل على سبعة أبواب، وقد صنّفت فيها الأسئلة والأجوبة حسب تواريخها منذ سنة (1000 لغاية سنة 1009ه‍)، ومن مميّزات هذه الرسالة اشتمالها على تعليقات السيد علي بن شدقم على أجوبة الشيخ حسن صاحب **المعالم**.

وقد تمَّ تحقيق هذه الرسالة على سبع مخطوطات.

ومن الظرائف أنّ السيد علي بن شدقم المدني قد ألحق بهذه الرسالة کتابين أرسلهما إلى السيد نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي جواباً عن کتابه إليه، وإلى الشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني.

6ـ الأسئلة للسيد علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ محمد بن أحمد بن نعمة الله بن خاتون العاملي المکي (ص434 ـ 462).

تشتمل مقدّمة التحقيق على ترجمة الشيخ المجيب وإحصاء مشايخه ومؤلّفاته، وقد تمّ تحقيق الرسالة على مخطوطة واحدة فريدة.

7ـ مقال حول آية الإفك، للسيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني (ص463 ـ 468).

8ـ رسالة الاعتقادات، للسيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني (ص469 ـ 482).

9ـ رسالة في عدم وجوب طواف النساء في عمرة التمتع، للسيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني أيضاً، (ص483 ـ 488‍).

10ـ رسالة في الإشهاد على الطلاق، للسيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني، (ص489 ـ 498).

11ـ رسالة في علم الشاهدين على الطلاق بالمطلِّق والمطلَّقه معيّناً، تأليف العالم الفاضل الشيخ عبد النبي بن سعد الدين الجزائري الحائري، (ص499 ـ 516).

12ـ الأسئلة للسيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني، وأجوبتها لعلماء السنّة والزيديّة المدنيّين (ص517 ـ 624).

وهي مسائل مختلفة، فقهية وکلامية وغيرها، سألها السيد المدني من عدّة من العلماء من أبناء الفرق الإسلامية الأُخرى، وهم:

أ- الشيخ خالد المکّي المدرّس بالمدينة المشرفة.

ب ـ السيد غضنفر المغلي الحنفي الحسيني المدني.

ج ـ الشيخ محمد بن أبي الخير بن أحمد بن حجر المدني.

د - الملا محمد عاشق بن عمر الحنفي.

هـ ـ الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة القرشي المخزومي الحنفي.

وقد تضمّنت هذه المسألة دعوى الخلاف بين السيد علي بن شدقم المدني مع محمد بن أحمد بن سعد حول ميراث زوجة السيد المدني، وهي أخت المذکور. وقد استفتى فيها السيد علي بن شدقم من عدّة من العلماء من العامّة، فحکموا له على محمد بن أحمد بن سعد، وهم:

أ ـ الملا محمد عاشق بن عمر الحنفي.

ب ـ عبد الرحمن بن عيسى العمري الحنفي.

ج ـ المؤيّد بن صلاح الزيدي.

د ـ محمد بن أحمد المؤيدي الزيدي.

هـ ـ عمر بن عبد الرحيم الحسيني الشافعي.

و ـ عبد القادر بن محمد الحسيني الطبري الشافعي.

13ـ الشهاب الثاقب في تخطئة اليزيدي الناصب، للسيّد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني (ص625 ـ 640).

تحتوي هذه الرسالة على جواب والد المصنّف عن جواز لعن يزيد بن معاوية، ثمّ تفصيل الکلام من قبل المؤلّف.

14ـ أسئلة السيد علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني (ت 1030 ه‍)، (ص641 ـ 659).

وهي تشتمل على ثلاث مسائل: في الوقف على الأولاد، الميراث عن الزوجة، الإقرار.

15ـ إرسال ستائر مقصورة النبيّ إلى مراقد الأئمّة في العراق، (ص660ـ672)، مقال للشيخ الواثقي ذکر فيها نماذج على أنّ الستائر المقصورة في المرقد النبوي کانت ترسل إلى قبور ذريّته وأهل بيته في العراق عند استبدالها بستائر جديدة.

وخير شاهد على ذلك القصيدة التي أنشأها الأديب عبد الباقي العمري الفاروقي (ت 1279 ه‍) في وصف الستر الذي أرسل من الروضة النبويّة إلى مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم.

16ـ الأسئلة للسيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني، وأجوبتها لشيخ الإسلام في إيران المشارك في العلوم الإسلامية الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، المعروف بالبهائي (ت 1030ه‍). (ص 673 ـ 700).

وقد أحصى المحقّق مخطوطات هذه الرسالة، وذکر عشرين مخطوطة لها. وهي ستة أسئلة، وهي في الغالب کلامية.

17ـ الأسئلة الثانية التي أرسلها السيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني إلى الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، إلاّ أنّه لم يعثر على أجوبتها، والظاهر عدم وصول الأسئلة للشيخ، أو عدم وصول الأجوبة للسيد. وهي ثلاثة أسئلة، (ص701 ـ 718).

18ـ رسالة في تطبيق الأوزان الشرعية على الأوزان العرفية في المدينة المنورّة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، تأليف السيد علي بن حسن بن شدقم الحسيني المدني، وعليها تعليقات الفقيه الشيخ محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني (ص719 ـ 746).

وقد أجاب السيد ابن شدقم على تعليقات الشيخ محمد العاملي، وقد علّق الشيخ مرّة أخرى على إشکالاته وأجاب عنها.

19ـ الأسئلة للسيد محمد بن علي بن طرّاد الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني (ت 965 ه‍)، (ص 747 ـ 760).

وهي إحدى وعشرون مسألة فقهية من مختلف أبواب الفقه.

20ـ الأسئلة للشيخ حسين بن ربيعة المدني، وأجوبتها للشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني (ت 965 ه‍)، (ص 761 ـ 768).

وقد أورد المحقق في المقدمة نصّ اجازة الشهيد الثاني للشيخ السائل، وقد أحصى مخطوطاته وهي ثلاثة. وأمّا المسائل فهي عشرون مسألة فقهية.

21ـ الأسئلة للسيد حسن بن شدقم الحسيني المدني، وأجوبتها للشيخ حسين ابن عبدالصمد العاملي والد الشيخ البهائي (ت 984 ه‍)، (ص 769 ـ 810).

أمّا المسائل فهي إحدى عشرة مسألة فقهية، وقد استوفى المحقق في المقدّمة ترجمة السيد حسن بن شدقم المدني من حيث نسبه، وولادته، ونشاطاته، وإحصاء مشايخه، وذکر نصوص إجازات مشايخه له، وهي أربع إجازات من مشايخ ثلاث، وهم: الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، والسيد محمد بن علي الموسوي العاملي صاحب **المدارك**، والشيخ نعمة الله بن خاتون العاملي (إجازتان).

ومن طرائف ترجمة السيد المدني أنّ المحققّ قد أحصى جملة من المخطوطات التي کانت عليها تملّك السيد حسن بن شدقم المدني، کما قد ذکر مؤلفاته ومستنسخاته، وقد تمّ تحقيق هذه الرسالة على ثلاث مخطوطات.

22ـ التراث المدني: تأليف الشيخ حسين الواثقي، (ص 811 ـ 856).

يشتمل هذا المقال على إحصاء الإجازات والمؤلفات والمستنسخات والتصحيحات والتملّکات التي وقعت في المدينة المنوّرة.

أ) الإجازات المدنية: وهي ستّ إجازات.

ب) المؤلّفات المدنية: عشرون کتاباً.

ج) المستنسخات المدنية: 44 کتاباً.

د) مقابلة الکتب في المدينة.

ه‍) تملّکات الکتب في المدينة.

23ـ بعض مدائح النبي وأئمّة أهل البيت المدفونين في بقيع الغرقد. (ص857 ـ 902).

24ـ المناظرة بين الفقيهين حول إکرام السادة الأشراف، (903 ـ 986).

وهذه المناظرة من عيون المراسلات العلمية في القرن الثامن الهجري جرت بين علمين من أعلام الشيعة وهما: الشيخ إبراهيم بن أبي الغيث الشهير بابن الحسام العاملي، والسيد مهنّا بن سنان الحسيني القاضي المدني.

تشتمل الرسالة على المراسلات التالية:

أ) قصيدة إبراهيم بن الحسام العاملي في نقد بعض الأشراف.

ب) قصيدة القاضي السيد مهنّا الحسيني المدني في ردّ قصيدة ابن الحسام العاملي.

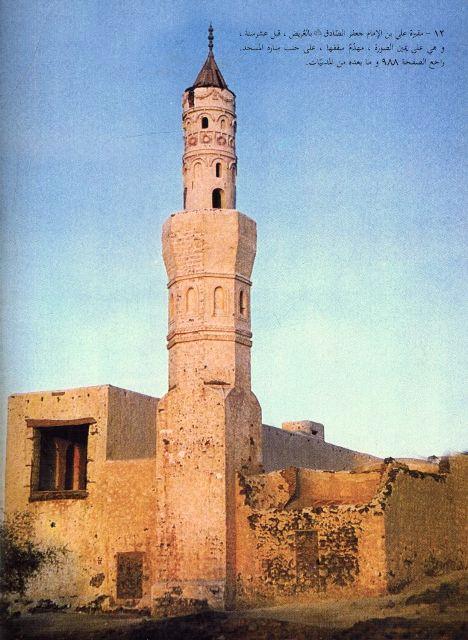
ج) رسالة کشف اليقين في مودّة المتقين وشنآن الفاسقين، لابن الحسام في ردّ رسالة السيد مهنّا الحسيني المدني.

د) رسالة الإيضاح والتبيين بفضل ربّ العالمين علی عباده المطيعين والمذنبين، للسيد مهنّا الحسيني المدني في ردّ رساله کشف اليقين.

وقد مهّد المحقق لهذه المناظرة بتمهيد حسن‌ٍ، استوفى فيها ترجمة کلّ من الشيخ إبراهيم بن الحسام العاملي والسيد مهنّا الحسيني المدني، ومن الجدير بالذکر أنّ للشيخ الواثقي کتاباً مستقلاً في حياة و آثار السيد مهنّا المدني، وفّقه الله لإتمامه وطبعه.

25ـ التعريف ببعض القرى من حوالي المدينة المنورة: العُريض، صريا، العنابة، ساية، (ص 987 ـ 1022).

يتعرّض في هذا المقال بتعريف بعض القرى المجاورة للمدينة المنورة، والتي کان فيها لأئمّة أهل البيت: وشيعتهم دورٌ، وقد جمع شتات هذه المعلومات من مصادر مختلفة.



مقبرة علي العريضي، ابن الإمام جعفر الصادق على جنب مسجد القرية (العُرَيْض)

26ـ الوثائق المدنية، (ص 1023 ـ 1040).

يشتمل هذا المقال على جملة من الوثائق المدنية، منها:

أ) وثيقة استلام الهدية للحرم النبوي، وهي التي أرسلها السلطان حسين بايقرا التيموري بواسطة المولى عبد الرحمن الجامي.

ب) وثائق الوقفية للحرمين الشريفين، ولمرقد الإمام جعفر الصادق وللسادة الأشراف الحسينيّين المدنييّن.

ج) رسالة المحقق الشيخ الواثقي إلى مرکز بحوث المدينة حول التعريف بالثلث الأخير المخطوط من کتاب التحفة اللطيفة للحافظ السخاوي.

27ـ هداية التصديق إلى حکاية الحريق، تأليف: فضل الله بن روز بهان الخُنْجي الإصفهاني (ت 925 ه‍). تحقيق: الأستاذ محمد تقي دانش پژوه، مراجعة: الشيخ حسين الواثقي، (ص 1041 ـ 1076).

وهي رسالة نافعة في تاريخ الحريق الواقع في المسجد النبويّ الشريف، الذي حدث في العشر الأواسط من شهر رمضان المبارك سنة 886 هـ .

28ـ المصاحف الشريفة المخطوطة في خزانة الروضة النبوية، فهرسها: الأميرال أيوب صبري باشا (ت 1308ه‍)، إعداد: الشيخ حسين الواثقي (1077 ـ 1104).

وقد ذيّل المحقّق بالتعريف بالمصحف الکريم بخط الشريف جمّاز بن القاسم أمير المدينة المنورة (حکم سنة 583 ـ 612 ه‍ ).

29ـ الشمّامة المهداة من السلطان الصفوي العلوي إلى روضة النبي9، (ص 1105 ـ 1150).

تتحدّث هذه الرسالة عن حادثة تاريخية وقعت في المدينة المنورة، ملخّصها: إنّ السلطان حسين الصفوي الهاشمي، (حكم من 1105 ـ 1135هـ)، نذر لله تعالى أن يصنع شمّامة فاخرة للروضة النبويّة الطاهرة، وقد بذل فيها أموالاً طائلة واستخدم الفنّانين المهرة، وصنعت من الذهب الخالص، وحشيت عنبراً طيباً، وتزينت بمئات الأحجار الثمينة التي لاتوجد إلاّ في خزائن الملوك.

واتصل بالحكومة العثمانية آنذاك وأخذ الموافقة من السلطان مصطفى خان العثماني، (حكم من 1106ـ 1115هـ)، وبعد إتمام صنع الشمّامة أرسلت إلى المدينة المنوّرة، لكن منع شيخ الحرم نصبها، إلاّ بموافقة السلطان العثماني الجديد وهو أحمد خان الثالث (حكم من 1115ـ 1143هـ)، فامتنع الحاكم، فكتب السلطان الصفوي إلى العثماني ثانياً، وأوضح له قصّة الشمّامة وإذن السلطان السابق، وقيمة الشمّامة، فوافق السلطان العثماني.

لكن لمّا فتحوا الصندوق وجدوه خالياً، فاضطرب لذلك متولي الحرم والقضاة، ولمّا اُخبر السلطان العثماني شدّد النكير عليهم، فعُلم أنّ السارق نفرٌ من خدمة الحرم الشريف، واسترجع بعض قطعات منها، وأمر السلطان العثماني بصياغتها من جديد.

وهذه القصة طالت لسنوات حتى سنة 1120هـ ، وقد اعتمد الشيخ الواثقي في تحقيق ودراسة الموضوع على:

1. رسالة كسر الشمّامة للشيخين كرامة، لعمر بن علي السمهودي المدني، (ت 1157هـ).

2. ثلاثة نصوص تاريخية مهمة عن واقعة الشمّامة، وهي: كتاب حكّام مكة، لجيرالد دي غوري، وكتاب تنضيد العقود السنيّة بتمهيد الدولة الحسنيّة، للسيد رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر الموسوي العاملي المكّي، وكتاب الأخبار الغريبة، لعبد الرحمن بن حسين الأنصاري المدني.

3. وثيقتان من الأرشيف العثماني حول وضع الشمّامة المذكورة في الروضة النبوية ومحاكمة السارقين والمتهاونين في موضوع الشمّامة.

ولقد أشبع المحقق الدراسة حول هذا الموضوع حتّى الثمالة ـ كما يقولون ـ، ولكن دراسة هذه الواقعة تبيّن المواجهة السلبية غير الحميدة والموقف المخزي تجاه هذه الشمّامة الجليلة، والثمينة الفاخرة، وما ذلك إلاّ نتيجة التعصّب الطائفي المقيت، ممّا ينبغي أن يتنزّه عنها المسلمون، ويجعلوا من الثوابت الدينية والقواسم المشتركة حصناً للأُلفة والمحبّة.

ثم استدرك المحقق على موضوع الشمّامة بأبيات أربعة منظومة في تاريخها بحساب الجُمَّل، وجدها في المخطوطتين وهي:

## زادَ الإلهُ مِن كَرَم‌ٍ خَيرَ عَبْدِهِ

## سلطانْ حسيْن واقفَ هذاَ الْمُعَنْبَر‌ِ

## طابتْ لَهُ الْمَثُوبَةُ مِنْ وَقْفِهِ عَلىَ

## مَثْوَى نَبيِّهِ وَثَرَاهُ الْمُعَطَّر‌ِ

## فَاحتْ بذاَ شَمَائِمُ آثار‌ِ عَبْدِه الْ

## ـمحمود نالَ خيرَ جزاءٍ بمحْشَر‌ِ

## رَصِّعْ لعام‌ِ زينتِهِ النَّظْمَ ثمّ قلْ

## <قدْ زانَ بالجواهِر‌ِ شَمَّامُ عنبر‌ِ>؛ (سنة 1113هـ).

وقد طبعت هذه الأبيات في آخر المجلّد السادس من موسوعة ذخائر الحرمين الشريفين.

30ـ رساله أمّهات النبي9، للشيخ أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، ت 245 ه‍ ، (ص 1151 ـ 1160). طبعة مصوَّرة ملوَّنة عن مخطوطة قديمة فريدة.

31ـ المستدرك على التراث المکي، تأليف الشيخ حسين الواثقي (ص 1161ـ 1234‍).

وقد ذکر في هذا المستدرك ما عثر عليه في المکتبات بعد طبع کتاب التراث المکي، وإليكم تفاصيله:

أ) تقريظ العلامة السيد عبد الستار الحسني على کتاب التراث المکي.

ب) المستدرك على الإجازات المکيّة، وفيه ثمان إجازات.

ج) المستدرك علی المستنسخات المکيّة، وفيه 47 کتاباً.

د) المستدرك علی المستنسخات في الطائف.

ه‍) المستدرك على المؤلفات المکية، وفيه 9 کتب.

و) المستدرك على التملّکات في مکّة المکرّمة.

ز) المستدرك على المقابلة والتصحيح في مکة المکرمة.

ح) المستدرك علی المؤلفات في طريق مکة المعظمة.

ط) المستدرك علی المستنسخات في طريق الحج.

ي) المستدرك علی الکتب التي اقترح تأليفها في مکة المعظمة.

ك) الکتب التي ألّفت لأجل آل أبي نمي الحاکمين بمکة المعظمة، وهي 14 كتاباً.

وقد ختم المحقق الکتاب بفهارس فنيّة تسعة، للاطلاع أکثر على محتويات الکتاب.

وقد زيّن الکتاب التصاوير الملونة الجميلة في آخر الکتاب هي خمسة عشر تصويراً.

## خصائص الکتاب:

إنّ نظرة خاطفة في هذا الکتاب الثمين تبرز أهميّته من عدّة جهات، يمکن أن نعدّ منها مايلي:

1. الأعمّ الأغلب من المنشور في الکتاب هو مما يطبع ويحقّق لأوّل مرّة، بل إنّ بعض بحوثه قد أخرج من کتم العدم.

2. من الجهات المهمّة في الکتاب هو التأسيس، فإنّ المؤلف (حفظه الله) في مشروعه «**سلسلة ذخائر الحرمين**» عامّة وفي هذا الکتاب خاصّة يعدّ رائداً في بابه.

3. ومن ميزات الکتاب هو اعتماده على المخطوطات، فقد راجع المؤلّف في تحقيق وتأليف الکتاب إلى مخطوطات كثيرة من عشرات المکتبات، مضافاً إلى الطبعات الحجرية والقديمة، وهو أمر صعب يدلّ على همّة المؤلف القعساء.

ونحن في دراساتنا المعاصرة نفتقد ظاهرة الرجوع إلى المخطوط، وقلّما نجد باحثاً يعتمد على المخطوط کما يعتمد على المطبوع، فلا شك أنّ تراثنا المخطوط أضعاف مضاعفة بالقياس إلى ما طبع منه.

4. تنوّع البحوث والمطالب في الکتاب، ممّا يعطيه صفة «**دائرة معارف**» شيعيّة صغيرة، فما ورد في الکتاب دخيل في علوم عديدة، ويمکن الاستفادة منه في مجال البحث عن المدينة المنورة، تاريخياً، ثقافيّاً، رجالياً وتراجميّاً، سياسياً، جغرافياً... وغير ذلك.

5. من مميّزات الکتاب الممتازة هو عدم الأخطاء المطبعيّة فيه، وهي إن لم تکن معدومة في الکتاب فهي أندر من النادر، ممّا يعزّ مثيله في کتاب يشتمل على أکثر من ألف ومئتي صفحة.

## إطلالة على التراث المدني:

من خلال تصفّح کتاب المدنيّات، وجولة سريعة في رياضها الممتعة يقف القارئ الکريم، على معلومات ثمينة حول تاريخ الشيعة في المدينة المنورّة، والصلات الثقافية بينها وبين سائر البلدان، وتاريخ الحوزة العلمية العريقة في هذه البلدة الطيّبة، وسوف نذکر في ضمن أمور موارد تستحق البحث والتحقيق:

أولاً: حضور الشيعة الفعّال والنشيط في هذه البلدة، مدينة رسول الله ولاغرو في ذلك، فأئمّتهم و سادتهم أهل بيت رسول الله و ذرّيته هم من هذه البلدة المکرّمة، وإن طالتهم يد الظلم والجور عليهم، فأبعد بعضهم عن مدينة جدّهم النبي الأکرم9.

ثانياً: النشاط العلمي والثقافي لعلماء الشيعة، ووجود الحوزة العلميّة فيها، فقد عمّرها علماؤنا بالدرس والتدريس، والبحث والتأليف، إلى جانب العبادة والنسك، في جوار مرقد النبيّ الأکرم9، على مدى قرون متواصلة.

ويلاحظ قوّة هذا النشاط العلمي خاصّة في القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، وازدحام الحوزة المدنيّة بعلماء الشيعة ورجالها وأعلامها.

ثالثاً: وجود الأُسر العلمية المدنيّة التي ورثت العلم من أسلافهم، وأورثته لمن خلفهم وهم في الأغلب من الأُسر العلوية الهاشميّه، مثل آل شدقم الحسينيين، فقد زخرت بالعلماء والفقهاء والأُدباء، وکان لهذه الأُسر دورٌ بالغ الأهمية في استمرار الحوزة العلمية وإعمارها بالعلم والعبادة والتقوى.

وذلك على خلاف علمائنا المکّيين، فهم في الأعمّ الأغلب من بلدان أخرى، هاجروا إلى البلد الحرام، واتّخذوا من بيت الله جواراً ومن مقام إبراهيم مصلّى.

لكن ممّا يوسف له أنّ رجال هاتين الحوزتين هم من العلماء المغمورين، ممّن خفيت أخبارهم، واندرست آثارهم، فأحيا الشيخ الواثقي بمشروعه ذكرهم، وجدّد رمسهم.

رابعاً: الصلات الثقافية والعلمية بين علماء المدينة وعلماء سائر البلدان، خاصّة أعلام الطائفة، ممّن عليهم المعوّل في الفتيا والأحکام، وخير شاهد على ذلك کثرة الأسئلة من العلماء المدنيّين المتمرّسين في الفقه والعلوم الإسلاميّة، والأجوبة من الفقهاء الكبار، والرسائل العلمية المتبادلة بين علماء المدينة، وعلماء سائر البلدان، نحو إيران والعراق وجبل عامل.

فعلى سبيل المثال:

1ـ أسئلة السيد محمد بن شدقم وأخيه السيد علي من السيد محمد الموسوي العاملي.

2ـ أسئلة السيد محمد بن شدقم وأخيه السيد علي من الشيخ حسن بن الشهيد الثاني، صاحب **المعالم**.

3ـ أسئلة السيد علي بن شدقم من الشيخ محمد بن حسن بن الشهيد الثاني.

4ـ أسئلة السيد علي بن شدقم من الشيخ بهاء الدين العاملي شيخ الإسلام في إيران.

5ـ أسئلة السيد حسن بن شدقم ـ والد السيد علي والسيد محمد ـ من الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي والد الشيخ البهائي.

وجميع هذه الأسئلة والأجوبة مطبوعة في هذا الکتاب، وهناك الکثير ممّا ذکر اسمه فيه.

ثمّ إنّ التأمّل في طيّات هذه الأسئلة والأجوبة والمکاتبات المتبادلة بين هؤلاء الأعلام التي کانت في الأعمّ الأغلب فقهية استدلالية تکشف عن قوّة الأواصر العلمية بين حوزة المدينة المنورّة وسائر الأقطار، وغير ذلك من الدلالات والإشارات ممّا يفتقر إلى البحث والدراسة.

خامساً: الموقوفات الشيعية على الحرمين الشريفين وزائريهما ومجاوريهما، تنمّ عن اهتمام علمائنا وأعلامنا الأبرار، وعلقتهم الشديدة بحرم الله وحرم رسوله.

ولاحظ على سبيل المثال عدّة من الوقفيات على مراقد الأئمّة الأطهار في بقيع الغرقد في کتاب المدنيّات، (ج2، ص 1030 ـ 1037).

سادساً: کثرة التأليف والتصنيف في تقرير رحلات الحجّ، نظماً ونثراً، ممّا يدلّ على اهتمامهم بهذه الرحلات المقدسة والشاقّة في الوقت نفسه، وأهمية هذه الرحلات ممّا تعکس من تاريخ الحرمين الشريفين وارتباطهما بسائر البلدان.

سابعاً: التعايش السلمي بين أبناء الأمّة الإسلامية من مختلف الطوائف في حرم الله الذي جعله أمنا وأماناً على زائريه ومجاوريه، والحرم النبويّ الشريف، والاحتکاك العلمي السليم بين علماء المذاهب الإسلامية، وتبادل العلم درساً وتدريساً، وأخذاً وعطاءاًً.

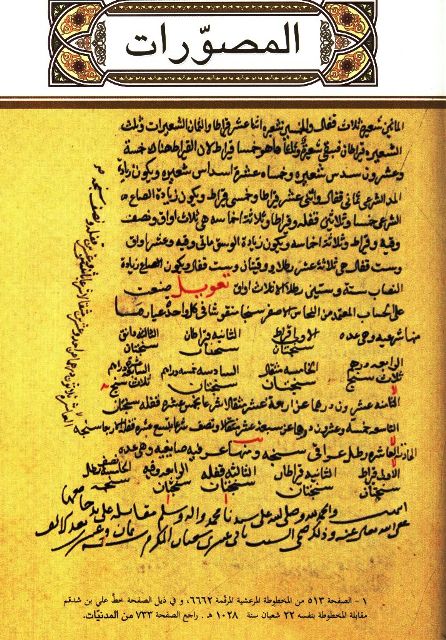
لاحظ على سبيل المثال الأسئلة والأجوبة بين السيد علي بن حسن بن شدقم المدني الحسيني وعلماء سائر المذاهب من أهل السنة والزيدية. (المدنيات، ج1، ص 517 ـ 624).

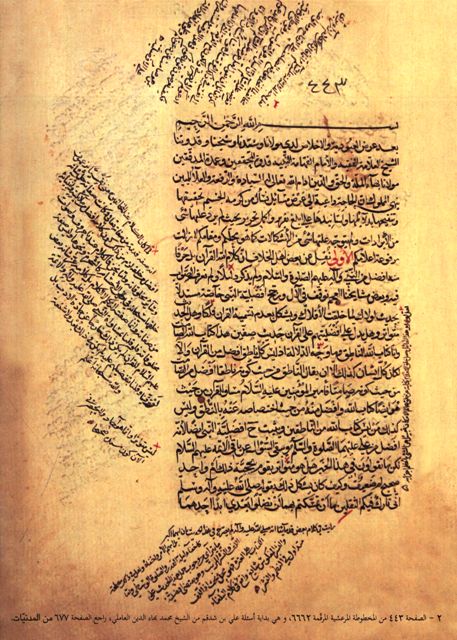
ثامناً: العلاقات السياسيّة والاجتماعية بين الشيعة وأعلامهم، وبين حکّام المدينة المنورة أو حکّام البلاد الإسلامية.

تاسعاً: إرسال الهدايا إلى الحرم النبوي الشريف، من قبل السلاطين والحکّام وغيرهم، نحو اللوحة الحجرية الجميلة التي نحتها الميرزا محمدعلي سنگلاخ الخراساني، والشمامة المهداة من السلطان الصفوي. (المدنيات، ج2، ص1105ـ1150).

عاشراً: الروابط العلمية بين علماء الحرمين الشريفين، والصلات الثقافية والعلمية بين مكة والمدينة، نحو مناظرة القاضي السيد مهنّا بن سنان الحسيني المدني، (المدنيّات ، ج2، ص 947 ـ 986)، ونحو المناقشات العلمية بين السيد محمد بن جويبر المدني والسيد علي بن شدقم المدني. (المدنيّات، ج1، ص 244 ـ 245).

# 







# C:\Users\meqdadi\Desktop\12.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\5.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\11.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\10.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\9.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\8.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\7.jpg

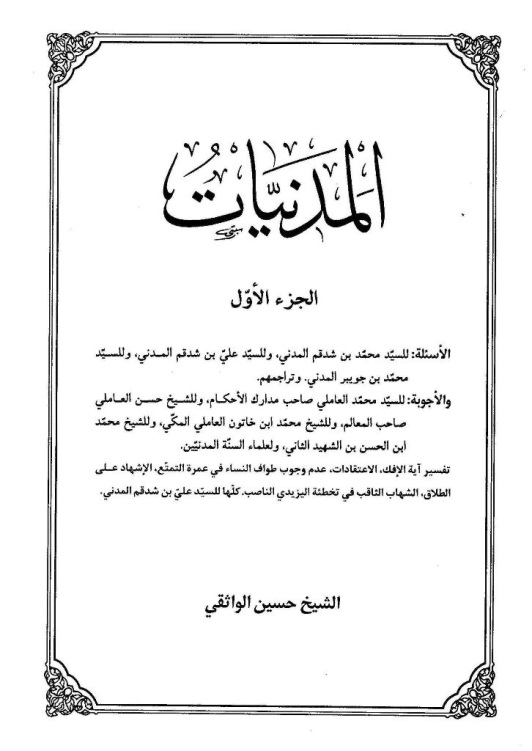
# C:\Users\meqdadi\Desktop\6.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_hKINQE7s.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\3.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\2.jpg

# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\1.jpg



# C:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_kD2JJONI.jpgC:\Users\meqdadi\Desktop\Miqat 46\899716_Z42ILRpq.jpg

# 

# مقتطفات‌من‌رحلة‌الحجّ، للقندهاري(3)

# المشاعر والأماكن المقدسة في‌مكةالمكرّمة

تحقيق: أحمد خامه يار

## في بيان مواضع أعمال الحجّ والعمرة ومواضع استجابة الدُّعاء في مِنى وعرفات

الحَجّ بفتح الحاء لا بكسرها في الأشهر وعكسه شهر الحجّة، وكسره صاحب الفروغ، ومعناه في اللّغة كَثرَة القصد إلى مَنْ تعظِّمه من قولك: حججتُ فلاناً، أي عدتُ إليه مرّةً بعد أخرى، وحكي ذلك عن الخليل. قال الجوهري: ثمَّ تعوّد استعماله في القصد إلى مكّة الشريفة للنّسك. وقال الكندي: الحَجّ القصد، ثمَّ خُصّ كالصلاة وغيرها. قال المُخَبَّل السَّعْدي وهو كعب بن ربيعة[[223]](#footnote-223):

#### (شعر)[[224]](#footnote-224)

#### ألم تعلمي يا أمّ عَمْرة أنّني \* تخطأني رَ يب المنون[[225]](#footnote-225) الأكبرا

#### وأشهد من عوف‌ٍ حلولاً كثيرة \* يحجّون سبّ الزّبرقان المزعفرا

أي يقصدونه ويختلفون إليه، والسّبّ بكسر السِّين المهملة وتشديد الموحّدة: العمامة، وفي بعض النسخ بدله: البيت، والزِّبرقان بكسر الزّاي المعجمة: لقب حُصين بن بدر بن امرء القيس الفزاري، وسمّيَ به تشبيهاً له بالقمر لحُسنه وجماله، وكانت له عمامة صفراء مزبرقة بالزعفران أي مصبوغة، وكان يرفع له بيت من عمائم وثياب وتنضح بالزّعفران والطِّيب، وكانت بنو تميم تحجّ ذلك البيت، والحجّ: القدوم؛ يُقال: حجَّ علينا فلانٌ إذا قدِم، ويُقال: حججتُ بيت الله، أي قصدتُه أو قدمتُ إليه لأفعال النّسك.

قال الجوهري: قد نسك وتنسّك أي تعبّد، ونسك بالضّمّ نساكةً أي صار ناسكاً، والنّسك والنّاسك في الأصل من النّسيكة، وهي الذبيحة التقرُّب بها ثمَّ اتّسع عنه فصار اسماً للعبادة والطّاعة، ومنه قيل للوليّ ناسك.

وقال صاحب المطالع: المناسك مواضع متعبّدات الحجّ، فالمناسك إذاً المتعبّدات كلّها، وقد غلب إطلاقها على أفعال الحَجّ لكثرة أنواعها، والمناسك جمع مَنْسَك بفتح السين وكسرها؛ فبالفتح مصدر وبالكسر اسم لموضع النّسك، وهو مسموع وقياسه الفتح في المصدر والمكان، ومعناه الشرعي قصد مكّة المشرّفة لعمل مخصوص في زمان مخصوص.

والعُمرَة لغةً: الزيارة، يُقال: اعتمره، أي زاره، ثمَّ صار عرفاً في زيارة البيت الشريف على وجه مخصوص. قال ابن أحمر[[226]](#footnote-226):

## يُهِلُّ بِالفَرقَدِ رُكباناً[[227]](#footnote-227) \* كَما يُهلُّ الرّاكِبُ المُعتَمِرْ[[228]](#footnote-228)

وفي الشرع عبارة عن أفعالها المخصوصة المذكورة في مواضعها كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

## صِفَةُ مِنى

مِنى بكسر الميم وفتح النون المخفّفة والقصر، والغالب عليها التذكير والصّرف، وقد يكتب بالألف، اسم بليدة.

قال ياقوت في «معجم البلدان»: قال ابن شُمَيل: سُمّيت بمنى لأنّ الكبش مُنِيَ بها أي ذُبح. وهي على فرسخ من مكّة، طولها ميلان، تعمّر أيّام الموسم وتخلو بقيّة السنة إلاّ ممّن يحفظها. وعلى رأس مِنى من نحو مكّة عقبة تُرمى عليها الجمرة يوم النّحر، ومِنى شِعبان بينهما أزقّة، والمسجد في الشارع الأيمن ومسجد الكبش بقرب العقبة، وبها مصانع وآبار وحوانيت، وهي بين جَبَلَين مُطلّين عليها.[[229]](#footnote-229)

وذكرَ الزّركشي في كتابه «إعلام الساجد في أحكام المساجد» أنّ حدود مِنى ما بين جمرة العقبة ووادي محسّر، وليس الجمرة ولا وادي محسّر من مِنى، انتهى. وقال الطَّبري: إنّ العقبة من مِنى ولم يُنقل عن أحد أنّ الجمرة ليست من مِنى. وفي صحيح مسلم من حديث الفضل بن عبّاس، أنّ وادي محسّر من مِنى، ومِنى من الحَرَم بلا خلاف، وما أقبلَ من الجبال على مِنى فهو منها.[[230]](#footnote-230)

وقال النّابلسي: وجمرة العقبة حدّ مِنى من الغرب وليست من مِنى، وهي التي بايعَ النبي عندها الأنصار على الإسلام والهجرة.

وللشّهاب ابن أبي حجلة:

## شكرت إلهي بعد حلقي في مِنى \* بيوم حمدنا في صبيحته القِرى

## ولو أنّ لي في كلّ مَنْبَت شعرةً \* لساناً يبثّ الشُّكرَ كنتُ مُقصّراً

وقال النّووي في تهذيب الأسماء: وهي ـ أي مِنى ـ شِعبٌ ممدودٌ بين جبلين أحدهما ثَبير والآخر الصّانع،[[231]](#footnote-231) قال: وحدّها من جهة الغرب وجهة مكّة جمرة العقبة، ومن الشرق وجهة مزدلفة وعرفات بطن المسيل إذا هبطت من وادي محسّر.[[232]](#footnote-232)

وقال بعض المصنّفين في هذا: ذرع مِنى من جمرة العقبة إلى وادي محسّر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع، قال: وعرض مِنى من مؤخّر المسجد الذي يلي الجبل لحذاه ألف ذراع وثلاثمائة ذراع، قال: ومن جمرة العقبة إلى الجمرة الوسطى أربعمائة ذراع وسبع وثمانون ذراعاً، ومن الجمرة الوسطى إلى الجمرة التي تَلِي المسجد الخيف ثلاثمائة ذراع وخمس أذرع، ومن الجمرة التي تلي مسجد الخيف إلى وسط أبواب المسجد ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وإحدى وعشرون ذراعاً، انتهى.

قال الفاسي: ومن حدّ باب بني شيبة إلى أعلى العقبة التي في حدّ مِنى ثلاث عشرة ألف ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمان وستّون ذراعاً.

## وبمنى آيات:

منها: رفع ما تقبّل من حصى الجمار بمنى ولولا ذلك لسدّ ما بين الجبلين. وقد رُوي عن الشيخ أبي النعمان التبريزي شيخ الحرم ومفتيه أنّه شاهد حصى الجمار وهو يُرفَع عياناً.

ومنها: اتّساعها للحجّاج في أيّام الحاجّ مع ضيقها في الأعين عن ذلك.

روى أبو داود عن النبيّ قال: قلنا: يا رسول الله إنّ أمر مِنى لعجيب، هي ضيّقة فإذا نزلها الناس اتّسعت، فقال: إنّما مَثَل مِنى كالرّحم إذا حملت وسّعها الله.

ومنها: كون الحدأة لا تخطف اللّحم بمِنى أيّام التشريق وذلك على خلاف عادتها في غير هذه الأيّام.

ومنها: أنّ الذُّباب لا يقع في الطّعام وإن كان لا ينفكّ عنها غالباً كالعسل.

ومنها: قلّة البعوض أيّام الحَجّ.[[233]](#footnote-233)

مسجد الكبش: وهو على يسار الصّاعد إلى عرفة بسفح جبل ثبير، وهو معروف إلاّ أنه الآن خراب، عمَّر الله مَنْ عمّرهُ.

مسجد النّحر: وهو بين الجمرتين الأُولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة، يُقال إنّ النبيّ صلّى فيه الضحاء ونحرَ هَدْيَه عنده، وهذا مكتوب في حجر هناك.

وقال القطب: نحرَ فيه النبيّ في حجّة الوداع ثلاثاً وثلاثين بُدنة، وأمرَ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب أن يُكمِل نحر تتمّة مائة بدنة عنه، وهو مسجدٌ مشهور غير أنّه الآن داثر، عمَّر الله مَنْ عمَّرهُ.

## ذِكر عَرفات مَوضِع وقوف الحجيج

على اثنى عشر ميلاً من مكّة، ويُعرَب إعراب مسلمات، ويوم عرفة غير منوّن ولا تدخله الألف واللاّم، وهو تاسع ذي الحجّة، وهما ممنوعتان من الصَّرْف للتأنيث والعَلَميّة، والتنوين في عرفات ليس بتنوين صرف. واختلفوا في عرفة هل هي اسم مكان أو زمان؟

فبالأوّل قال صاحب المحكم والنّووي في التهذيب والمطرزي في المغرب وابن الحاجب واللّفظ له فقال: «عرفة وعرفات جميعاً عَلَمان لهذا المكان المخصوص»، انتهى. وعلى هذا إضافة اليوم إلى عرفة كإضافته إلى حُنين في يوم حُنين.

وبالثاني قال الفَرّاء وصاحب القاموس والطّبرسي في مجمع البيان واللّفظ له قال: «وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها، ويوم عرفة يوم الوقوف بها»، انتهى. وعلى هذا فإضافة يوم إلى عرفة كإضافته إلى عروبة وهي اسم للجمعة كقول الشاعر: «يومٌ كيوم عروبة المتطاول».

سُمِّيَتْ عرفة لتعارف آدم وحوّا فيها، لأنّ آدم اُهبط إلى الهند وحوّا إلى جدّة فتعارفا بالموقف، وقيل لتعريف جبرئيل المناسك بها للخليل، وقيل لاعتراف الناس بها بذنوبهم.

قال في «إعلام الساجد»[[234]](#footnote-234): عرفات لها أربع حدود: أحدها ينتهي إلى جادّة طريق السَّر‌ِفْ ـ ككَتِفْ بمُهملتين‌ـ ،[[235]](#footnote-235) موضع قُرب تنعيم؛ والثاني إلى حافّات الجبل الّذي وراء أرض عرفات؛ والثالث إلى البساتين،[[236]](#footnote-236) التي [تلي][[237]](#footnote-237) قرية عرفة، وهذه القرية على يسار مستقبل الكعبة إذا وقف بأرض عرفة؛ والرابع ينتهي إلى وادي عُرَنة بالنّون كهمزة. وليس من عرفات وادي عرنة ولا نمرة، ولا المسجد الّذي يصلّي فيه الإمام المسمّى بمسجد إبراهيم، بل هذه المواضع خارج عرفات على طريقها الغربي ممّا يلي مزدلفة ومِنى ومكّة، وما ذكرناه من كون المسجد ليس من عرفات هو الّذي عليه الشّافعي.

وقال الشيخ أبو محمّد الجويني ـ والد إمام الحرمين‌ـ[[238]](#footnote-238): مقدّم هذا المسجد في طرف وادي عرفة،[[239]](#footnote-239) لا في عرفات، وآخره في عرفات، قال: فمن وقف في مقدّم المسجد لم يصحّ وقوفه، ومن وقف في آخره صحّ، ولعلّه زيد بعد الشافعي في أرض عرفات هذا القَدر المذكور في آخره، وبين المسجد والجبل الّذي بوسط عرفات المسمّى بجبل الرّحمة قدر ميل، وعرفات ليست من الحرم، ومنتهى الحرم من مكّة تلك الجهة عند العَلَمَين المنصوبين عند سهم المأزمين وهما ظاهران.[[240]](#footnote-240)

أمّا مسجد نَمِرة بفتح النون وكسر الميم بعدها راء مهملة، قال في القاموس: نمرة كفرحة، موضع بعرفات، إلى أن قال: ومسجدها معروف. وفي المصباح: ونمرة أيضاً موضع قيل من عرفات وقيل بقربها خارج عنها.

قال القطب في «الإعلام» أنه ـ يعني السلطان قايتباي،[[241]](#footnote-241) ـ عمّر مسجد نمرة في عرفة، وهو المسجد الّذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر جمع تقديم في يوم عرفة للحجّاج المُحرمِين في ذلك الآن ولا يجمع عند أبي حنيفة في غير ذلك الحال جمع تقديم إلاّ في ذلك المسجد ولا جمع تأخير إلاّ في مزدلفة بين المغرب والعشاء للحجّاج، انتهى.[[242]](#footnote-242)

أقول: وأمّا قوله: لا يجمع عند أبي حنيفة إلاّ في ذلك المسجد، ليس بصحيح لأنّ شرط جمع التقديم هو عرفة من غير ذكر تعيين لمسجد نمرة في كتب علماء الحنفيّة،[[243]](#footnote-243) وحيث وقع الاختلاف في مسجد نمرة ومسجد إبراهيم هل هما من عرفات أم لا، فالجمع في أحدهما بين صلاتي الظهر والعصر مشكل فإنّ شرط هذا الجمع عند أبي حنيفة الوقت وهو يوم عرفة والمكان وهو عرفة والإحرام، فلا يصحّ الجمع في غير عرفات.

وأمّا قوله: ولا جمع تأخير إلاّ في المُزدلِفة بين المغرب والعشاء للحجّاج، فإنّ قوله للحجّاج لغوٌ لأنّه ليس بشرط عنده وهو عند جمع بسبب النّسك فيجوز لأهل مكّة ومزدلفة ومِنى وغيرهم، والصحيح من مذهب الشافعي أنه جمع بسبب السفر فلا يجوز إلاّ للمسافر.[[244]](#footnote-244)

ومن الألغاز المستظرفة في الجمع بمنى والمزدلفة قول العلاّمة مُحبّ الدين بن راشد[[245]](#footnote-245) السّبتي:

## (شعر)[[246]](#footnote-246)

## ما[[247]](#footnote-247) اسمُ أرض‌ٍ فريدٍ \* و إن تشأ فهو جمعٌ

## وفيه للفضل[[248]](#footnote-248) وقفٌ \* وفيه للحرف دفعٌ

## وفيه للجمع صرفٌ \* وفيه للصّرف منعٌ؟

ومن أسماء عرفة: «يوم الكمال ويوم التّمام»، لأنّ الله تعالى أكملَ فيه الدين وأتمَّ فيه النِّعمَة للمسلمين، ومن أسمائه: «يوم الحَجّ الأكبر»، لما روي أنّه خطبَ بعرفة فقال: إنّ هذا يوم الحَجّ الأكبر، وقال في آخر الخطبة: إنّ الوقفة يوم الجمعة ـ يعني في عرفة ـ تعدل سبعين حجّة، وهو الحَجّ الأكبر، فللّه المنّة كانت وقفتي،[[249]](#footnote-249) يوم الجمعة مثل ما كان لرسول الله.

ومن أسمائه: «المشهود»، لقوله تعالى: وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ،[[250]](#footnote-250) لما أخرجه الترمذي في جامعه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: اليوم الموعود يوم القيامة، ويوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة. ولله الحمد صارَ لي يوم الشاهد والمشهود متحداً كما في حجّة الوداع لرسول الله.

## صِفَة المُزدلفَة

وأمّا المزدلفة بضمّ الميم وسكون الزّاي المعجمة فموضِعٌ بين عرفات ومِنى لأنّه يتقرّب فيها إلى الله، أو لاقتراب الناس إلى مِنى بعد الإفاضة، أو لمجيء الناس إليها في زُلف اللّيل يرجع الحاجّ إلى المزدلفة من طريق المأزمين بين العَلَمين دون طريق ضبّ. في المصباح: المأزم الطريق الضيّق بين الجَبَلَين، إلى أن قال: ويقال للموضع الذي بين عرفة والمشعر الحرام مأزمان.

وضبّ بضاد معجمة بعدها موحّدة اسم جبل يلحقه مسجد الخيف في وادي مِنى، وطول المزدلفة من طرف وادي محسّر الّذي يليها إلى أوّل المأزمين ممّا يليها سبع آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً وأربعة أسباع ذراع، ويكون ذلك ميلين وخُمس ميل وأربع أخماس سبع ميل وأربعة أسباع عشر سبع خمس ميل،[[251]](#footnote-251) ومن حدّ باب بني شيبة إلى حدّ مزدلفة من جهة مِنى عشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وسبع أذرع وثلاثة أسباع ذراع، ويكون ذلك خمسة أميال وستّة أسباع ميل وسبعة أعشار عشر سبع خمس ميل وثلاثة أسباع عشر عشر سبع خمس ميل،[[252]](#footnote-252) تقريباً.

## صِفَة المشعَر الحَرام

وأما المشعر الحرام، ويقال له جبل قُزَح ـ بقاف مضمومة ثمَّ زاي معجمة مفتوحة وحاء مهملة ـ، فهو جبل صغير من المزدلفة، وهو آخرها وليس من مِنى، ويُقال له موقف المزدلفة.

وقال في المغرب: والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة واسمه قزح، يقف عليه الإمام وعليه المئقدة يعني كانون آدم، وعنده ـ أي المشعر الحرام ـ يستحبّ الوقوف للحجّاج كي يدعوا ويذكروا عنده.

المحسّر: هو الموضع الذي يستحبّ للحجّاج الإسراع فيه، وهو واد عند المكان الذي يقال له المهلّل لأنّ الناس إذا وصلوا إليه في حجّهم هلّلوا وأسرعوا السَّيْر في الوادي المتّصل به، والمهلّل المشار إليه كان مُرتَفَعاً عنده بركتان معطّلتان بلحف قرن جبل عال ويتّصل بها آثار حائط ويكون ذلك عن يمين الذاهب إلى عرفة ويسار الذاهب إلى مِنى.

## صِفَة العَقَبَة

وأمّا العقبة فقال ياقوت في «المشترك»: والعقبة بالتحريك خمسة مواضع، والمذكور منها ما كان كالعلم بالغَلَبَة، منها العقبة التي بُويع عندها رسول الله بمكّة في سنة إحدى عشرة للنُبُوّة، قبل الهجرة بعامين، وهي بين مكّة ومِنى، بينها وبين مكّة نحو ميلين، وعندها مسجد ومنها تُرمى جَمْرَة العقبة، انتهى.[[253]](#footnote-253)

وللصّلاح الصّفدي:

## (شعر)

## قد رميت الشيطان في يوم حجّي \* بجمار في طاعة الرّحمنِ

## وعجيب إن لم يكن قد تلظّى \* وهي سبعون جمرة في العِيان

قال في «منائح الكرم»: وذكر الفاسي عن الأزرقي أنّ جمرة العقبة زالت عن موضعها الأصلي، أزالها جُهّال الناس برميهم الحصباء[[254]](#footnote-254) في غير محلّه، فردّها إلى موضعها الأصلي إسحاق بن سَلَمة الصّائغ الذي أرسله المتوكِّل، وبنى وراءها جداراً ومسجداً متّصلاً بذلك الجدار، لأنْ لا يصل إلى أعلاها مَنْ يُريد الرمي، لأنّ السُّنَّة في الرّمي أن يكون من بطن الوادي، انتهى.[[255]](#footnote-255)

## صِفَة مسجد الخَيْف

وأما مسجد الخيف، فقال الشيخ عبد القادر الحنبلي في كتابه «دُرر الفرائد المنظّمة في أخبار مكّة المعظّمة»: قال أهل اللّغة: الخيفُ ما انحدر عن غِلَظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وبه سُمّي مسجد الخيف، فهو مسجد بمنى عظيمٌ واسعٌ، فيه عشرون باباً.[[256]](#footnote-256)

وهو مسجد عظيم الفضل، وقد ورد في فضله أحاديث وآثار كثيرة، فمن ذلك ما أخرجه الطّبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة: قال رسول الله: «لا تُشَدّ الرِّحال إلاّ لثلاثة مساجد: مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدي».

قلتُ: إسناده ضعيف كما نصَّ عليه الحُفّاظ، وإنّما ذَكَرْتُهُ لغرابته ولجواز العمل به في فضائل الأعمال كما ذكره النّووي.

وأخرج أيضاً في معجمه الكبير عن ابن عبّاس عنه أنه قال: <صلّى في مسجد الخيف سبعون نبيّاً>. قلتُ: وفي زبدة الأعمال: كلّهم مخطمون بالليف. قال مروان: يعني رواحلهم.[[257]](#footnote-257)

وعن الإمام جعفر بن محمّد ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: أنه صلّى فيه ألف نبيّ، مَنْ صلّى فيه مائة ركعة عدلت عبادة سبعين عاماً.

وقال القطب المكّي في كتابه «الإعلام» عند ذكر السلطان قايتباي[[258]](#footnote-258) من ملوك الجراكسة: وفي آخر سنة أربع وسبعين ـ بتقديم السين ـ وثمانمائة والتي قبلها بنى السلطان مسجد الخيف بناءً عظيماً مُحكماً، وجعل في وسط المسجد قبّة عظيمة هي حدّ مسجد رسول الله في خيف مِنى، وبُنيت جدرانه المحيطة به، وبنى أربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبّة عالية فيها محراب النبيّ، وبلصق القبّة مأذنة غير المأذنة التي على عقد باب المسجد]أدى مهندسها فيها الصناعة العظيمة، حيث جعلها على باب المسجد[،[[259]](#footnote-259) بثلاثة أدوار صنعة الأستاذين، وبنى داراً بلصق الباب كانت مسكَن أمراء الحجّاج، وعلى الباب في الدار المذكورة سبيل يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد يمتلئ من المطر، وجعل للمسجد باباً آخر إلى جهة عرفة وخوخة صغيرة إلى الجبل الذي في سفحه غار المرسلات، وهو الموضع الذي اُنزلت فيه سورة المُرسلات على النبي، انتهى.[[260]](#footnote-260)

وقال الأزرقي: إنّ الأحجار التي بين يدي المنارة هو موضع صلاة النبي، انتهى.

قلتُ: والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط القبّة الملاصقة بجدار القُبّة الكبيرة لا المنارة التي على الباب والمحراب الذي في القبّة هو موضع صلاته لأنّه في موضع الأحجار التي ذكره الأزرقي.

## صِفَة غار المُرسَلات

أمّا غار المُرسَلات فقال الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي الجوزي: إنّ في مسجد الخيف على يمين الذاهب إلى عرفات غاراً، وفي هذا الغار تجويف في سقفه تَزعُم العامّة أنّه لانَ لرسول الله فأثّر فيه تجويفاً، فيضع الزائر رأسه فيه تيمّناً وتبرُّكاً بموضع رأس النبي، ولم أقِف على خبر أعتمده في ذلك إلاّ أنّ الأثر وارد بنزول سورة المرسلات فيه.

وقال الأزرقي: وبه ـ أي مِنى ـ مسجد لطيف بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمّى بضبّ بمعجمة وموحّدة، والصّفائح أيضاً بصاد مهملة قبل الفاء وياء تحتانيّة قبل الحاء المهملة، وقيل الصابح بمهملتين بينهما ألف وباء موحّدة، فيه غار به أثر رأس النبي يُعرَف بغار المرسلات، انتهى.

قال القطب أيضاً: الجبل المقابل لثَبير الّذي يلحقه مسجد الخيف فيه غار يُقال له غار المُرسلات فيه أثر رأس النبي.[[261]](#footnote-261)

وقال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف: وبقربه على يمين المارّ من الطريق حجرٌ مستدير إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يُظلّ ما تحته، ذُكِر أنّ النبي قعد تحته مستظِلاًّ ومسَّ رأسه الكريم، فلانَ الحجر حتّى أثّر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس، فيضع النّاس رؤوسهم في هذا الموضع تبركاً بموضع رأس النبي كَيْ لا تمسّ رؤسهم النار.[[262]](#footnote-262)

قال الصلاح خليل بن أيبك الصّفدي في ذلك:

## (شعر)

## أكرِم بآثار النَّبِيّ محمّد \* مَنْ زارهُ استوفي السرور مزاره

## يا عين دونَكِ فانظري وتمتّعي \* إن لم تريه فهذه آثاره

واقتفى به الأديب جمال الدين محمّد بن خطيب الدمشقي النيشابوري حيث قال:

## (شعر)

## يا عين إنْ بعُدَ الحبيبُ ودارُه \* ونَأتْ مرابعه وشطّ مزاره

## فلقَدْ ظفرتِ من الزّمان بطائل \* إن لم تريه فهذه آثاره

واقتدى بهما أبو الحزم المدني فقال:

## (شعر)

## يا عين لم تستسفحين مدامعاً \* شوقاً لقُرب المصطفى ودياره

## إن كان صرف الدّهر عاقكِ عنهما \* فتمتّعي يا عين في آثاره

وذكر المُحبّ الطَّبري في كتابه «القِرى لقاصد أمّ القُرى» عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحنُ مع رسول الله في غار بمنى إذ نزلتْ عليه وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً،[[263]](#footnote-263) وأنه ليتلوها وأنّي لأتلقّاها من فيه وأنّ فاهُ لرطبٌ بها إذ وثَبَتْ علينا حيّةٌ فقال النبيّ: اقتلوها، فابتدرناها فذهبت، فقال النبي: «وُقِيت شرّكم كما وُقِيتُم شرَّها». أخرجه البخاري.[[264]](#footnote-264)

وقال الفاسي: بَلَغَني عن شيخنا المجد الفيروزآبادي أنّه قرأ في هذا الغار سورة المرسلات في جماعة من أصحابه، فخرجت عليهم حيّة فابتدروها ليقتلوها فهربت.

## المُحَصَّب

بفتح الحاء والصّاد المهملتين. قال الفرزدق: «إذا ما التقينا بالمحصّب من مِنى»

قال الإمام الشافعي:

## يا راكباً قِفْ بالمحصّب من مِنى \* واهتف بساكن[[265]](#footnote-265) خيفها والنّاهض‌ِ

## سحراً إذا فاض الحجيج إلى مِنى \* فيضاً كملتطم الفرات الفائض‌ِ

## واخبرهمو أنّي من النّفر الّذي \* لِوَلاءِ أهل البيت لستُ بناقض‌ِ[[266]](#footnote-266)

## إن كانَ رَفْضَاً حُبُّ آل محمّد \* فليشهد الثَّقَلانِ أنّي رافضي

وقال النووي: المحصّب والحصبة والأبطح والبطحاء وخيف بني كِنانة اسم لشيء واحد وهو موضع بين مكّة وبين مِنى ما بين الجبل الّذي عنده مقبرة أهل مكّة إلى الجبل الّذي يقابله مصعداً في الشّقّ الأيسر وأنت ذاهب إلى مِنى مرتفعاً عن بطن الوادي، وإنّما سُمّيَ المحصّب لاجتماع الحصبا[[267]](#footnote-267) فيه فإنّ السَّيْل يحمل الحصبا[[268]](#footnote-268) إليه، انتهى.[[269]](#footnote-269)

وقال في «لسان العرب»: المحصّب موضع رَمي الجِمار بمِنى، وقيل: هو الشِّعب الّذي مخرجُه الأبطح بين مكّة ومِنى، يُقام فيه ساعةً من اللّيل، ثمَّ يُخرَج إلى مكّة، سُمِّيا بذلك للحصباء التي فيها، ويُقال لموضِع الجمار أيضاً: حِصاب، بكسر الحاء. قال الأزهري: التحصيبُ النّوم بالشِّعب، الذي مخرجُه إلى الأبطح ساعةً من اللّيل، ثمَّ يُخرج إلى مكّة، وكان موضعاً نزل به رسول الله من غير أن يسنّه للنّاس، فمَن شاء حَصَّب، ومن شاء لم يُحَصِّب.

إلى أن قال: وقال الأصمعي: المحصّب حيث تُرمى الجمار، وأنشَد:

## أقامَ ثلاثاً بالمُحَصَّبِ من مِنى \* ولَمّا بين[[270]](#footnote-270) للنّاعجات طريق

وقال الرّاعي: **ألَمْ تعلمي يا ألأمَ النّاس أنّني \* بمكّة معروفٌ وعند المُحَصِّبِ**

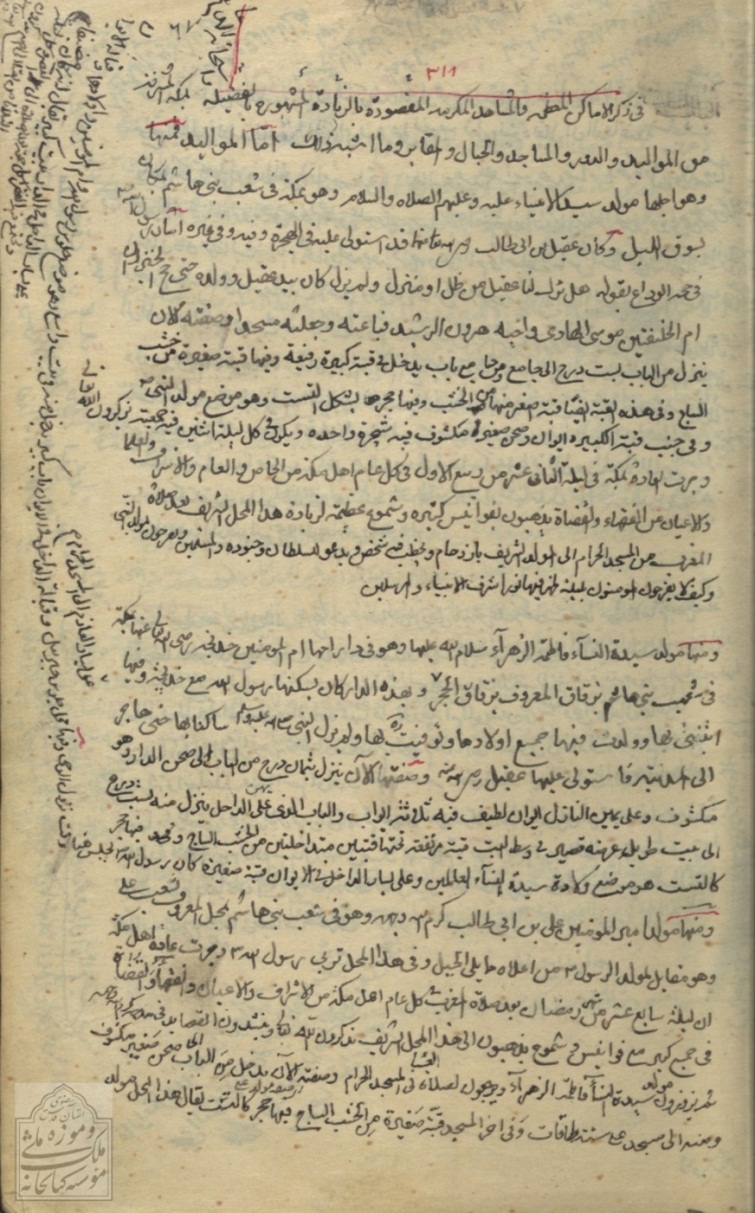
انتهى ملخّصاً. تفصيله هناك.[[271]](#footnote-271)

## مسجد التّنعيم

ويُقال له مسجد الهليلجة لشجرة كانت فيه، وإنّما سُمّيَ هذا المسجد التّنعيم لأنّ على يمينه جبلاً يُقال له نعيم، وعلى يساره جبلاً يُقال له ناعم، والوادي الذي بينهما يُقال له نعمان، وهذا الوادي غير الوادي الذي قال البغوي وغيره من المفسِّرين إنّه واد مقدّس، وفيه أخذ الله العهد، لأنّ وادي مقدّس فوق عرفة بقليل، مشتمل على وديان[[272]](#footnote-272) كثيرة لأعراب مكّة وغيرهم على الجملة.

وصورة العُمرَة أن يخرج من مكّة إلى التنعيم ويغتسِل ويلبَس ثوب الإحرام ويصلّي ركعتين في مسجده بـ قُل يا أيُّها الكافرون،[[273]](#footnote-273) وقُل هو الله أحد،[[274]](#footnote-274) بعد الحمد، ويُلبِّي بتلبية رسول الله ويرجع إلى مكّة مُلبِّياً مكبِّراً مُهلِّلاً مُصلِّياً على النبي، فإذا وصل يطوف الأشواط السبعة ويُصلّي خلف المقام ركعتين ويشرب ماء زمزم ويُقبِّل الحجر الأسود ثمَّ يخرج من باب الصّفا ويسعى بين الصّفا والمَروة من بين الميلين الأخضرين سبعة أشواط ويحلق رأسه أو يقصّر عند المروة فقد تمّت عمرته. قال النبي: «العمرة الحَجّ الأصغر».

## في ذِكر الأماكن المُعظَّمة والمشاهِد المُكرَّمة المقصودة بالزيارة المشهورة بالفضيلة واستجابة الدُّعاء بمكّة المشرّفة، من المواليد والدّور والمساجد والجبال والمقابر وما أشبه ذلك:



## صفحة من رحلة أبي القاسم القندهاري ـ نسخة مكتبة ملك الوطنية

أمّا المواليد، فمنها وهو أجلّها: مولد سيّد الأنبياء ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ ، وهو بمكّة في شِعب بني هاشم بمكان بسوق اللّيل، وكان عقيل بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قد استولى عليه في الهجرة، وفيه وفي غيره أشار رسول الله في حجّة الوداع بقوله: «هل ترك لنا عقيل من ظلّ أو منزل؟», ولم يزل كان بيد عقيل وولده حتّى حجّ الخيزران أمّ الخليفتين موسى الهادي وأخيه هارون الرشيد فباعته وجعلتهُ مسجداً.[[275]](#footnote-275)

وصفته الآن: ينزل من الباب بستّ درج إلى جامع ومن جامع باب يدخل في قبّة كبيرة رفيعة، وفيها قبّة صغيرة من خشب السّاج، وفي هذه القبّة أيضاً قُبّة أصغر منها من الخشب، وفيها حجر بشكل الطّست،[[276]](#footnote-276) وهو موضع مولد النبي، وفي جَنب القبّة الكبيرة إيوان وصحن صغير مكشوف فيه شجرة واحدة، ويكون في كلّ ليلة اثنين فيه جمعيّة يذكرون الله تعالى، وجرت العادة بمكّة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأوّل في كلّ عام أهل مكّة من الخاصّ والعامّ والأشراف والعُلماء والأعيان من الفقهاء والقُضاة يذهبون بفوانيس كثيرة وشموع عظيمة لزيارة هذا المحلّ الشريف بعد صلاة المغرب من المسجد الحرام إلى المولد الشريف بازدحام، ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطان وجنوده والمسلمين، ويفرحون لمولد النبي، وكيف لا يفرح[[277]](#footnote-277) المؤمنون بليلة ظهر فيها نور أشرف الأنبياء والمرسلين؟[[278]](#footnote-278)

ومنها: مولد سيّدة النساء فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ، وهو في دار أمّها أمّ المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها بمكّة في شِعب بني هاشم بالزقاق المعروف بزقاق الحجر عن يسار العازم إلى المسجد الحرام، وهذه[[279]](#footnote-279) الدّار كان يسكنها رسول الله مع خديجة، وفيها ابتنى بها وولدت فيها جميع أولادها، وتوفّيت ـ رحمها الله ـ بها، ولم يزل النبي، ساكناً بها حتّى هاجر إلى المدينة فاستولى عليها عقيل ـ رضي الله عنه ـ.[[280]](#footnote-280)

وصِفتها الآن: ينزل بثمان درج من الباب إلى صحن الدار وهو مكشوف، وعلى يمين النازل إيوان لطيف فيه ثلاثة أبواب، والباب الذي على يمين الداخل ينزل منه بستّ درج إلى بيت طويل عرضه قصير، في وسط البيت قبّة مرتفعة تحتها قُبّتان متداخلتان من خشب السّاج، وفيها حجر كالطّست[[281]](#footnote-281) هو موضع ولادة سيّدة نساء العالمين، وعلى يسار الداخل في الأيوان قبّة صغيرة كان رسول الله، يجلس هنا وقت نزول الوحي، وفيها محلّ جلوس جبرئيل.

وقبالة الداخل في الإيوان باب كبير يدخل منه في بيت واسع وهو موضع جلوس رسول الله، وأمّ المؤمنين وأولادهما، وقبالة الإيوان على يسار الداخل في الدار بيت كبير يقال إنّه كان مُضِيفاً، ويجتمع فيه الفقراء كلّ جمعة بعد الصلاة إلى العصر، وكلّ ليلة الثلاثاء من العشاء إلى الصبح يذكرون الله تعالى.

ومنها: مولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه‌ـ ،[[282]](#footnote-282) وهو في شِعب بني هاشم بالمحلّ المعروف بشعب عليّ، وهو مقابل لمولد الرسول، من أعلاه ممّا يلي الجبل، وفي هذا المحلّ تربّى رسول الله. وجَرَت عادة أهل مكّة أنّ ليلة سابع عشر من شهر رمضان بعد صلاة المغرب في كلّ عام أهل مكّة من الأشراف والأعيان والفقهاء والقضاة في جَمْع كثير مع فوانيس وشموع يذهبون إلى هذا المحلّ الشريف يذكرون الله تعالى وينشدون القصائد في مدحه ـ كرّم الله وجهه ـ ثمَّ يزورون مولد سيّدة النساء فاطمة الزهراء ويرجعون لصلاة العشاء في المسجد الحرام.

وصفته الآن ـ أي صِفَة مولد عليّ ـ : يدخل من الباب إلى صحن صغير مكشوف ومنه إلى مسجد عليّ ستّ طاقات، وفي آخر المسجد قبّة صغيرة من خشب السّاج فيها حجر كالطّست[[283]](#footnote-283)، يُقال هذا المحلّ مولد سيّدنا عليّ بن أبي طالب، وبحائط المسجد عند المولد حجر أسود يُقال اتّكت السيّدة فاطمة بنت أسد حين وَجَع الطَّلق بها، وأنّ هذا الحجر كان يسلِّم على النبي قبل النبوّة، يُقال إنّ الدُّعاء عنده مستجاب، وأهل مكّة يعظّمون هذا الحجر.

فائدة: أبوطالب بن عبد المطّلب، ... وهو كافل رسول الله وحاميه من قريش وناصره والرّفيق به والشّفيق عليه، فكان سيّد بني هاشم في زمانه، وكان شاعراً مُجيداً، رُوي عن محمود بن خرّبود،[[284]](#footnote-284) أنه قال: كان أبو طالب يحضر أيّام الفخار،[[285]](#footnote-285) ويحضر معه النبي وهو غلام. واختلف الناس في إسلامه، فقالت الإماميّة والزيديّة وبعض المعتزلة والصّوفيّة أنّه ما مات إلاّ مسلماً، وقد نقل الناس كافّة عن رسول الله أنّه قال لعليّ: «نُقِلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة». فوجبَ بهذا أن يكون آباؤهم منزّهين عن الشِّرك لأنّهم لو كانوا عَبَدَة أصنام لما كانوا طاهرين.

وقد رُوي أنّ أبا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبي عام الفتح يقوده وهو شيخٌ كبير أعمى فقال رسول الله: أما تركت الشيخ حتّى نأتيه؟ فقال: أردت يا رسول الله أن يأجره الله، أما والذي بعثكَ بالحقّ لأنّي كنتُ أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب منّي بإسلام أبي، ألتمسُ بذلك قرّة عينك. فقال: «صدقت».

وقد رُوي بأسانيد كثيرة بعضها عن ابن عبّاس بن عبد المطّلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة، أنّ أباطالب ما مات حتّى قال: «لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله».

قالوا: وأشعار أبي طالب تدلّ على أنّه كان مسلماً، فمنها:[[286]](#footnote-286)

## ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً \* رسولاً كموسى حطّ في أوّل الكتبِ

ومنها:

## نبيٌّ أتاه الوحي من عِند ربّه \* ومَن قال لا يقرع بها سنّ نادم‌ِ

ومنها:

## أذبُّ وأحمي رسول الإله \*\*\* حماية حامٍ عليه شفيق

ومنها:

## وخير بني هاشم أحمدُ \*\*\* رسول الإله على فترة

ومنها:

## لقد أكرمَ الله النَّبِيّ محمّدا \*\*\* فأكرم خلق الله في النّاسِ أحمد

## وشقّ له من اسمه ليجلّه \*\*\* فذو العَرش محمودٌ وهذا محمّد

ومنها:

## يا شاهد الله عليَّ فاشهد \*\*\* أنّي على دين النَّبِيّ أحمد

إلى غير ذلك من الأشعار.

قالوا: فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنّه إن لم يكُن آحادها متواترة، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك وهو تصديقه النَّبيّ، ومجموعها متواترة.

ومنها: قيل مولد سيّدنا حمزة بن عبد المطّلب عمّ النبي، وهو بأسفل مكّة على طريق الذاهب إلى بركة الماجن بالنّون، وأهل مكّة يقولون ماجد بالدّال وهو غلط.

قال الفاسي: ولم أرَ شيئاً يدلّ على صحّة ذلك، بل في صحّته نظر، لأنّ هذا الموضع ليس محلاًّ لبني هاشم، والله أعلم.[[287]](#footnote-287)

ومنها: مولد جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ، دخله النبي وعلى بابه حجر عليه مكتوب: «هذا مولد الإمام جعفر الصادق»، لعلّه خطأ، وهو بالموضع المعروف بدار أبي سعيد، ويُعرَف أيضاً بدار الدّقوق،[[288]](#footnote-288) ـ بقافين بينهما واوـ،[[289]](#footnote-289) وهذه الدّار في فم الزُّقاق الموصِل إلى باب الزيادة على يمين الذاهب إلى المسجد الحرام ويسار الذاهب إلى الشبيكة، قريبة من باب الزيادة بينها وبينه نحو ستّ دور.

## **وأمّا الدور المتبركة المقصودة بالزيارة:**

فمنها: دار خديجة أمّ المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ، وهي التي يُقال لها مولد سيّدة النساء فاطمة الزهراء ـ رضي الله تعالى عنها ـ، وقد تقدّم الكلام عليها آنفاً مستوفىً، وإنّما ذكرتها ليعلم أنّها من جملة الدور المباركة، وإنّما غلبَ عليها اسم المولد واشتهرت به.

ومنها: دار سيّدنا العبّاس بالمسعى عند أحد الميلين الأخضرين، وهي الآن جزو رباط يسكنه الفقراء.

ومنها: دار المختبى، وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، المعروفة الآن بدار الخيزران، قريبة للصّفا وهي مقصودة بالزِّيارة، لأنّ النبي كان مستتراً فيها في مبدء الإسلام وكان يدعو فيه إلى الإسلام خفيَةً، وفيها أسلَم عمر بن الخطّاب، ومنها ظهر الإسلام، وبها كان اجتماع الصحابة، ولها فضلٌ كثير، بنتها الخيزران مسجداً.

أمّا سبب إسلام عمر بن الخطّاب على ما في الطبقات الكبير للشّعراني غير ما هو في سائر الكتب، من أراد الاطلاع فليرجع إليها.[[290]](#footnote-290)

وأمّا المساجد المقصودة بالزِّيارة فكثيرة

منها: ما هو موجودٌ معروف إلى يومنا هذا، ومنها ما هو داثِرٌ لا يُعرَف.

فمنها: مسجد الرّاية وهو بأعلى مكّة عند الرّدم، وبجانبه منارة تُعرَف بمنارة أبي شامة، وهذا المسجد من بناء عبد الله بن العبّاس بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس عمّ النبي، يُقال إنّ النبي رَكَزَ راية يوم الفتح في هذا المسجد.

ومنها: مسجد صغير بقُرب المجزرة الكبيرة عند المدّعى على يمين الهابط إلى مكّة ويسار الصّاعد منها، يُقال إنّ النبي صلّى فيه المغرب كما هو مكتوب بحجرين هناك. [[291]](#footnote-291)

ومنها: مسجد صغير بسوق اللّيل بالقُرب من مولد النبي يزوره الناس. ونقل الشيخ سراج الدين عمر بن فهد عن كتاب «الكوكب المُنير» لنصر الله الكسائي أنّ النبي كان يختبئ فيه من الكفّار ويعبد الله هناك.[[292]](#footnote-292)

ومنها: مسجد البيعة بأعلى مكّة عند سوق الغنم، بايعَ الناس معه هناك يوم الفتح.

ومنها: مسجد على جبل أبي قُبيس يُقال له مسجد إبراهيم، وليس المراد به إبراهيم الخليل.

ومنها: مسجد بخارج مكّة يقال مسجد بيعة الجِنّ، وهو فيما يقال موضع الخطّ الّذي خطّه رسول الله لابن مسعود ليلة استمع عليه الجِنّ وبايعوه، ويقال له مسجد الحَرَس أيضاً لأنّ رئيس الحَرَس كان يطوف بمكّة حتّى انتهى إلى هذا المحلّ، وقف حتّى يتوافى عنده حرسهُ وخُدّامه، فإنّهم يأتونه من شِعب عامر ومن ثنية المدنيّين، فإذا توافوا رجع منحدراً إلى مكّة.

ومنها: مسجد يُعرَف بالإجابة خارج مكّة على يسار الذاهب إلى مِنى في شِعب بقرب ثنية أذاخر، يُقال إنّ النبي صلّى في هذا المحلّ وهو منهدم، وفيه حجر مكتوب به إنّه مسجد الإجابة، وبنى حوله العربان بيوتاً وهم يصلّون في هذا المسجد الخراب.

وأمّا المساجد التي في مِنى و جهتها:

فمنها: مسجد يُقال له مسجد البيعة، وهو الّذي بايع فيه رسول الله الأنصار بحضرة عمّه عبّاس وهو بقرب العقبة التي هي حدّ من مِنى من جهة مكّة في شِعب على يسار الصاعد إلى مِنى.[[293]](#footnote-293)

ومنها: مسجد يُقال له مسجد النّحر، وهو بين الجمرتين الأُولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة، يُقال إنّ النبي صلّى فيه الضُّحى ونحرَ هَدْيه عنده، وهذا مكتوبٌ في حَجَر هناك.[[294]](#footnote-294)

ومنها: مسجد يُقال له مسجد الكبش، هو على يسار الصّاعد إلى عرفة بسفح ثَبير.[[295]](#footnote-295)

ومنها: مسجد عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهو بسفح ثَبير أيضاً فوق مسجد الكبش، وهو غار لطيف عليه بناء وأثَر،[[296]](#footnote-296) ويُسمّى معتكَف عائشة، وبعض أهل مكّة يقول له بيت أمّ المؤمنين.[[297]](#footnote-297)

ومنها: مسجد الخيف المشهور بمنى، وهو مسجد عظيم الفضل وقد ورد في فضله أحاديث وآثار،[[298]](#footnote-298) وفيه موضع صلاة النبي كما تقدّم.

ومنها: مسجد نمرة في عرفات، وهو المسجد الّذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر جمع تقديم‌ٍ كما تقدّم.

ومنها: مسجد لطيف يمانيّ مسجد الخيف، فيه غار به أثر رأس النبي، يُعرَف بغار المرسلات، وقد تقدّمت صفته.

ومنها: مسجد التنعيم، ويقال له مسجد الهليلجة لشجرة كانت فيه، وهناك حجارة مكتوبة فيها: منه اعتمرَتْ عائشة أمّ المؤمنين.

ومنها: مسجد الجعرانة وهو الذي أحرم منه النبي بعمرة برجعه من الطائف بعد فتح مكّة ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح، وموضع إحرامه من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة الوثقى، والجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الرّاء المهملتين، وقيل بفتح العين والرّاء المشدّدة، وجعرانة لقب ريطة ـ براء وطاء مهملتين بينهما ياء تحتانيّة ـ بنت كعب امرأة أسد بن عبد العزّى، وهي التي نزل فيها قوله تعالى: وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّة،[[299]](#footnote-299) الآية. وفي جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة غرزَ النبي في محلّه رمحه الميمون، فنبعَ الماء من ذلك المحلّ فشرب منه وسقى الناس.

ومنها: مسجد الشجرة، دعى النبي شجرةً كانت في ذلك المكان فأقْبَلَت تخرّ الأرض ووقفت بين يدي رسول الله، ثمَّ أمرها فرجعت.

قال في كتاب "المسامرات" عن ابن بريدة عبد الله قال: [[300]](#footnote-300) جاء أعرابيٌّ إلى النبي قال: يا رسول الله قد أسلمتُ فأر‌ِني شيئاً أزداد به يقيناً، قال: ما الذي تُريد؟ قال: ادعُ تلك الشجرة فلتأتك، قال: اذهب فادعها، فأتاها الأعرابيّ قال: أجيبي رسول الله، قال: فمالَت على جوانبها فتقطّعت عروقُها ثمَّ مالت على الجانب الآخر، فتقطّعت عروقها حتّى أتَت النبي فقالت: السلامُ عليك يا رسول الله، فقال الأعرابيّ: حسبي حسبي! فقال لها النبي: ارجعي، فرجعت فجلست على عروقها، فقال الأعرابيّ: إئذن أن أقبِّل رأسك ور‌ِجلَيك، ففعل، فقال: اِئذن لي أن أسجد لكَ يا رسول الله، قال: لا يسجد أحد لأحد، ولو أمرتُ واحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقّه عليها.

ومنها: مسجد المتكأ في أجياد، فيه حجر يُروى أنّ رسول الله اتّكأ عليه فغاص مرفقه الشريف في ذلك الحجر. قلت: الآن صار المسجد داراً والحجر في زقاق المرفق قريب بموضع يُقال له دكان أبي بكر، مبنيّ في الجدار في وسطه حفرة مثل محلّ المرفق، يزوره الناس ويتبركون بلمسه.

ومنها: مسجد ذي طوى، نزل هنا رسول الله حين اعتمر وحين حجّ.

## وأمّا الجبال المباركة بمكّة المقصودة بالزِّيارة،

فمنها: أبو قُبَيس أحد أخشبي مكّة المُشْر‌ِف على الصّفا، وهو من جهة الجنوب والشرق من مكّة ويقابل ركن الحجر الأسود، وكانت قريش تسمّيه الأمين لأنّ فيه استودع الحجر زمان الطُّوفان، فأدّى الحجر إلى الخليل. وهو مطلّ على مكّة ومنه يظهر اتّساعها، يقال إنّ قبر آدم في غار بجبل أبي قبيس يقال له غار الكنز بالنون والزاي المعجمة، وهذا الغار لا يُعرَف الآن.

وقال الذهبي في تاريخ آدم وبنيه: وخلّفه بعده يعني آدم وشيث ابنه، ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس، انتهى.

يقال: إنّ الدُّعاء يُستجاب فيه، وكان انشقاق القمر عليه، وكان النبي يُكثر إتيانه للعبادة ويُقيم به لأجلها شهراً في كلّ عام، وفيه أكر‌ِم بالرسالة.[[301]](#footnote-301)

عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقّاً شقّتين بمكّة؛ شقّة على أبي قبيس وشقّة على كذا أي الثنية السُّفلى لمقابلتها لأبي قبيس.

ونقل الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي في تفسيره المسمّى بـ«زاد المسير في علم التفسير» أنّ حديث الانشقاق رواه جماعةٌ، منهم: عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عبّاس، وأنس بن مالك، وعلى هذا جميع المفسِّرين، إلاّ أنّ قوماً شذّوا بقولهم: سينشقّ القمر يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذّ لا يقاوم الإجماع، ولأنّ قوله: وَانْشَقَّ الْقَمَرُ لفظ ماض، وحملُه على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك بموجود، وفي قوله تعالى: اقْتَرَبَت السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ[[302]](#footnote-302) دليلٌ على أنّه قد كان ذلك. وقال ابن زيد: لمّا انشقّ القمر كان يُرى نصفُه على قُعَيقِعان، والنصف الآخر على أبي قبيس. وقال ابن مسعود: لمّا انشقَّ القمر قالت قريش: سحرَكُم ابن عبد الله، فسألوا السُّفّار عن ذلك، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله: اقْتَرَبَت السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. قوله تعالى:[[303]](#footnote-303) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً تدلّهم على صدق الرسول، والمراد بالآية هنا انشقاق القمر، يُعْرِضُوا عن التصديق، وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ,[[304]](#footnote-304) أي ذاهب من قولهم من الشيء واستمرّ إذا ذهب، قاله مجاهد. والسّحر يذهب ولا يذهب,[[305]](#footnote-305) فأنزل سبحانه: وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ الآية، أي كذّبوا النبي وما عاينوه من قدرة الله عزَّوجلّ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ, أي ما زيّن لهم الشيطان، وَكُلُّ أَمْر مُسْتَقِرٌّ,[[306]](#footnote-306) أي مستقرّ بأهل الخير والشّرّ، قاله قتادة. وقال مقاتل: إنّ إقرار تكذيبهم مستقرّ، وأمر تصديق المصدّقين مستقرّ، حتّى يعلموا حقيقة الثواب والعقاب، انتهى.[[307]](#footnote-307)

**فائدة:** قال شيخ الإسلام زين الدين عبد الرّحيم العراقي في منظومته المسمّاة بـ«نظم الدُّرَر السَنيّة والسيرة الزكيّة» عند ذكره المعجزات:

## (شعر)[[308]](#footnote-308)

## وأوبقت قريش أن يَرى \* آياً أراهُمُ انشِقاقَ القمرا[[309]](#footnote-309)

## فَصارَ فِرقَتَين‌ِ فِرقَةٌ عَلَتْ \* وَفِرْقَةٌ لِلطَّوْدِ مِنهُ نَزَلَتْ

## وذاكَ مَرَّتَيْن‌ِ بِالإِجماعِ \* والنَّصِّ والتّواتُر‌ِ السَّماعي[[310]](#footnote-310)

## زادَ لِلّذينَ[[311]](#footnote-311) آمَنُوا إيمانا \* ولأبي جَهل‌ٍ بِهِ طُغْيانا

## وقالَ ذا سِحْرٌ فَجاءَ السَّفْرُ \* كُلٌّ بهِ مُصَدَّقٌ مُقِرُّ

قال ابن قيّم في كتابه «إغاثة اللّهفان» ما لفظه: المرّات يراد بها الأفعال تارةً والأعيان تارة، وأكثر ما تستعمل في الأفعال، وأمّا في الأعيان فكقوله في الحديث: انشقّ القمر على عهد رسول الله مرّتين: أي شقّتين وفلقتين، ولمّا خفي هذا على من لا يحيط به علماً زعم أنّ الانشقاق وقع مرّة بعد مرّة في زمانين، وهذا ممّا يعلم عند أهل الحديث ومن له خبرة بأحوال الرسول وسيرته أنّه غلط وأنّه لم يقع الانشقاق إلاّ مرّة واحدة. قاله في مسألة الطّلاق، انتهى.

وقال الزّركشي في شرحه للبردة: إنّ البخاري أخرج انشقاقه بمكّة وبمِنى، قال: وهو يدلّ على تكرير الانشقاق، انتهى.

وقال أحمد بن حجر: وهذا بحسب الرّائي، لا أنّه تعدّد وقوعه مرّتين بمكّة وبمنى، انتهى.

قلتُ: ما يؤيّد كلام النّاظم ما ذكره صاحب دلائل النبوّة من حديث ابن مسعود بلفظ: «رأيتُ القمر منشقّاً بشقّتين، مرّتين بمكّة قبل مخرج النبي»، انتهى.

ونقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات»: من خواصّ جبل أبي قبيس أنّ من أكل فيه الرّأس المشوي يأمَن أوجاع الرأس طول عمره،[[312]](#footnote-312) وكثير من الناس يفعله.[[313]](#footnote-313)

ومنها: جبل الأحمر، وهو من جهة شمال مكّة المعظّمة ـ زادها الله شرفاً وتعظيماً وتكريماً ـ.

ومنها: جبل الخندمة، وهو جبل شامخ في ظهر أبي قُبيس، يُقال إنّ فيه قبر سبعين نبيّاً، وفيه يقول القائل:[[314]](#footnote-314)

## (شعر)

## إنّك لو شهدت يوم الخندمة \* إذ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة

ومنها: الحَجون، بتقديم الحاء المهملة المفتوحة، وهو جبل بالمعلاة مقبرة أهل مكّة على يسار الداخل إلى مكّة ويمنى الخارج منها إلى مِنى.

ومنها: جبل حِراء، بكسر الحاء المهملة ممدوداً، فمن ذكره صرفه ومَن أنّثه منعه من الصَّرف، وهو في جهة الشمال من مكّة على نحو فرسخ منها، وهو مشرف على مِنى ذاهب في الهواء عالي القنّة,[[315]](#footnote-315) ويسمّى جبل النّور بالنون أوّلاً والرّاء أخيراً، وكأنّ ذلك لكثرة مجاورة النبي وتعبّده فيه، وما خصّه الله به فيه من الإكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه في الغار الذي بأعلاه، كما في صحيح البخاري، حتّى فجأه الحقّ وهو في غار حِراء، وهو معروف مشهور يأثره الخلف من السلف ويقصده الناس بالزِّيارة.

ذكر الأزرقي أنّ النبي اختبى فيه من المشركين قبل الهجرة.[[316]](#footnote-316)

وقال المسعودي: وأوّل ما نزل عليه ـ أي على النبيـ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ،[[317]](#footnote-317) وأتاه جبرئيل في ليلة السبت ثمّ في ليلة الأحد، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين وذلك بحراء، وهو أوّل موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأوّل السورة إلى قوله: عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ،[[318]](#footnote-318) ونزل تمامها بعد ذلك، وخُوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين، ثمَّ اُمِر بإتمامها بعد ذلك، واُقرّت ركعتين في السفر، وزيدَ في صلاة الحضر، انتهى.

ومنها: جبل ثور بالثّاء المثلّثة بأسفل مكّة، وهو أكبر من حِراء وأبعد منه بالنسبة إلى مكّة، بُعده عنها ميلان وقيل ثلاثة أميال، وارتفاعه نحو ميل، ويُقال له أطحل بالطّاء والحاء المهملتين، وقد صحَّ أنّ النبي وأبا بكر اختفيا في غاره المشهور، ذكره الله تعالى في سورة التوبة: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا،[[319]](#footnote-319) الآية.

قال أصحاب السِّيَر: لمّا استقرّ رأي قريش بعد المشاورة على قتل رسول الله أتاه جبرئيل وأخبره بذلك وأمر له بالخروج إلى المدينة، ولمّا كانت العتمة اجتمع المشركون على باب النبي، فلمّا رأى رسول الله مكانهم واجتماعهم قال لعليّ: نِم على فراشي واتّشح ببردي الحضرمي الأخضر، وأمرَهُ أن يتخلّف بعده بمكّة حتّى يؤدّي عن رسول الله الودائع التي عنده، ثمَّ أخذ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤوسهم وهو يقرأ: إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً، **إلى** قوله: فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ،[[320]](#footnote-320) وخرج فأتى منزل أبي بكر فأخذ أبو بكر سفرة وسقايةً فشقَّت أسماء نطاقها شقّتين، فارتطبت بواحدة السّقا وبالأُخرى السّفرة، فلذلك سمّيت ذات النّطاقين، ثمَّ خرجا من خوخة كانت في ظهر البيت وعمدا إلى الغار، وخلع نعليه وكان يمشي على أطراف أصابعه حتّى خفيت رجلاه، فلمّا رآى أبوبكر ذلك حمله على كاهله وجعل يشتدّ حتّى أتيا الغار، فدخل أبو بكر إلى الغار قبل رسول الله، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حيّة ليَقِي رسول الله بنفسه، وكلّما رآى حجراً شقَّ ثوبه فألقمه إيّاه حتّى فعل ذلك بثوبه كلّه، فبقي حجر فألقمه عقبه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار، والراء فنبتت في وجه الغار، وحمامتين وحشيّتين فعششتا عليه وباضتا.

وأقام المشركون على الباب وينظرون مِن شقّ الباب، فيرون عليّاً على الفراش متّشح ببُرد رسول الله يحسبونه النبي فيحرسونه حتّى أصبحوا، فوثبوا عليه فقام عليّ من الفراش فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا علم لي. فتركوه واقتصوا أثر النبي من كلّ بطن رجل سيوفهم بأيديهم ومعهم كور بن علقمة القصّاص، فقصّ الأثر حتّى انتهى إلى الغار، فقال لهم إلى هنا انتهى أثره، فما أدري أصعدَ السماء أم غاص في الأرض، فقال قائل: ادخلوا الغار؛ فقال أميّة بن خلف: ما أريكم في الغار وأنّ عليه لعنكبوتاً من قبل ميلاد عيسى.

قال أبوبكر: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر لأبصرَنا، فخاف على النبي، وكان النبي يسكن روعه ويقوّي جأشه ويقول: ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟ وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن، فلمّا رأى رسول الله حاله قال له تريد أن أريك اِخوانك من المهاجر[ين] والأنصار؟ قال: نعم بأبي وأمّي أنتَ يا رسول الله. فمسحَ النبي بيده على وجهه فنظر إلى مكّة، رأى عليّاً والأصحاب يتحدّثون وإلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، وإلى المهاجر[ين] والأنصار بالمدينة يتحدّثون، فأنزل الله سكينته عليه فسكن قلبه.

ورحم الله البوصيري حيث قال في بردته:

## (شعر)

## وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرم \* وكلّ طرفٍ من الكفّار عنه عمى...

## ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على \* خير البريّة لم تنسج ولم تحم

## وقاية الله أغنَت عن مضاعفة \* من الدّروع وعن عال من الأطم

وأنشأ عليّ في بيتوته في،[[321]](#footnote-321) فراش النبي هذه الأبيات:

## وقيتُ بنفسي خيرَ مَن وطئ الثّرى \* ومَن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

## رسول إله خاف أن يمكروا به \* فنجّاه ذو الطّول الإله من المكر

## وباتَ رسول الله في الغار آمناً \* موقّى وفي حفظ الإله وفي ستر

## وبتُّ أراعيهم وما يثبتونني \* وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

وقد ثبت في صحيح البخاري أنّهما مكثا في الغار ثلاثاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام، وكان عبد الله بن أبي بكر يكون نهاره في قريش يستمع ما يقولون، ويأتيهما إذا أمسى ويخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمه في رعيان مكّة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبها لهما، فإذا راح عبد الله وأسماء من عندهما إلى مكّة اتّبع عامر بن فهيرة أثرهما بالغنم فقفاهما حتّى يعمى أمرهما على الكفّار، حتّى إذا مضَت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الّذي استأجراه ليريهما الطريق، فأتتهما أسماء بسفرتها وارتحلا، ولم يعلم بخروجهما إلاّ عليّ وآل أبي بكر، وبقيّة أخبار هجرتهما في السِّير فليراجعها مَن أرادها.

وفي الكتاب المسمّى بالجامع اللّطيف نقلاً عن البكري أنّه قال: في جبل ثور من كلّ نبات الحجاز وشجره، وفيه شجرة البان، وفيه شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامّة.

ونقل أيضاً في بعض الروايات عن ابن عبّاس أنّ قتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور،[[322]](#footnote-322) ويقال إنّ من دخل غار ثور لم يحزن بعده بشيء من مصاب الدُّنيا طول عمره.

قلت: إنْ صحَّ هذه الخاصيّة فمن تأثير قوله تعالى: لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا.[[323]](#footnote-323)

ولهذا الغار بابان متداخلان، والثاني منها ضيّق الدّخول، فيه عُسر يحتاج إلى فطنة، والمشهور عند العوام إن أحبس فيه لا يكون ابن أبيه، وطريق الدخول فيه أنّ الداخل إليه ينبطح على وجهه ويُدخِل رأسه وكتفيه، ثمَّ يميل إلى جانب يساره فلا يجد ما يعوّقه، ويسلك مائلاً إلى اليسار، وأمّا مَن لا يعرف طريق الدخول يدخل رأسه، وكتفيه يستمرّ داخلاً بباقي بدنه فتصادمه صخرة أمامه فتعوقه، فيرفع رأسه إلى فوق ويحبس بوسطه فلا يمكنه الولوج، وكلّما شدّد في الدخول تعوّق وانحبس، فيحتاج إلى من يخلّصه.

ومنها: جبال الطير وهي أربعة عن جهتَيْ طريق التنعيم، يُقال إنّها الجبال التي وضع عليها الخليل‌ أجزاء الطير، ثمَّ دعاها حسبما فيض الله تعالى في كتابه العزيز.

ومنها: جبل ثَبير ـ بفتح المثلّثة وكسر الموحّدة ـ بمِنى، وهو جبل عظيم الفضل شامخ، روي عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنّه قال: شكوتُ إلى رسول الله دَيْناً كان عَلَيَّ، فقال: يا عليّ قُل اللّهُمَّ أغنِني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمّن سواك، فلو كان عليك مثل ثَبير دَيْناً قضاه الله عنك. وفي بعض النسخ: صبير بالصّاد المهملة، وهو جبل باليمن.

ويسمّى ثَبير الأثبرة والقابل أيضاً بالقاف والباء الموحّدة. ونقل صاحب القاموس عن النّقّاش المفسّر أنّ الدُّعاء يُستجاب فيه، ثمَّ قال: يعني ثبير الأثبرة لأنّ النبي كان يتعبّد فيه قبل النبوّة وأيّام ظهور الدّعوة، ولهذا جاورت به أمّ المؤمنين عائشة أيّام إقامتها بمكّة، انتهى.[[324]](#footnote-324)

فائدة: ثَبير اسم لثمانية أماكن وسبعة جبال، منها بمكّة وحرمها وهي ثبير الأثبرة، وثبير الزّنج، وثبير الأعرج، وثبير الأحدب، ويُقال الأُحَيدب بالتّصغير، وثبير الخضراء، وثبير النصع، وثبير غينا، والثامن ثبير مآة في بلاد مزينة، أقطعه النبي شريس ـ معجمة في أوّله ومهملة في آخره ـ ابن ضمرة ـ بضاد معجمة ـ المزني، وسمّاه شريحاً ـ بحاء مهملة ـ.[[325]](#footnote-325)

## ولنشر إلى المواضع السبعة تكثيراً للفائدة:

فأمّا ثبير الأثبرة جبل بمنى وجعله الجوهري والقزويني من جبال مكّة.

أقول: وكون ثبير بمكّة تسامح لكن ما قارب الشيء اُعطي حكمه وعُرف بذلك لأنّه أعلاها وأطولها، وهو على يسار الذاهب إلى عرفة، والّذي ذكره الفقهاء في المناسك بأنّ المستحبّ للحاجّ إذا طلعت الشمس عليه أن يسير إلى عرفة.

وأمّا ثبير غينا ـ بالغين المعجمة المفتوحة، بعدها مثنّاة تحتيّة، ثمَّ نون مخفّفة بعدها ألف‌ ـ، وثبير الأعرج بالجيم، فهما أيضاً بمنى، بينهما واد من مِنى يقال له أفاعِيَة ـ بضمّ الهمزة بعدها فاء وألف، ثمَّ عين مهملة مكسورة، بعدها مثنّاة تحتيّة مخفّفة ثمَّ هاء ـ، كذا نقله صاحب القاموس عن الزمخشري.

وأمّا ثبير النِّصع ـ بكسر النون وسكون الصّاد المهملة ثمَّ عين مهملة ـ فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب إلى مِنى، ذكرَهُ الأزرقي وقال: هو الّذي يقولون في الجاهليّة إذا أرادوا الدّفع من مزدلفة أشرق ثبير كيما نغير ولا يدفعون حتّى يرون الشمس، انتهى.

والمعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك أنّهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام إلاّ ثبير الأثبرة الّذي بمنى، ورجّح الفاسي قول الأزرقي وقال: لا يبعد ذلك لأنّ قريشاً ما كانوا يقولون ذلك إلاّ وهم بمزدلفة، وهذا أقرب بأبصارهم مِن الّذي بمنى.

وأمّا ثبير الخضراء ـ بمعجمتين وراء مهملة ـ هو الجبل المشر‌ِف على الموضع الّذي يقال له الخضراء بطريق مِنى، نقله الفاسي.

وأمّا ثبير الزّنج، ويقال جبل النّوبى أيضاً، وهو بأسفل مكّة في جهة الشبيكة، كان سودان مكّة يلعبون عنده ويقال لهم الزّنوج والنّوبة فطابقت التسمية على كِلا الوجهين.

وأمّا ثبير الأحدب أو الأُحَيدب، قال صاحب الجامع اللّطيف: أقول بمنى جبل يدعى الأُحَيدب، سمعتُ ذلك عن بعض أهل مِنى، وهو مقابل مسجد الخيف بقرب من ثبير الأثبرة على يسار الذاهب إلى عرفة.

## وأمّا المقابر

فمنها: قبور شهداء أهل البيت بفَخّ ـ بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة ـ بين مكّة والتنعيم على يسار الذاهب من مكّة إلى التنعيم، بينه ـ أي فخّ ـ وبين مكّة مقدار ربع فرسخ.

قال في لسان العرب: وفي حديث بلال:

## ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلة \* بفخٍّ وحولي أذخر وجليل

## وهل أردن يوماً مياه مجنّة \* وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقبورهم معروفة مشهورة تُقْصَد للزيارة والبركة، وكلّ عصر خميس فيه جمعيّة من أهل مكّة، قبابهم الآن خربة ما عليهم إلاّ جدران منكسرة، وعلى أحجار قبور بعضهم مكتوب؛ فمنها: «هذا قبر الشهيد عمر بن الحسن الأفطس الحسيني»، ومنها: «هذا قبر الشهيد أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الغَمْر،[[326]](#footnote-326) الحسيني»، ومنها: «هذا قبر الشهيد أبو عليّ الحسن بن إسمعيل الدِّيباج بن إبراهيم»، ومنها: «هذا قبر الشهيدين أبو محمّد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وابنه محمّد بن سليمان»، ومنها: «هذا قبر الشهيد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن»، وأكثر الأحجار مكسورة تحت التراب مستورة.

فمنها: مقبرة المعلاة، وهي مقبرة كبيرة، رُوي عن النبي أنّه وقف على الثنيّة يعني ثنيّة مقبرة المعلاة، وليس بها يومئذٍ مقبرة، قال: <يبعث الله عزَّوجلّ من هذه البقعة أو من هذا الحرم كلّه سبعين ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب، يشفع كلّ واحد منهم في سبعين ألف، وجوههم كالقمر ليلة البدر. قال أبوبكر: مَنْ هُم يا رسول الله؟ قال: الغرباء>.

ففي هذه المقبرة مواضع يُستجاب فيها الدُّعاء، فمنها: قبر سيّدتنا خديجة أمّ المؤمنين في ذيل جبل الحَجون، وهي سيّدة النساء وأوّل امرأة تزوّجها رسول الله وولدت له أولاده كلّهم،[[327]](#footnote-327) إلاّ إبراهيم.

وخرّج الإمام أحمد عن ابن عبّاس أنّه قال: <أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خُوَيْلد وفاطمة بنت رسول الله ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فِرعون>.

وقال لعائشة حين قالت: قد رزقك الله خيراً منها، [فقال][[328]](#footnote-328): <لا والله ما رزقني الله خيراً منها؛ آمَنَتْ بي حين كذّبني الناس، وأعطَتْني مالها حين حرمَني الناس>.

وتوفّيت في شهر رمضان بمكّة قبل الهجرة بثلاث سنين، ودُفِنت بالحجون، ونزلَ رسول الله في قبرها، وقبرُها ودارُها المعروفة بمولد فاطمة أفضل مواضع مكّة بعد مسجد الحرام.

والقبر الشريف الآن تحت قبّة لطيفة مرتفعة مبنيّة من الحجر الشميسي، ويحيط بالقبر ضريح من خشب السّاج، وعليه ستر أخضر مزركش، وعلى الستر شال كشميري، وهذه القبّة بناها الأمير محمّد بن سليمان چركز دفتردار مصر في أيّام المرحوم داود باشا نائب الديار المصريّة من جانب السلطان الغازي الأقدس السلطان سليم خان عليه الرحمة والرّضوان، تاريخ بنائها سنة خمسين وتسعمائة، وله خدّام ولهم معاش من صدقات الدولة العثمانيّة.

فمنها: قبر آمنة بنت وهب أمّ سيِّد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام. وروى أبو نعيم بطريق الزّهري عن أسماء بنت رهم عن أمّها قالت: شهدتُ آمنة أمّ النبي في علّتها التي ماتت بها، ومحمّد غلام يفع له خمس سنين فنظرَتْ أمّه إلى وجهه وأنشدَتْ، شعر:

## بارك فيك الله من غلام \* يا ابن الّذي من حومة الحمام

## فأنت مبعوثٌ إلى الأنام \* من عند ذي الجلال والإكرام

## تبعث في الحِلّ وفي الحرام \* تبعث في التحقيق والإسلام

## دين أبيك البرّ إبراهام \* فالله أنهاك عن الأصنام

## أن لا تواليها مع الأقوام

ثمَّ قالت: كلّ حيّ ميّت، وكلّ جديد بال، وكلّ كبير يفنى وأنا منه وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً. ثمَّ ماتت ـ رضي الله تعالى عنها ـ. وقبرها بالحجون، وهو قبالة قبّة خديجة، بينهما طريق يصعد إلى قباب عبد المناف وعبد المطّلب وأبي طالب، وعليه قبّة لطيفة من الحجر الشميسي وضريح من خشب السّاج، عليه ستر أخضر مزركش، وعلى الستر شال كشميري، وهي أيضاً من بناء الدفتردار المرحوم في السنة المرقومة، وله أيضاً خدّام مثل قبر أمّ المؤمنين بلا تفاوت.

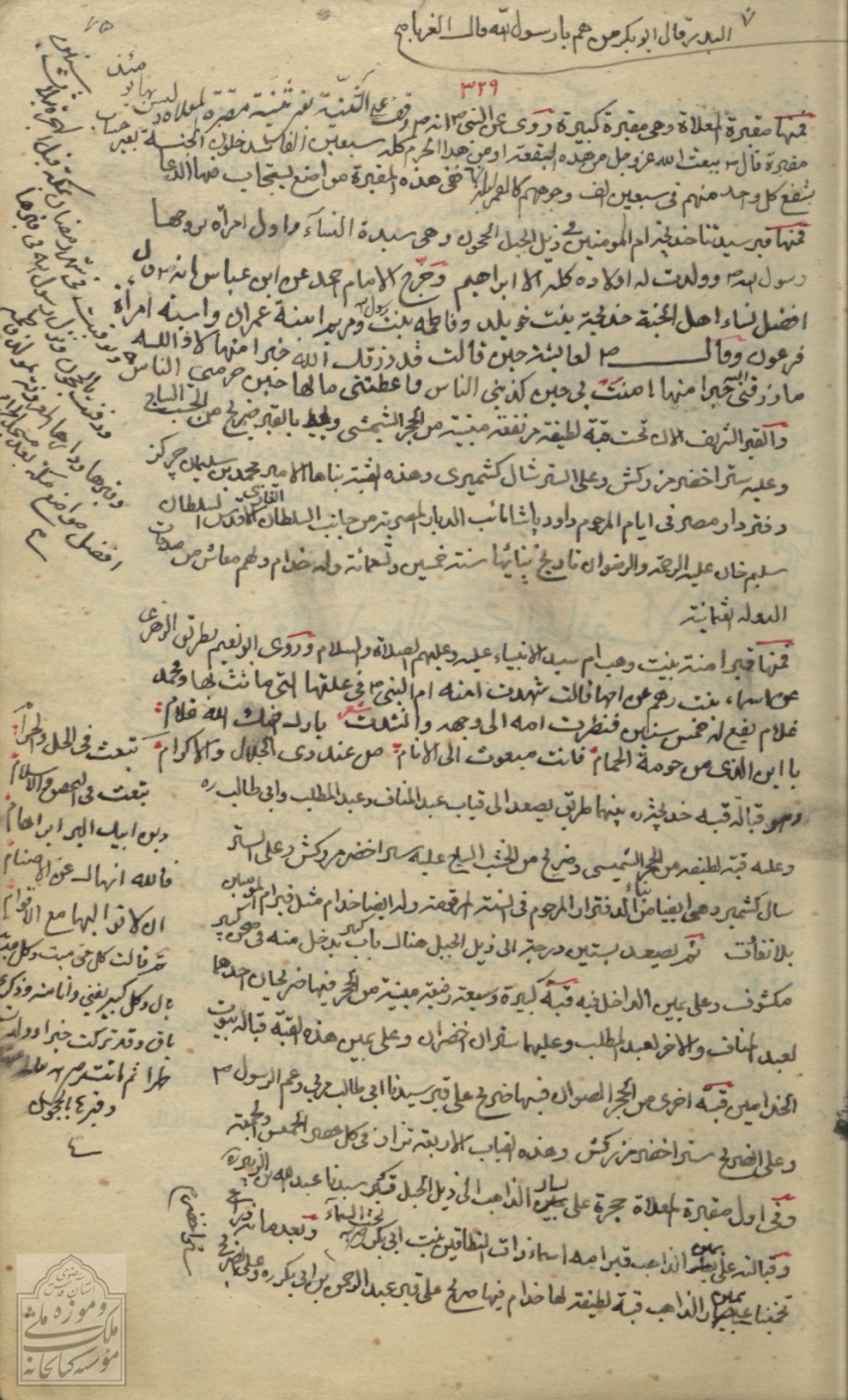
ثمَّ يصعد بستّين درجة إلى ذيل الجبل، هناك باب كبير يدخل منه في صحن كبير مكشوف، وعلى يمين الداخل فيه قبّة كبيرة وسيعة رفيعة مبنيّة من الحجر، فيها ضريحان أحدهما لعبد مناف والآخر لعبد المطّلب، وعليهما ستران أخضران، وعلى يمين هذه القبّة قبالة بيوت الخدّامين قبّة أخرى من حجر الصّوان فيها ضريح على قبر سيّدنا أبي طالب مربّي وعمّ الرسول، وعلى الضريح ستر أخضر مزركش، وهذه القباب الأربعة تُزار في كلّ عصر الخميس والجمعة.

وفي أوّل مقبرة المعلاة حجرة على يسار الذاهب إلى ذيل الجبل، قبر سيّدنا عبدالله بن الزبير، وقبالته على يمين الذاهب قبر أمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر تحت السماء، وبعد مائة ذراع تخميناً على يمين الذاهب قبّة لطيفة لها خدّام فيها ضريح على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، وعلى الضريح ستر أخضر.

وفي مقبرة المعلاة قبر سيّدنا الفضيل بن عبّاس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ. وهو محوطة فيها قبور جماعة من العلماء والمشايخ الصوفيّة، منهم: الشيخ تقيّ الدّين السُّبكي المتوفّى سنة .....[[329]](#footnote-329)، والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطّواشي المتوفّى سنة .....[[330]](#footnote-330).

ومنهم الشيخ عبد اللّطيف النقشبندي المتوفّى سنة .....[[331]](#footnote-331). وفي مقبرة المعلاة قبر سفيان بن عُيَيْنة. وقبر الشيخ أبي الحسن علي الشّولي المتوفّى سنة .....[[332]](#footnote-332)، وقبر سمّاسرة الخير المتوفّى سنة .....[[333]](#footnote-333)، وقبر الملك المسعود عند البئر المعروف ببئر أُمّ سليمان، وقبر الدّالاسي بالقرب من الجبل، المتوفّى سنة .....[[334]](#footnote-334)، وقبر ملاّ علي القاري الهروي صاحب التصانيف الجيّدة، ومنها قبر علاء الدين الكرماني النقشبندي المتوفّى سنة تسع وعشرين وتسعمائة، وله كتب جليلة في الطريقة أجلّها كتابه المنظوم في مقابلة المثنوي.

وعلى الجملة في مقبرة المعلاة قبور كثير[[335]](#footnote-335) من العلماء والأعيان داثرة، ألواحها منكسرة، تحت التراب مستورة، اللّهُمَّ اغفر لأموات المسلمين بجاه سيّد المرسلين.



## صفحة من رحلة أبي القاسم القندهاري ـ نسخة مكتبة ملك الوطنية

## الخاتمة: في المساجد التي في الطّائف.

## الأوّل: مسجد رسول الله في لِيَّه

روى الزبير قال: أقبلنا مع رسول الله من لِيَّه حتّى إذا كنّا عند السدرة وقف رسول الله في طرف القرن الأسود حذوها، فاستقبل نخباً ببصره ووقف حتّى اجتمع الناس كلّهم فقال: إنّ صَيْدَ وَجٍّ وعضاهة حرام محرّم. وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره لثقيف، رواه أحمد وأبو داود.

قوله: لِيَّه ـ بكسر اللاّم وتشديد آخر الحروف بعدهما الهاء ـ، موضع قريب من الطائف بثمانية أميال كثير السّدر، وفيه مسجد لطيف يقال له مسجد النبي، وموضع صلاته محرابٌ كبير ظريف والناس يزورونه ويتبركون بالصلاة في المحراب. وعند باب المسجد حجر فيه أثر خفّ ناقة رسول الله والناس يمسحونه للتبرّك؛ يُقال: في هذا المسجد يُستجاب الدُّعاء.

قوله: نَخباً، ونَخِب ـ بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ثمَّ الباء الموحّدة ـ اسم واد بالطائف.

وقوله: وَجّ، بفتح الواو وتشديد الجيم، وبعضهم يبدّلون الواو بالهمزة، فيُقال:[[336]](#footnote-336) أجّ، اسم قرية من قرى الطائف فيه الكروم والآجاص والخوخ كثيرة، هواؤه لطيف مثل دمشق. وقال أبو الهندي عبد المؤمن بن عبدالقدّوس:

## (شعر)

## فإن تُسقَ من أعناب وجٍّ فإنّنا \* لنا العين تجري من كسيس ومن خمر

وفي الحديث: «إنّ آخر وطأةٍ وطأها الله بوجّ». وأراد بالوطأة الغزاة ههنا، وكانت غزوته آخر غزواته.

وأمّا حديث صيد «وجّ وعضاهة حرام محرّم»، يحتمل أن يكون على سبيل الحمى له، ويحتمل أن يكون حرمه في وقت معلوم ثمَّ نسخ. قال ابن إدريس في السرائر: قال شيخنا أبو جعفر في مسائل خلافه: صيد وجّ ـ وهو بلد باليمن ـ غير محرّم ولا مكروه.

قال محمّد بن إدريس ـ رحمه الله ـ: سمعتُ بعض مشيختنا يصحّف ذلك ويجعل الكلمتين كلمة واحدة فيقول صيدوح ـ بالحاء ـ فأردتُ إيراد المسألة لئلاّ يصحّف.

اعلم أنّ وجّاً بالجيم المشدّدة بلدة بالطّائف لا اليمن، وفي الحديث: آخر وطاة وطأها الله بوجّ ـ يريد غزوة الطائف ـ، قال الشاعر:

## فإن تُسقَ من أعناب وجّ فإنّنا \* لنا العين تجري من كسيس ومن خمر

الكسيس بالسينين غير المعجمتين نبيذ التمر. وقال النميري في زينب بنت يوسف أخت الحَجّاج:

## مررن بوجّ رائحات عشيّة \* يلبّين للرّحمن معتجرات

وكانت قد نذرت أن تمشي من الطائف ماشية، وبين الطائف ومكّة يومان، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً، وجعلت بطن وجّ مرحلة وهي قدر ثلاثمائة ذراع. وفي وجّ أيضاً مسجد لطيف فيه موضع صلاة رسول الله، ويُقال إنّ الدُّعاء في هذا المسجد مستجاب.

## وأمّا الطائف:

قال صاحب صور الأقاليم: والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى إلاّ أنّ أكثر ثمارها الزبيب، وهي طيّبة الهواء، وأكثر فواكه مكّة المعظّمة منها، وهي ظهر جبل غزوان، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل؛ قال: وليس بحجاز فيما علمته مكان هو أبرد منه ـ أي رأس هذا الجبل ـ وليس بحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته، انتهى.

وفيها مسجد رسول الله وهو في وسط المسجد الكبير المعروف بمسجد عبد الله بن عبّاس ومسجد رسول الله من هذا المسجد الجامع بين قبّتين صغيرتين يُقال إنّهما بُنيتا في موضَعي خيمتَي زوجتَيه اللّتين كانتا معه، وهما أمّ سَلَمَة وعائشة؛ وبين القبّتين محراب النبي، وفي حائط المحراب رأيتُ مكتوباً:

## (لغز في القرآن)

## فأيّ شيء عُشره نصفه \* ونصفه تسعة أمثاله

فبعد التأمّل كتبتُ تحته الحلّ: قوله عُشره نصفه، أي نصف عدد سوره وهو من قَدْ سَمِعَ اللهُ،[[337]](#footnote-337) إلى آخر القرآن ثلاثة أجزاء، وهو عُشر الثلاثين، وذلك سبع وخمسون سورة، وهو نصف عدد سور القرآن، والنصف الآخر تسعة أمثال العُشر من ثلاثين، والله يعلم.

وللمسجد أربعة أروقة في قبلته، وله ثلاثة أبواب في يمينه ويساره ومؤخّره، وفي ركنه الأيمن القبلي قبر عبد‌ الله بن عبّاس ابن عمّ رسول الله، وفي ركنه الأيسر منارة عالية بُنِيَت في أيّام أبي العبّاس أحمد، وخلفه تحت المنارة بئر ينزل فيها إلى الماء بخمس وثلاثين درجة، وفي المسجد عند القبّة ثلاثة قبور، وحذاؤها إلى القبلة ثلاثة أخرى على يمين الداخل من الباب، وعلى أحدها مكتوب هذا قبر لبابة بنت الحارث أخت ميمونة زوجة النبي، توفّيت سنة ثمان وستّين، وأيضاً على أحدها مكتوب: هذا قبر زبيدة، توفّيت في جمادى الآخرة من سنة خمس وستّين وثلاثمائة.

أقول: الظاهر أنّ زبيدة هذه غير زبيدة بنت جعفر امرأة هارون الرشيد؛ فقد ذكر المسعودي أنّ زبيدة بنت جعفر توفّيت في سنة عشرة ومائتين في خلافة المأمون، انتهى.

# 

## مصادر التحقيق:

1. القرآن الكريم.

2. إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط4، 1416هـ / 1996م.

3. تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي، بيروت، دار الكتب العلمية، (لا ت).

4. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، محمد جار الله ابن ظهيرة المكّي، ط5، 1399هـ / 1979م.

5. الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دمشق، دار المعرفة، ط 1، 1419هـ / 1998م.

6. الدُّرَر الفرائد المُنَظّمة في أخبار الحاجّ وطريق مكّة المعظّمة، عبد القادر بن محمد الأنصاري الحنبلي، تحقيق: محمدحسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ / 2002م.

7. ديوان أبي طالب، جمعه وعلق عليه: عبد الحق العاني، المملكة المتحدة ـ فنلندة، دار كوفان للنشر، ط1، 1411هـ / 1991م.

8. ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: إسماعيل اليوسف، دمشق، دار كرم، (لا ت).

9. رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، بيروت، دار صادر، (لا ت).

10. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي البغدادي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ / 2002م.

11. شرح أدب الكاتب، أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، القاهرة، مكتبة القدسي، 1350هـ.

12. الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا، جمال الدين محمد بن علي الشيبي، تحقيق: منصور صالح أبو ريّاش، مكة المكرمة، ط1، 1421هـ / 2000م.

13. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين الفاسي، تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2007.

14. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 8، 1426هـ /2005م.

15. القِرى لقاصد أم القرى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، (لا م)، (لا ت).

16. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، القاهرة، دار المعارف.

17. "المخبل السعدي: حياته وما تبقّى من شعره"، حاتم الضامن، مجلة المورد، المجلد2، العدد1، 1973م.

18. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بالحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1422هـ / 2002م.

19. المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ياقوت بن عبدالله الحموي، بيروت، عالم الكتب، ط2، 1406هـ /1986م.

20. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، دار صادر، 1399ق / 1977م.

21. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، محب الدين محمد ابن رُشَيد السّبتي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408هـ / 1988م.

22. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، علي بن تاج الدين السنجاري، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط 1، 1419هـ / 1998م.

23. نظم الدُرَر السَّنيّة في السِّيَر الزَكيّة، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: طارق بن سعيد بن سالم آل عبد الحميد، بيروت، دار اللؤلؤة، ط1، 1431هـ / 2008م.

# 

# أَخْـبَارُ الْحَرَمَيْنِ الشَرِيفَيْن

## 1ـ [استكمال تركيب المذهبات لثوب الكعبة](http://www.alalam.ir/news/1823169)

انتهى مصنع كسوة الكعبة المشرفة بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي من تركيب المذهبات للحجر الأسود والميزاب، بعد أن تمّ تركيب المذهبات للركن اليماني بالكعبة المشرفة.

وأوضح مدير مصنع كسوة الكعبة المشرفة الدكتور محمد باجودة أنه امتداداً للعناية بالحرمين الشريفين وكسوة الكعبة المشرفة بصناعتها بجوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فقد استكملت الرئاسة تركيب المذهبات حول الحجر الأسود بمحيط قدره 155 سنتيمتراً، وارتفاع يبلغ 129 سنتيمتراً، وسماكة تبلغ 15 سنتيمتراً، وهذه الحلية تهدف إلى إضفاء زينة ورونق على الحجر الأسود، الذي يتسابق زوّار وقاصدو المسجد الحرام لتقبيله، تأسّياً بسنّة المصطفى.

# C:\Users\meqdadi\Desktop\38872.jpg

# الحجر الأسود

وأفاد باجودة بأنّ حلية «ميزاب» الكعبة المشرفة التي يبلغ قياسها «170×77 سم»، إضافة إلى حلية الركن اليماني التي تبلغ مقاساتها «115×92 سم» وسماكة «15 سم» قد تمت إضافتها في إطار جهود الابتكار والتطوير لحياكة أرفع رداء يعتلي أشرف بناء على وجه الأرض، وأنّ الحياكة تمت في مصنع الكسوة بأيدي صناع سعوديين مؤهلين باستخدام آخر ما توصلت إليه المهارات والتقنيات الحديثة.

## 2ـ 17 ألف مخطوطة أصلية بمكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة

بدأت مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، تنفيذ المرحلة النهائية من نقل محتويات المكتبات الوقفية المودعة فيها إلى المقر المؤقت لمجمع الملك عبدالعزيز للمكتبات الرقمية.



## من مخطوطات مكتبة الشيخ عارف حكمت

وتعدّ مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنوّرة ـ التي تحظى باهتمام المسؤولين للارتقاء بها إلى أعلى درجات الخدمة المكتبية الحديثة وتهيئة المناخ العلمي للباحثين التي تجمع بين خصائص المكتبة العامة ومركز المخطوطات ومركز البحث العلمي ـ من أكبر المكتبات، وهي مركز إسلامي علمي إعلامي.

# C:\Users\meqdadi\Desktop\49934.jpeg

## مخطوطة في مجموعة الشيخ عارف حكمت

وأوضح مديرعام مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة الدكتور محمد سيد الشنقيطي، أنه أعدت خطة لنقل محتويات المكتبة، التي سيجري إزالة مبناها لصالح توسعة المسجد النبوي الشريف بالتعاون مع إدارة الملك عبدالعزيز، المشتملة على عدة مراحل بدأت منذ الثالث من شهر رجب العام الماضي بنقل المخطوطات التابعة لعشرين مكتبة وقفية، ثم تبعها في شهر شوال الماضي تنفيذ المرحلة الثانية في نقل الكتب النادرة التي يتجاوز تاريخ طباعتها المئة عام.

وأضاف أنه صاحب هاتين المرحلتين عملية ترقيم المحتويات بنظام (RFID) وتعقيم المخطوطات والكتب بالأوزون عبر المعامل المتحركة التابعة، «لوحدة التعقيم المتنقلة في مركز الترميم والمحافظة على المواد التاريخية»، كما اشتملت عمليات النقل على الجرد والإيداع في المستودع الرقمي لتوثيق جميع محتويات المكتبات الوقفية من جميع المقتنيات.

وذكر الشنقيطي أنّ مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، التي تأسست في بداية عام 1393هـ في ساحة المسجد النبوي من الجهة الغربية عندما وضع حجر أساسها، تضم المصحف الشريف وعدداً من المصاحف المخطوطة البالغ عددها (1878) مصحفاً، و(84) مجموعة ربعة قرآنية تعكس مدى اهتمام العلماء المسلمين بكتاب الله الكريم.

وأضاف أنّ المكتبة تضم أيضاً أقدم مصحف مخطوط يعود تاريخه إلى عام 488هـ بخط علي بن محمد البطليوسي كُتب على رق الغـزال, ويتلوه مصحف كتب عام 549هـ بخط أبي سعد محمد إسماعيل بن محمد وأهدي عام 1253هـ، بالإضافة إلى مصحفاً متميزاً مخطوطاً بخط غلام محي الدين سنة 1240هـ وزنه (154 كيلو جراماً) والمعروضة حالياً في معرض القرآن الكريم الواقع بجوار المسجد النبوي الشريف.

وبيّن أنّ المخطوطات بالمكتبة تبلغ عددها حوالي (000 .17) مخطوطة أصلية توليها المكتبة عناية خاصة، فيما يضم قسم الكتب النادرة ضمن مجموعاتها الخاصة عدداً من الكتب النادرة يبلغ مجموعها حوالي (000 .30) كتاب في قاعة مستقلة خاصة بها.

وأضاف أن المكتبة تحتوي أيضاً على قسم المطبوعات الحديثة، التي يبلغ عدد الكتب فيها حوالي (000 .60) كتاب مفهرسة ومنظمة ومصنفة تغطي معظم جوانب المعرفة.

كما تحوي مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة على العديد من المكتبات الموقوفة منها مكتبة الشيخ عارف حكمت التي أنشأها في المدينة المنورة سنة 1270هـ - 1853م التي تعد ثروة أدبية للمدينة المنورة في العصر الحديث لغناها بالمخطوطات القيمة والنادرة في شتّى العلوم والفنون وتزخر بالكثير من التّراث الإسلامي المكتوب باللغات العربيّة والفارسيّـة والعثمانيّة.

# 

1. . من لايحضره الفقيه 2 : 519. [↑](#footnote-ref-1)
2. . القدري في الأخبار يطلق على الجبري والتفويضي، والمراد في هذا الخبر هو الثاني وقد أحال كلّ من الفريقين ماورد في ذلك على الآخر وقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة في كتب الفريقين مثل قوله:‌ <لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً>. وقوله: <القدرية مجوس أمّتي>. [↑](#footnote-ref-2)
3. . استخفّ به. [↑](#footnote-ref-3)
4. . تفسير العياشي 1 : 23ـ24؛ بحارالأنوار 5 : 55. [↑](#footnote-ref-4)
5. . مسند الشافعي،ترتيب سنجر، 2 : 170. [↑](#footnote-ref-5)
6. . سنن البيهقي 5 : 288. [↑](#footnote-ref-6)
7. . المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-7)
8. . شعب الإيمان، للبيهقي 5 : 449؛ وفي سننه الكبرى 5 : 288. [↑](#footnote-ref-8)
9. . سنن أبي داود، باب موضع الوقوف بعرفة 2 : 189 وبهامشه تحقيق الألباني وحكمه بالصحّة؛ والترمذي، باب ما جاء في الوقوف بعرفات 3 : 221؛ وسنن النسائي 5 : 255؛ وسنن ابن ماجة 4 : 215؛ واللفظ لأبي داود أمّا لفظ الترمذي وغيره فكما يلي: <كونوا على مشاعركم فإنّكم على إرث من إرث إبراهيم>. [↑](#footnote-ref-9)
10. . صحيح البخاري 4 :‌ 142، الحديث 3364. [↑](#footnote-ref-10)
11. . صحيح مسلم 4 : 39ـ43، باب حجّة النبي؛ سنن أبي داود 2 : ... برقم1905؛ شرح صحيح مسلم للنووي : 7 ـ 8 ، باب حجّة النبي برقم 2941. [↑](#footnote-ref-11)
12. . الفقيه 2 :‌ 519 كتاب الحجّ، باب نوادر الحجّ، برقم3113. [↑](#footnote-ref-12)
13. . تهذيب الأحكام 5 : 72 ـ 73، باب إذا لبس الإنسان قميصاً... [↑](#footnote-ref-13)
14. . المصدر نفسه 5 : 407، الحديث 63. [↑](#footnote-ref-14)
15. . الصافات : 107. [↑](#footnote-ref-15)
16. . البقرة : 158. [↑](#footnote-ref-16)
17. . البقرة : 125. [↑](#footnote-ref-17)
18. . البقرة : 127. [↑](#footnote-ref-18)
19. . الحج : 26. [↑](#footnote-ref-19)
20. . البقرة : 125. [↑](#footnote-ref-20)
21. . الحج : 27. [↑](#footnote-ref-21)
22. . الحج : 29. [↑](#footnote-ref-22)
23. . الحج 26. [↑](#footnote-ref-23)
24. . البقرة : 196. [↑](#footnote-ref-24)
25. . العنكبوت : 26. [↑](#footnote-ref-25)
26. . الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت1090هـ). [↑](#footnote-ref-26)
27. . الشعراء : 62. [↑](#footnote-ref-27)
28. . الأنعام : 79. [↑](#footnote-ref-28)
29. . تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت 606 هـ): الآيات بتصرف بسيط. [↑](#footnote-ref-29)
30. . النحل: 120-123. [↑](#footnote-ref-30)
31. . النساء : 125. [↑](#footnote-ref-31)
32. . الأنعام : 161. [↑](#footnote-ref-32)
33. . الأنبياء : 70. [↑](#footnote-ref-33)
34. . الصافات : 98. [↑](#footnote-ref-34)
35. . سيد قطب, في ظلال القرآن، الآية :99 الصافات. [↑](#footnote-ref-35)
36. . تفسير التحرير والتنوير : الآية. [↑](#footnote-ref-36)
37. . الصافات : 100. [↑](#footnote-ref-37)
38. . إبراهيم : 40. [↑](#footnote-ref-38)
39. . البقرة : 124. [↑](#footnote-ref-39)
40. . البقرة : 128. [↑](#footnote-ref-40)
41. . الحج : 26. [↑](#footnote-ref-41)
42. . تفسير التحرير والتنوير : الآية. [↑](#footnote-ref-42)
43. . مريم: 53 . [↑](#footnote-ref-43)
44. . الأنعام: 84 . [↑](#footnote-ref-44)
45. . الأنبياء: 90. [↑](#footnote-ref-45)
46. . الأنبياء : 71 . [↑](#footnote-ref-46)
47. . انظر التحرير والتنوير : الآية . [↑](#footnote-ref-47)
48. . تفسير الكشاف؛ والجامع لأحكام القرآن؛ والتحرير والتنوير : الآية . [↑](#footnote-ref-48)
49. . الصافات : 101. [↑](#footnote-ref-49)
50. . سورة الحجر: 51 ـ 65 . [↑](#footnote-ref-50)
51. . سورة الذاريات: 24ـ 28ـ 29ـ30 . [↑](#footnote-ref-51)
52. . الصافات : 112. [↑](#footnote-ref-52)
53. . الأنبياء : 72. [↑](#footnote-ref-53)
54. . انظر في ظلال القرآن؛ الآيات . [↑](#footnote-ref-54)
55. . التوبة : 114. [↑](#footnote-ref-55)
56. . هود : 75 . [↑](#footnote-ref-56)
57. . هود : 87 . [↑](#footnote-ref-57)
58. . انظر التحرير والتنوير؛ ومجمع البيان، للطبرسي؛ الجامع لأحكام، القرآن للقرطبي؛ وتفسير زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت 597 هـ)؛ تفسير البحر المحيط، أبو حيان (ت 754 هـ). [↑](#footnote-ref-58)
59. . مجمع البيان، للطبرسي. [↑](#footnote-ref-59)
60. . الجامع لأحكام القرآن: الآيات في سورة الصافات. [↑](#footnote-ref-60)
61. . مجمع البيان، للطبرسي؛ تفسير الرازي؛ وتفسير الكشاف، الزمخشري (ت538هـ). [↑](#footnote-ref-61)
62. . النحل :120 – 122. [↑](#footnote-ref-62)
63. . العنکبوت : 46. [↑](#footnote-ref-63)
64. . تفسير التحرير والتنوير : الآية . [↑](#footnote-ref-64)
65. . الأنبياء : 85. [↑](#footnote-ref-65)
66. . مريم : 54. [↑](#footnote-ref-66)
67. . الصافات : 99. [↑](#footnote-ref-67)
68. . الصافات : 100. [↑](#footnote-ref-68)
69. . تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت 606 هـ)؛ سورة الصافات 101 -107. المسألة الثانية، بتصرف بسيط. [↑](#footnote-ref-69)
70. . تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت310هـ)؛ الصافات:100-112؛ وتاريخ الطبري 1 : 158-163. [↑](#footnote-ref-70)
71. . الصافات : 99. [↑](#footnote-ref-71)
72. . مريم : 49. [↑](#footnote-ref-72)
73. . الأنبياء : 85 . [↑](#footnote-ref-73)
74. . تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت671هـ)؛ الصافات100–112. [↑](#footnote-ref-74)
75. . هود : 71 . [↑](#footnote-ref-75)
76. . انظر معاني القرآن، للنحاس : الآيات . [↑](#footnote-ref-76)
77. . البقرة : 127 . [↑](#footnote-ref-77)
78. . تفسير الأمثل : الآيات . [↑](#footnote-ref-78)
79. . الصافات : 112. [↑](#footnote-ref-79)
80. . الحجر : 53 . [↑](#footnote-ref-80)
81. . هود : 71 . [↑](#footnote-ref-81)
82. . تفسير تفسير القرآن الكريم، لابن كثير (ت774 هـ)؛ الصافات . [↑](#footnote-ref-82)
83. . مجمع البيان : الآيات . [↑](#footnote-ref-83)
84. . إنجيل برنابا، الفصل 44، آية :11ـ12. [↑](#footnote-ref-84)
85. . تفسيرالميزان: 240ـ241 في ذيل المقطع من الآية: 74ـ83 سورة الأنعام، بتلخيص. [↑](#footnote-ref-85)
86. . تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن، الشنقيطي (ت1393هـ). [↑](#footnote-ref-86)
87. . التحرير والتنوير . [↑](#footnote-ref-87)
88. . انظر تفسير الطبري؛ الآيات من سورة الصافات . [↑](#footnote-ref-88)
89. . تفسير الميزان؛ تفسير مجمع البيان : الآيات من سورة الصافات. [↑](#footnote-ref-89)
90. . انظر الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني عن الكافي. [↑](#footnote-ref-90)
91. . انظر تفسير البرهان، ومجمع البيان: الآيات. وتفسير نور الثقلين للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي 4 ؛ سورة الصافات؛ رقم: 77، 79، 81، 82، 75، 91. وغيرها. [↑](#footnote-ref-91)
92. . انظر تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي : الآيات . [↑](#footnote-ref-92)
93. . المعجم الوسيط، الفاء؛ مجمع البيان، للطبرسي؛ إعراب القرآن الكريم، 8 : 296؛ الجامع لأحكام القرآن؛ تفسير مجمع البيان؛ وتفسير الرازي؛ وتفسير ابن كثير؛ والتحرير والتنوير، وغيرها: الآية. [↑](#footnote-ref-93)
94. . مجمع البيان، سورة الشمس : 1. [↑](#footnote-ref-94)
95. . انظر في ظلال القرآن؛ والكشاف، للزمخشري؛ ومجمع البيان، للطبرسي؛ وتفسير التحرير والتنوير: الآيات. [↑](#footnote-ref-95)
96. . انظر التفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ تفسير مجمع البيان، للطبرسي؛ تفسير ابن كثير؛ وتفسير البرهان، للشيخ هاشم الحسيني البحراني (ت 1107هـ). [↑](#footnote-ref-96)
97. . في ظلال القرآن : الآية . [↑](#footnote-ref-97)
98. . تفسير الأمثل، للشيخ مكارم الشيرازي : الآيات . [↑](#footnote-ref-98)
99. . الصافات 108-113 . [↑](#footnote-ref-99)
100. . التحرير والتنوير : الآيات . [↑](#footnote-ref-100)
101. . انظر في ظلال القرآن : الآيات. [↑](#footnote-ref-101)
102. 1. كمال الدين، الشيخ الصدوق : 238؛ بحار الأنوار 29 : 340؛ مسند الرضا، داود بن سليمان الغازي : 203. [↑](#footnote-ref-102)
103. 2. أنظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول للشيخ منصور علي ناصف، من علماء الأزهر الشريف1: 47 ؛ كتاب الإسلام والإيمان. و3: 348 كتاب الفضائل، وغيره من المصادر. [↑](#footnote-ref-103)
104. . هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي 1 : 25. [↑](#footnote-ref-104)
105. . المصدر نفسه 5 : 8 . [↑](#footnote-ref-105)
106. . جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن 20 :108؛ الوسائل الباب12 من أبواب المزار. [↑](#footnote-ref-106)
107. . الكافي، الشيخ الكليني 1 : 439. [↑](#footnote-ref-107)
108. . المصدر نفسه 1 : 448. [↑](#footnote-ref-108)
109. . غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، الميرزا القمي 6 : 65؛ إعلام الورى بأعلام الهدى: 13؛ بحار الأنوار 15 : 248؛ الدرر النجفيّة : 67. [↑](#footnote-ref-109)
110. . كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء4 : 51؛ الكافي 1 : 439. [↑](#footnote-ref-110)
111. . مستند الشيعة، المحقق النراقي 13 : 95. [↑](#footnote-ref-111)
112. . جواهر الکلام17 :98. [↑](#footnote-ref-112)
113. . الدروس، الشهيدالأول 1 : 468. [↑](#footnote-ref-113)
114. . مناسك الحج، السيد الگلپايگاني : 168. [↑](#footnote-ref-114)
115. . الدروس، الشهيدالأول 1 : 468. [↑](#footnote-ref-115)
116. . مستند الشيعة، المحقق النراقي 13 : 95. [↑](#footnote-ref-116)
117. . جواهر الكلام 20 : 69. [↑](#footnote-ref-117)
118. . مناسك الحج، السيد الگلپايگاني : 168. [↑](#footnote-ref-118)
119. . الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي : 97. [↑](#footnote-ref-119)
120. . بحارالأنوار 22 : 167، نقلاً عن المنتقى في مولد المصطفى، الباب الثامن. [↑](#footnote-ref-120)
121. . مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني 1 : 299؛ بحار الأنوار 17 : 313. [↑](#footnote-ref-121)
122. . المناقب، ابن شهرآشوب 1 : 43. [↑](#footnote-ref-122)
123. . بحار الأنوار، العلامة المجلسي 15 : 363 ؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد13: 208. [↑](#footnote-ref-123)
124. . مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي 8 :451. [↑](#footnote-ref-124)
125. . مسند الإمام علي 1 : 255. [↑](#footnote-ref-125)
126. . الفصول المختارة، الشيخ المفيد :‌21؛ بحار الأنوار 10 : 410. [↑](#footnote-ref-126)
127. . الخرائج والجرائح، القطب الراوندي 3 : 1030. [↑](#footnote-ref-127)
128. . بحار الأنوار 17 : 346. [↑](#footnote-ref-128)
129. . المصدر نفسه 17 : 350. [↑](#footnote-ref-129)
130. . مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي 6 : 17. [↑](#footnote-ref-130)
131. . تفسير الميزان 19 : 59. [↑](#footnote-ref-131)
132. . المصدر نفسه 19 : 60. [↑](#footnote-ref-132)
133. . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي 17 : 300. [↑](#footnote-ref-133)
134. . حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني 1 : 138. [↑](#footnote-ref-134)
135. . سورة الأنفال : 30. [↑](#footnote-ref-135)
136. . شجرة طوبى، الحائري 1 : 236 ـ 237. [↑](#footnote-ref-136)
137. . تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي 2 :65؛ التفسير الصافي، الفيض الكاشاني 2: 344. [↑](#footnote-ref-137)
138. . موسوعة الإمام علي : 166. [↑](#footnote-ref-138)
139. . السيرة النبوية، للشامي 3 : 233. [↑](#footnote-ref-139)
140. . مناسك الحج، السيد الگلپايگاني : 168. [↑](#footnote-ref-140)
141. . الكافي، الكليني 1 : 439؛ الوافی, الفيض الكاشاني 3 : 722. [↑](#footnote-ref-141)
142. . روضة الواعظين، الفتال النيشابوري : 53. [↑](#footnote-ref-142)
143. . مرآة العقول، العلامة المجلسي 5 : 173. [↑](#footnote-ref-143)
144. . جواهر التاريخ (السيرة النبوية)، الشيخ علي الكوراني 1 : 337. [↑](#footnote-ref-144)
145. . الكافي 1 : 659. [↑](#footnote-ref-145)
146. . روضة الواعظين : 54. [↑](#footnote-ref-146)
147. . دراسات في ولاية الفقيه...، الشيخ حسينعلي المنتظري 1 : 607. [↑](#footnote-ref-147)
148. . الوافي، الفيض الكاشاني 2 : 171 نقلاً عن الكافي. [↑](#footnote-ref-148)
149. . روضة الواعظين، الفتال النيشابوري : 221. [↑](#footnote-ref-149)
150. . شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني 11 : 316. [↑](#footnote-ref-150)
151. . مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الاصفهاني : 290. [↑](#footnote-ref-151)
152. . شجرة طوبى، الشيخ محمدمهدي الحائري 1 : 169. [↑](#footnote-ref-152)
153. . مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي 2 : 321. [↑](#footnote-ref-153)
154. . سيرة الإمام علي 1 : . [↑](#footnote-ref-154)
155. . الأمالي، الشيخ الطوسي : 341. [↑](#footnote-ref-155)
156. . بحار الأنوار 17 : 348ـ353. [↑](#footnote-ref-156)
157. . المصدر نفسه 22 : 65. [↑](#footnote-ref-157)
158. . انظر الخبر فى «إمتاع الأسماع» للمقريزى المؤرخ 1 : 381. [↑](#footnote-ref-158)
159. . تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي 1 :404. [↑](#footnote-ref-159)
160. . نهاية الأحكام، العلامة الحلي 2 : 292. [↑](#footnote-ref-160)
161. . بحار الأنوار 99 : 277. [↑](#footnote-ref-161)
162. . الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس:181؛ وفي الهامش معجم ما استعجم2: 401، وياقوت (جواثاء). [↑](#footnote-ref-162)
163. . وللمزيد، انظر مقالتنا (قراءة في ظاهرة الردّة ) في العدد 41 من هذه المجلة، وأنصح بمراجعة مقدمة كتاب الإمام الحسين عليه السلام للشيخ عبد الله العلايلي، وكتاب نصوص الردّة في تاريخ الطبري؛ نقد وتحليل، بقلم الشيخ محمد حسن آل ياسين؛ البداية والنهاية، لابن كثير: 6 فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد. [↑](#footnote-ref-163)
164. . انظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 18 : 56 – 58 . [↑](#footnote-ref-164)
165. . انظر تهذيب التهذيب 4 : 422 ؛ والاستيعاب؛ والإصابة، وتاريخ بغداد8 : 439. [↑](#footnote-ref-165)
166. . المِخرف: الزنبيل الصغير الذي يُجتبى فيه أطايب الثمار في الخريف. والمِخرفة: البستان. والسّكة بين صفين من نخيل، والطريق الواضح، جمع مخارف ومخاريف. أو <مخاريق الكلام> المِخْراقُ: السَّيْفُ والسَّيِّدُ، والمِخْراقُ أيضاً: السَّخِي الجَوادُ.

     كـــأَنَّ سُيـُوفَـنا مِـنّا ومِنهُم مَخار‌ِيقٌ بأيْدِي لاعِبينَا.

     وفي حديثِ علي: <البَرْقُ مَخاريقَ الملائِكَة>. أي: آلَة يزْجى بها المَلائِكَةُ السَّحابَ وتَسوقه. وهُوَ مِخْراق حَرْب أَي: صاحِب حرُوب... [↑](#footnote-ref-166)
167. . انظر أقوالهم في مروج الذهب2 : 344-345؛ والعقد الفريد3: 366، 4: 317؛ والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار للمقدسي:51 ؛ تاريخ الطبري 2: 635، سنة 33؛ تاج العروس؛ والمعجم الوسيط 229،230، المِخرف، المِخْراقُ... [↑](#footnote-ref-167)
168. . شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 18 : 56. [↑](#footnote-ref-168)
169. . كنز العمال، المتقي الهندي 12: 64؛ وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين 1 :242؛ مجمع الزاوئد ومنبع الفوائد، الهيثمي 8: رقم 13624وغيرها. [↑](#footnote-ref-169)
170. . الاستيعاب؛ أسد الغابة؛ الإصابة رقم 4134؛ سير أعلام النبلاء 3: 525؛ الإصابة في تمييز الصحابة،2957 . [↑](#footnote-ref-170)
171. . انظر الاستيعاب؛ وأسد الغابة؛ والإصابة رقم 4134؛ وسير أعلام النبلاء 3: 525؛ والإصابة في تمييز الصحابة 2957؛ و زاد عليها ابن عساكر ثلاثة أبيات؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين7: 102؛ الأعلام، للزركلي. [↑](#footnote-ref-171)
172. . انظر في هذا كلّه الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ وسير أعلام النبلاء3: 525 رقم 133 ترجمة زيد بن صوحان؛ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ترجمة صعصعة بن صوحان؛ و تاريخ الطبري2: 292؛ والإصابة رقم 3632؛ تاريخ الطبري3 : 27ـ42 سنة 36؛ كتاب الطبقات أو طبقات خليفة بن خياط (ت240 هجرية ) ص 144 . وانظر الإصابة رقم 2912 أيضاً. [↑](#footnote-ref-172)
173. . انظر دلائل النبوة للبيهقي 6 : 416، وغيره؛ وطبقات ابن سعد 6: 84؛ وكتاب الأغاني 5: 144، رقم الحديث 147؛ والاستيعاب؛ وأسد الغابة وغيرها. [↑](#footnote-ref-173)
174. . انظر الطبقات لابن سعد 6 : 85؛ وسير أعلام النبلاء 3: 526 ـ 527؛ الاستيعاب 1: 540؛ الإصابة 1: 566؛ تاريخ بغداد 8: 440؛ باب الزاي رقم 4502؛ الإصابة؛ وتاريخ ابن عساكر. [↑](#footnote-ref-174)
175. . الاستيعاب؛ طبقات ابن سعد؛ شرح نهج البلاغة 15 : 99-100؛ وفتوح ابن أعثم 2: 161-162؛ وانظر مقالتنا <أبوذر الغفاري، وحده> مجلة ميقات الحج 13 :198. [↑](#footnote-ref-175)
176. . سير أعلام النبلاء للذهبي؛ والإصابة؛ وطبقات ابن سعد: زيد بن صوحان. [↑](#footnote-ref-176)
177. . انظر  لسان العرب 8 : حرف الشين: شحح؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 19: 106 رقم 259؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي المالكي (ت463)؛ تهذيب الكمال، للمزني عن طبقات ابن سعد؛ وأسد الغابة، لابن الأثير حرف الصاد؛ ومروج الذهب 2 : 344ـ345؛ وسير أعلام النبلاء؛ والأعلام، صعصعة بن صوحان؛ وانظر[العلل، لابن أبي حاتم](https://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_no=387&pid=197777) رقم الحديث: 2329، ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور4 : 4 صعصعة بن صوحان. [↑](#footnote-ref-177)
178. . مروج الذهب 1 : 364 .. أو 3 : 46-47. [↑](#footnote-ref-178)
179. . انظر تاريخ الطبري 2: 635 سنة 33؛ والكامل في التاريخ، لابن الأثير سنة 33 سير عثمان نفراً من أهل الكوفة إلى الشام؛‏ ونهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري 5: 306. [↑](#footnote-ref-179)
180. . تاريخ الطبري2 : 539-634، سنة 33؛ و[الفتوح، لابن أعثم الكوفي](https://www.google.com.au/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwiB55WVgOrJAhXMMSYKHT8xCbMQFggfMAA&url=http%3A%2F%2Fmajles.alukah.net%2Ft94215%2F&usg=AFQjCNHQxv6aZl_Sg85oj9a_YiQIKFGwvg) 2 : 177؛ وأنساب الأشراف 5: 43؛ والكامل في التاريخ، لابن الأثير(630هـ) سنة 33. [↑](#footnote-ref-180)
181. . انظر الفائق في غريب الحديث، الزمخشري جار الله، (ت 538هـ). [↑](#footnote-ref-181)
182. . مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني : 50؛ شرح نهج البلاغة،1 : 25، [القول في نسب أمير المؤمنين علي و ذكر لمع يسيرة من فضائله](http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/07/book_01/kh0004.htm)؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين 1 : 323. [↑](#footnote-ref-182)
183. . العنكبوت 1ـ3. [↑](#footnote-ref-183)
184. . كتاب الجمل 248، 313؛ البداية والنهاية7: 236 وفيها: (... فَقَامَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إلَى أمِير‌ِالْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ، سِيرُوا إليه...)؛ الفتوح 2 : 291-292. [↑](#footnote-ref-184)
185. . العقد الفريد 2 : 227 ؛ شرح نهج البلاغة 2 : 81؛ وكتاب الجمل، للشيخ المفيد 430-431؛ وتاريخ الطبري 3 : 26 سنة 36. [↑](#footnote-ref-185)
186. . كتاب الجمل، للشيخ المفيد 244-249؛ تاريخ الطبري 3 : 26-27 سنة 36؛ وفيه: يا عبد الله بن قيس، وهو اسم أبي موسى الأشعري؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 14 : 19ـ20. [↑](#footnote-ref-186)
187. . الفتوح  ٢  :  ٤٦٧. [↑](#footnote-ref-187)
188. . كتاب الجمل، للشيخ المفيد 346؛ والإصابة، لابن حجر 5: 122، رقم 6513؛ والاشتقاق 246-247؛ وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: 258. [↑](#footnote-ref-188)
189. . شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 1: 258 . [↑](#footnote-ref-189)
190. . [تاريخ دمشق، لابن عساكر](https://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_no=798&pid=375877)، [حرف الزاي](https://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_no=798&pid=377831)، زيد بن صوحان، رقم الحديث: 18382؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي، تحت عنوان: [وممن أدرك زمان النبوة](http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=412&idto=477&lang=&bk_no=60&ID=346)، زيد بن صوحان. [↑](#footnote-ref-190)
191. . انظر دلائل النبوّة، للبيهقي 6 : 416-417؛ وتاريخ دمشق، لابن عساكر19: 444. [↑](#footnote-ref-191)
192. . دلائل النبوّة، للبيهقي 6 : 416-417؛ وتاريخ دمشق، لابن عساكر 19 : 444؛ والاستيعاب 1: 560 - 561، باب الزاي؛ والإصابة 1 :583؛ وأُسد الغابة 2 : 140؛ أعيان الشيعة؛ زيد بن صوحان. [↑](#footnote-ref-192)
193. . النساء : 94. [↑](#footnote-ref-193)
194. . أعيان الشيعة: زيد بن صوحان؛ وانظر الوافي بالوفيات9، رقم 1965؛ الشاعر امرؤ القيس: دنت وظلال الموت بيني وبينها/ وجادت بوصل ٍ حين لاينفع الوصل؛ وانظر ديوان عبيد بن الأبرص:47-50، تحقيق حسين نصار.

     لأعرفنك بعد الموت تندبني/ وفي  حياتي ما زودتني زادي/ أو لا ألفينك... [↑](#footnote-ref-194)
195. . انظر الفائق، للزمخشري 1: 35. [↑](#footnote-ref-195)
196. . المصدر نفسه؛ تاريخ ابن عساكر6 : 11ـ 13؛ تاريخ بغداد 8 : 440؛ الاستيعاب 1: 197؛ أسد الغابة 3: 234؛ الإصابة 1: 582؛ مروج الذهب2: 75. [↑](#footnote-ref-196)
197. . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 5: 111؛ تاريخ بغداد 8: 439، وفيه: كل يا زُبيد سير الحقحقة: المتعب من السير، وقيل: أن تحمل الدابة ما لا تطيقه. [↑](#footnote-ref-197)
198. . بحار الأنوار، للعلامة المجلسي 100 : 444-445؛ وكتب الأدعية؛ دعاء مسجد زيد، وهو قريب من مسجد السهلة في الكوفة، ويقال: إلى جانبه مسجد أخيه صعصعة. [↑](#footnote-ref-198)
199. . تاريخ الطبري 5 : 44 ثم 43، سنة 36. [↑](#footnote-ref-199)
200. . مروج الذهب، للمسعودي 3 : 37 ـ 38. [↑](#footnote-ref-200)
201. . مروج الذهب3: 40؛ التذكرة الحمدونية7 :169، رقم 803؛ كتاب نثر الدر2: 195ـ196. [↑](#footnote-ref-201)
202. . كتاب الفتوح، لابن الأعثم 2: 445. [↑](#footnote-ref-202)
203. . كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة212هـ تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون: 162. [↑](#footnote-ref-203)
204. . البقرة : 194. [↑](#footnote-ref-204)
205. . كتاب وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة212هـ تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون: 315ـ 316. [↑](#footnote-ref-205)
206. . [أنساب الأشراف، للبلاذري](https://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_no=196&pid=124461)، رقم الحديث: 1010، أمْرُ الْحَكَمَيْن‌ِ وَمَا كَانَ مِنْهُمَا. [↑](#footnote-ref-206)
207. . انظر العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي 2 : 119. [↑](#footnote-ref-207)
208. . انظر مروج الذهب، للمسعودي 1 : 322؛ به أبو أيوب وصعصعة. [↑](#footnote-ref-208)
209. . انظر كتاب المناقب، لابن شهر آشوب2: 82-83؛ وكتاب البحار 42 : 242. [↑](#footnote-ref-209)
210. . مروج الذهب، للمسعودي 1: 367؛ من أخبار صعصعة. [↑](#footnote-ref-210)
211. . انظر كتاب أحاديث أمِّ المؤمنين عائشة، للسيد مرتضى العسكري 1: 366، دواعي وضع الحديث. بتصرف. [↑](#footnote-ref-211)
212. . العقد الفريد5 : 115؛ ونثر الدر للآبي1: 439؛ البيان والتبيين1: 127. [↑](#footnote-ref-212)
213. . العقد الفريد، لابن عبد البر1: 244؛ ومثله في معجم رجال الحديث تحت الرقم:5923؛ رجال الكشي: 56، رقم 19. [↑](#footnote-ref-213)
214. . مروج الذهب، للمسعودي 1: 369. [↑](#footnote-ref-214)
215. . تاريخ الطبري 3 : 180ـ181، سنة 43. [↑](#footnote-ref-215)
216. . انظر تاريخ الطبري 3 : 180-182، سنة 43. بتصرف. [↑](#footnote-ref-216)
217. . الكافي: الجزء 7، كتاب الصدقات، باب صدقات النبي وفاطمة والأئمة (35)، الحديث 7؛ والتهذيب: الجزء 9، باب الوقوف والصدقات، الحديث608. [↑](#footnote-ref-217)
218. . معجم رجال الحديث 10: 112-114  رقم 5923، بتصرف وتلخيص. [↑](#footnote-ref-218)
219. . انظر مستدركات علم رجال الحديث، للشيخ علي النمازي الشاهرودي3: 474-476 رقم 5944؛ وانظر رجال الكشي: 55، رقم 18. [↑](#footnote-ref-219)
220. . انظر الإصابة2: 192؛ تهذيب التهذيب4: 422؛ وطبقات ابن سعد؛ مراقد المعارف، لمحمد حرز الدين:1407؛ تاريخ الكوفة 46-47؛ والبحار100 : 446-448؛ وغيرها من كتب المزارات والأدعية؛ وانظر معجم البلدان2: 103 فيه كلام عن هذه الجزيرة. [↑](#footnote-ref-220)
221. . أخذت هذه المعلومة من الورقة التي نُصبت علی الجدار في متحف تبريز، حول التعريف بالحجر المذکور. [↑](#footnote-ref-221)
222. . و للسيّد المکرّم تقريظ آخر على التراث المکيّ، كتبه بعد طبع الکتاب، فنقله بلفظه في أوّل المستدرك على التراث المکي، الصفحات 1162 ـ 1166 من کتابنا هذا المدنيّات. [↑](#footnote-ref-222)
223. . هو من الشعراء المخضرمين، اختلف المؤرخون في تحديد اسمه، فقالوا أنه ربيعة بن مالك، أو كعب بن ربيعة، أو ربيع بن ربيعة. ورجّح الباحث "حاتم الضامن" الاسم الأخير. اُنظروا: «المخبّل السعدي: حياته وما تبقّى من شعره»، :121. [↑](#footnote-ref-223)
224. . ذكر هذه الأشعار الجواليقي في شرح أدب الكاتب :313. [↑](#footnote-ref-224)
225. . في المصدر: الزمان. [↑](#footnote-ref-225)
226. . في الأصل: "ابن أحمد"، وما أثبتناه موافق لما ورد في لسان العرب. [↑](#footnote-ref-226)
227. . في المصدر: "ركبانها". [↑](#footnote-ref-227)
228. . لسان العرب، لابن منظور 20 : 1714. [↑](#footnote-ref-228)
229. . معجم البلدان، ياقوت الحموي5 :198. [↑](#footnote-ref-229)
230. . إعلام الساجد بأحكام المساجد، للزركشي :67. [↑](#footnote-ref-230)
231. في الأصل: "الصابع"، وفي المصدر: "الضائع". [↑](#footnote-ref-231)
232. تهذيب الأسماء، للنووي 4 :157. [↑](#footnote-ref-232)
233. . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين الفاسي 1 : 422. [↑](#footnote-ref-233)
234. . في الأصل: "إعلام المساجد"، وهو خطأ. [↑](#footnote-ref-234)
235. . هكذا ورد في الأصل، أما في الحقيقة والمجاز و إعلام الساجد: وادي عرنة. [↑](#footnote-ref-235)
236. . في الأصل: "البساطين"، وما أثبتناه هو من المصدر. [↑](#footnote-ref-236)
237. . إضافة من المصدر. [↑](#footnote-ref-237)
238. . ما بين خطين لم يرد في الحقيقة والمجاز ولا في إعلام الساجد. [↑](#footnote-ref-238)
239. . هكذا في الأصل، وفي المصدر المطبوع: "وادي عرنة". [↑](#footnote-ref-239)
240. . إعلام الساجد، :72 ويبدو أنّ مؤلف الرحلة اقتبس من كتاب "الحقيقة والمجاز" 3 :‌ 343. [↑](#footnote-ref-240)
241. . في الأصل: "قابتاي"، وهو خطأ. [↑](#footnote-ref-241)
242. . الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي 3 :‌ 344. [↑](#footnote-ref-242)
243. . اقتبس المؤلف من كتاب "الحقيقة والمجاز" 3 : 344. [↑](#footnote-ref-243)
244. . اقتبس المؤلف من كتاب "الحقيقة والمجاز" 3 : 344. [↑](#footnote-ref-244)
245. . هكذا في الأصل خطأ، والصحيح: "رُشَيد". وهو محب الدين محمد بن عمر بن محمد الفهري، المعروف بابن رُشَيد السبتي (657-721هـ)، رحالة مغربي، وعالم بالأدب والتفسير، وُلي الخطابة بجامع غرناطة. انظروا: الأعلام، للزركلي 6 :314. [↑](#footnote-ref-245)
246. . ملء العيبة، لابن رُشَيد السبتي 5 :102. [↑](#footnote-ref-246)
247. . في المصدر: "وما" [↑](#footnote-ref-247)
248. . في المصدر: "للفعل" [↑](#footnote-ref-248)
249. . هكذا في الأصل، والصحيح: كان وقوفي. [↑](#footnote-ref-249)
250. . البروج: 3. [↑](#footnote-ref-250)
251. . كذا في الأصل المخطوط. [↑](#footnote-ref-251)
252. . كذا في الأصل المخطوط. [↑](#footnote-ref-252)
253. . المُشترك وضعاً والمفترق صقعاً، لياقوت الحموي :314. [↑](#footnote-ref-253)
254. . في المصدر: "الحصى". [↑](#footnote-ref-254)
255. . منائح الكرم، لعلي بن تاج الدين السنجاري 2 :163. [↑](#footnote-ref-255)
256. . الدُرَر الفَرائد المُنظّمة في أخبار الحاجّ وطريق مكّة المعظّمة، لعبد القادر الحنبلي 2 : 265. [↑](#footnote-ref-256)
257. . أخبار مكة للأزرقي 2 : 174 ط منشورات الشريف الرضي. [↑](#footnote-ref-257)
258. . في الأصل: قابتاي، وهو خطأ. [↑](#footnote-ref-258)
259. . إضافة من المصدر، ولم يرد في الأصل. [↑](#footnote-ref-259)
260. . الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي 3 :‌ 346. [↑](#footnote-ref-260)
261. . الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، عبد الغني النابلسي 3 :‌ 349. [↑](#footnote-ref-261)
262. . رحلة ابن جبير : 137 ـ 138، ربما اقتبسه من كتاب الحقيقة والمجاز، للنابلسي 3 :‌ 349. [↑](#footnote-ref-262)
263. . المرسلات : 1. [↑](#footnote-ref-263)
264. . القرى لقاصد أم القرى، لمحب الدين الطبري :539. [↑](#footnote-ref-264)
265. . في المصدر: بقاعد. [↑](#footnote-ref-265)
266. .هذا البيت لم يرد في المصدر. [↑](#footnote-ref-266)
267. . في المصدر: "الحصى". [↑](#footnote-ref-267)
268. . في المصدر: "الحصى". [↑](#footnote-ref-268)
269. . تهذيب الأسماء واللغات، للنووي 4 :148. [↑](#footnote-ref-269)
270. . في المصدر: "يَبـِنْ". [↑](#footnote-ref-270)
271. . لسان العرب، لابن منظور 2 :893. [↑](#footnote-ref-271)
272. .في الأصل : "أودان". [↑](#footnote-ref-272)
273. . الكافرون: 1. [↑](#footnote-ref-273)
274. . الإخلاص: 1. [↑](#footnote-ref-274)
275. . الجامع اللطيف، محمد جارالله ابن ظهيرة المكي الحنفي : 201. [↑](#footnote-ref-275)
276. . في الأصل: "التست". [↑](#footnote-ref-276)
277. . في الأصل: "لا يفرحون"، وهو خطأ. [↑](#footnote-ref-277)
278. . ذكر قريب من هذا النّص في كتاب "الحقيقة والمجاز"، للنابلسي 3 :‌ 354. [↑](#footnote-ref-278)
279. . في الأصل: "وبهذه". [↑](#footnote-ref-279)
280. . الجامع اللطيف، محمد جارالله ابن ظهيرة المكي الحنفي : 202. [↑](#footnote-ref-280)
281. . في الأصل: "كالتست". [↑](#footnote-ref-281)
282. . روى كثير من علماء الشيعة كالشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والمسعودي، وابن شهر آشوب؛ ومن علماء السنّة كالحاكم النيشابوري، وابن المغازلي، ومحمد بن طلحة الشافعي، وسبط بن الجوزي، وابن صباغ المالكي أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وُلد في جوف الكعبة الشريفة، واعتبر الحاكم النيشابوري في المستدرك على الصحيحين 3 : 550 بأنّ هذا الخبر متواتر. [↑](#footnote-ref-282)
283. . في الأصل: "كالتست". [↑](#footnote-ref-283)
284. . الصحيح: معروف بن خرّبوذ المكي. [↑](#footnote-ref-284)
285. . الصحيح: أيام الفجار. [↑](#footnote-ref-285)
286. . ديوان أبي طالب، تحقيق عبد الحق العاني : 160. [↑](#footnote-ref-286)
287. . الجامع اللطيف : 203. [↑](#footnote-ref-287)
288. . في المصدر: الدقوقي. [↑](#footnote-ref-288)
289. . ذكر قريب من هذا النص في الجامع اللطيف : 203. [↑](#footnote-ref-289)
290. . كذا في الأصل، وينبغي أن يكون: فليراجع إليها. [↑](#footnote-ref-290)
291. . الجامع اللطيف : 205. [↑](#footnote-ref-291)
292. . ذكر قريب من هذا النص في الجامع اللطيف : 205. [↑](#footnote-ref-292)
293. . الجامع اللطيف : 206. [↑](#footnote-ref-293)
294. . الجامع اللطيف : 206. [↑](#footnote-ref-294)
295. . الجامع اللطيف : 206. [↑](#footnote-ref-295)
296. . في المصدر : "بناء داثر". [↑](#footnote-ref-296)
297. . الجامع اللطيف : 207. [↑](#footnote-ref-297)
298. . الجامع اللطيف : 207. [↑](#footnote-ref-298)
299. . النحل : 92. [↑](#footnote-ref-299)
300. . هذا المطلب خطأ جدّاً، لأنه خلاف ما قاله الإمام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، الخطبة رقم 192: <ولَقَدْ كُنْتُ مَعَه لَمَّا أتَاه الْمَلأُ مِنْ قُرَيْش‌ٍ - فَقَالُوا لَه: يَا مُحَمَّدُ إنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً ـ لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ ولا أحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ - ونَحْنُ نَسْألُكَ أمْراً إِنْ أنْتَ أجَبْتَنَا إلَيْه وأرَيْتَنَاه - عَلِمْنَا أنَّكَ نَبيٌّ ورَسُولٌ - وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ - فَقَالَ: ومَا تَسْألُونَ؟ قَالُوا: - تَدْعُو لَنَا هَذِه الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا - وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ: إِنَّ الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،- فَإنْ فَعَلَ الله لَكُمْ ذَلِكَ أتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإني سَأر‌ِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإني لأَعْلَمُ أنكُمْ لا تَفِيئُونَ إلَى خَيْر‌ٍ... [↑](#footnote-ref-300)
301. . هذا القول يناقض ما ذكره المؤلف عند قوله: ـ كما سيأتي ـ من أنّ النبي أكرم بالرسالة هناك؛ وهذا التناقض نشأ من خطإ المؤلف في فهمه لما ورد في "الجامع اللطيف" واختصاره لنصّ الكتاب. أمّا نصّ "الجامع اللطيف : 211": ونقل عن بعض العلماء أنّه أفضل جبال مكة حتى حراء. وعلل بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة الشريفة. قال الفاسي: <وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه كان يكثر إتيانه للعبادة، ويقيم به لأجلها شهراً في كلّ عام، وفيه أكرم بالرسالة>. فالضمير في "فيه" يرجع إلى جبل حراء، لا جبل أبي قبيس!!! [↑](#footnote-ref-301)
302. . القمر: 1. وفي المصدر بدل هذه الآية، الآية التي تليها: وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا. [↑](#footnote-ref-302)
303. . إضافة من المصدر. [↑](#footnote-ref-303)
304. . القمر: 2. [↑](#footnote-ref-304)
305. . في المصدر: "ولا يثبت". [↑](#footnote-ref-305)
306. . القمر: 3. [↑](#footnote-ref-306)
307. . زاد المسير في علم التفسير, لابن الجوزي :1369. [↑](#footnote-ref-307)
308. . نظم الدُرَر السَّنيّة في السِّيَر الزَكيّة، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي : 113 ـ 114. [↑](#footnote-ref-308)
309. . في المصدر: وإذْ بَغَتْ مِنْهُ قُرَيشٌ أنْ يُر‌ِي \* آياً أراهُمُ انْشِقاقَ القَمَر ِ [↑](#footnote-ref-309)
310. . في الأصل: "السماع". [↑](#footnote-ref-310)
311. . في المصدر: "الّذينَ". [↑](#footnote-ref-311)
312. . "طول عمره" لم يرد في المصدر. [↑](#footnote-ref-312)
313. . الجامع اللطيف : 211. [↑](#footnote-ref-313)
314. . الجامع اللطيف : 211 وفيه: "... يقول القائل في يوم الفتح. [↑](#footnote-ref-314)
315. . القُنَّة، بالضّمّ : الجبل الصغير، وقُلَّة الجبل الصغير، وقُلَّة الجبل. اُنظروا: القاموس المحيط :1226. [↑](#footnote-ref-315)
316. . ذكر قريب من هذا النص في الجامع اللطيف : 212. [↑](#footnote-ref-316)
317. . القلم: 1. [↑](#footnote-ref-317)
318. . القلم: 5. [↑](#footnote-ref-318)
319. . التوبة: 40. [↑](#footnote-ref-319)
320. . يس: 8-9. [↑](#footnote-ref-320)
321. . الصحيح: في مبيته على فراش... [↑](#footnote-ref-321)
322. . الجامع اللطيف : 213. [↑](#footnote-ref-322)
323. . التوبة: 40. [↑](#footnote-ref-323)
324. . الجامع اللطيف : 213، ربما اقتبس مؤلفه من كتاب مكة للفيروزآبادي. [↑](#footnote-ref-324)
325. . الجامع اللطيف : 213ـ 214. [↑](#footnote-ref-325)
326. . في الأصل: العمر، وهو خطأ. [↑](#footnote-ref-326)
327. . في الأصل: كلّه. [↑](#footnote-ref-327)
328. . إضافة من عندنا. [↑](#footnote-ref-328)
329. . بياض في الأصل، وتاريخ وفاته: 756. [↑](#footnote-ref-329)
330. . بياض في الأصل. [↑](#footnote-ref-330)
331. . بياض في الأصل. [↑](#footnote-ref-331)
332. . بياض في الأصل، وهو علي بن مكرم الشولي، المتوفى سنة 644هـ. قال عنه جمال الدين محمد بن علي الشيبي في كتاب الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا (ص108): «له عند أهل مكة شهرة عظيمة، ولقبره عندهم مكانة مكينة جسيمة، إن قلتُ: إنه من أشهر قبور المعلا يقصد بالزيارة ـ إن لم يكن أشهرها ـ فما بالغتُ. وإنما قلتُ: إن له عندهم من المنزلة ما ليس هو لغيره من أمثاله فما جاوزتُ». [↑](#footnote-ref-332)
333. . بياض في الأصل. [↑](#footnote-ref-333)
334. . بياض في الأصل. [↑](#footnote-ref-334)
335. . في الأصل: كثيرة. [↑](#footnote-ref-335)
336. . في الأصل: ويُقال. [↑](#footnote-ref-336)
337. . المجادلة : 1. [↑](#footnote-ref-337)